

أنيتا مورجاني

مقدمة بقلم: د. واين داير

أموات كي أكون أنا

رحلتي من السرطان
إلى مكان قريب من الموت إلى الشفاء الحقيقي

« كان لدي خيار أن أعود... أو لا أعود »

لقد اخترت العودة عندما أدركت أن النعيم حالة وليس مكاناً

مكتبة الكندي العربية
تتميز بخدماتها المتميزة
جماهة الجرس

مكتبة الكندل العربية

مكتبة الرمحي أحمد

Telegram @read4lead

أموت كي أكون أنا

DYING TO BE ME

أموت كي أكون أنا

وخطي من السرطان

إلى مكان قريب من الموت

إلى الشفاء الحقيقي

ترجمة: د. محمد ياسر حنكي

جماعة الأخرس

طرق الترجمة العربية محفوظة بالاتفاق مع الناشر:

Copyright © 2012 by Anita Moorjani
Originally published in 2014 by Hay House Inc., USA



بنابة يعقوبان بلوك ب طابق 3 - شارع الكويت

المشارية - بيروت - 6308 2036

للمتاتن - تلفاكس: 00961740110

www.dareelkhayal.com

التطبة: طقن دارالخيال

الطبعة الأولى: 2015

لا يجوز نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب في أي شكل من الأشكال
أو بأية وسيلة من الوسائل سواء التصويرية أو الإلكترونية أو الميكانيكية:
بدا في ذلك النسخ الفوتوغرافي والتسجيل على أجهزة أو سماعها وحفظ
المعلومات واسترجاعها دون إذن خطي من الناشر.

أموت كي أكون أنا
رحلتي من السرطان
إلى مكان قريب من الموت
إلى الشفاء الحقيقي
ترجمة: د. محمد ياسر حسكي
جمانة الأخرس



إهداء

إلى» داني، «حُبِّي الحقيقي: لقد علمتُ دوماً أنّ حُبنا يتجاوز حدود الزمن والمكان.

لو لم يكن كذلك بالنسبة إليك، لما كنتُ هنا في هذه الحياة المادية اليوم.

إلى أمي العزيزة، وأخي الرائع،» أنووب:»

شكراً لوقوفك جانبي في حياتي، وعلى وجه الخصوص أثناء مرضي، والاهتمام بي عندما احتجتُك.

أتمنى أن يحظى الجميع بعائلة تهتمّ بهم كما فعلتم.

في ذكرى أبي العزيز، الذي كان حُلمه الأكبر أن يرى حفلة زفاني، بيد أنه غادر هذا العالم قبل اليوم المشهود:

شكراً على إعطائك لي الفرصة كي أختبر حضورك المطلق وحُبك غير المشروط في العالم الآخر،

حيث أكدت لي أنك هنا، هناك، وفي كل مكان.

أنا أوّمن أنّ الحقائق العظمى في الكون لا تكمن في الخارج، في دراسة النجوم والكواكب.

بل تكمن في أعماقنا، وفي عظمة قلوبنا، عقولنا، أرواحنا.

إلى أن نفهم ما في الداخل، لن نستطيع أن نفهم ما في الخارج.

أشاطر قصتي معكم هنا على أمل أن تلامس قلوبكم بطريقة أو بأخرى وتُذكركم بعظمتكم.

مقدمة الكتاب

لقد تأثرتُ كثيراً وعلى نحو يصعب فهمه بمُحتوى هذا الكتاب، وتأثرتُ أكثر بعلاقتي الشخصية مع « أنيتا مورجاني، «التي دخلت حياتي من خلال سلسلة من الصُدف الإلهية المتناغمة. خلال أكثر من أربع سنوات، أخذ السرطان المُتقدّم «أنيتا «إلى أعتاب الموت، بل أكثر من ذلك، إلى داخل بيت الموت بعينه،» إلى طريق ما وراء الباب وقاعة الاستقبال «لو شئت. لقد سبق ووصفتُ «أنيتا» ذلك كله بتفاصيل عظيمة في هذا الكتاب الباحث عن الروح. أنا أُشجّعك على قراءته بعناية وتمعّن وبتفكير مُنفتح كي يكون لديك تحدّ مُعتقداتك التي تتعلّق به، خصوصاً فيما يتعلّق بما وراء هذا العالم، فيما يُدعى غالباً الآخرة.

استغرقتُ «أنيتا» في غيبوبة عميقة، وهي مُحاطة بأحبائها وفريق طبي يُراقب نفسها الأخير في أيّ لحظة. مع ذلك تمّ إعطاؤها الفرصة كي تعود إلى جسدها المُنهك بالسرطان، مُتحديّة كلّ الخلافات، وتخوض تجربة الشفاء الذي لا يُصدّق، من خلال عربة الحُبّ غير المشروط. أكثر من هذا، سُمح لها بالعودة من حجرة الموت كي تُعطينا تقريراً كيف تبدو الحياة في الطرف الآخر من هذه الحياة المادية، وبدقة أكثر، كيف الشعور هناك.

هذه قصة حُبّ كبير غير مشروط، ستُعطيك شعوراً مُتجدداً كي تعرف مَنْ أنت حقيقة، ولماذا أنت هنا، وكيف يُمكن أن تسمو فوق أيّ خوف ورفض ذاتي يُحدد حياتك. تتحدّثُ «أنيتا» بصراحة غير مألوفة عن سرطانها، وتشرح لماذا تُؤمن أنه توجّب عليها النزول في هذه الطريق الرهيبة في حياتها، ولماذا تشعر أنها شُفيت، ولماذا عادت. وهي تثق تماماً أنّ مُهمّة حياتها هي تبليغ هذه التجربة، وكما قالت: «أنا مُلتزمة بشدّة في المُساعدة على إيصال هذه الرسالة

الهامة إلى العالم.»

ما اكتشفته» أنيتا «في هذه الغيبوبة التي استمرت أربعاً وعشرين ساعة عندما عبرت خلال البوابة إلى العالم الآخر مُتسقة تماماً مع كل ما كنتُ أستقبله في اللحظات المُلهمة عند الكتابة والخطابة. من الواضح لكلينا أن تدخلًا إلهياً تولى الأمر وحرك الأجزاء ودورها بطريقة جعلت هذه المرأة التي تعيش على الطرف الآخر من العالم، والتي تنتمي إلى ثقافة مُغايرة تماماً لثقافتني، أن تدخل إلى وعيي وحياتي الفيزيائية.

أول مرة سمعتُ فيها عن» أنيتا «كانت عندما استلمتُ نسخة عن المُقابلة حول تجربة الاقتراب من الموت من سيدة من «نيويورك» اسمها» ميرا كيلبي،» والتي أصبحت فيما بعد صديقة، وأجرت عليّ فيما بعد تجربة» استرجاع الحياة السابقة» «المنشورة في كتابي رغبات مُحققة.» بعد أول قراءة لتقرير» أنيتا «عن تجربة الاقتراب من الموت، شعرتُ على نحو لا يُقاوم أنه قد تمّ استدعائي كي أقوم بكل ما أستطيع القيام به ضمن إمكانياتي المحدودة كي أوصل رسالتها المفروضة إلى العالم. اتصلتُ مع» رايد تريسي، «رئيس دار» هاي هاوس «للنشر، وألححتُ عليه كي يعثر عليّ» أنيتا مورجاني، «ويطلب منها تأليف كتاب يُفصل تجربتها بعمق. أضفتُ أنني سأكون سعيداً «لا بل سيكون لي الشرف» لو كتبتُ مقدمة كتابها، في حال نوت القيام بهذا المشروع. من خلال مجموعة من الأحداث الرائعة المُتزامنة، بما في ذلك اتصال» أنيتا «من» هونغ كونغ «أثناء برنامجي الإذاعي الأسبوعي» هاي هاوس دوت كوم) «ضع الانكليزي،) ومُقابلتي لها كي تسمعها الأرض كلها، تواصلنا على المستوى المهني والشخصي.

تحدثت» أنيتا «من مُنطلق أننا جميعاً حُبّ نقي. لسنا فقط مُتصلين مع بعضنا ومع الإله، بل في المستوى الأعمق نحن جميعاً الإله. لقد سمحنا لمخاوفنا وغرورنا أن يهْمشوا الإله من حياتنا، الأمر الذي له كل الأثر الكبير في مرض ليس

أجسادنا فقط، بل عالمنا أيضاً. تحدّثت عن تعلّم كيفية تعظيم روعتنا، وعن العيش على أننا كائنات من نور وحبّ، وعن خصائص الشفاء الملأزمة لمثل هذه العقلية.

وصفت «أنيتا» تماماً فقدان شعورها بالزمان والمكان، والشعور للمرة الأولى بروعة معرفة أنّ الوجدانية ليست مفهوماً فكرياً، بل إنها حيث يحدث كلّ شيء حقيقة في آن واحد. لقد روت كيف انغمرت بهالة من الحبّ النقي الهني، وكيف يمتلك هذا الشعور طاقة شفاء غير مُنتهية. لقد تعلّمت مباشرة المعنى الحقيقي لكلمات «المسيح»: «مع الربّ كلّ شيء مُمكن»، «وهذا لا يستثني أيّ شيء»، بما في ذلك شفاء الماضي. اكتشفت «أنيتا» «شخصياً ما كنتُ أكتب عنه بكثافة في» رغبات مُحققة «من أنه عند الحضور الحقيقي لإدراك الإله، لا تُطبق قوانين الحياة المادية» بما في ذلك القوانين الطبية.»

كان عليّ لقاء هذه المرأة. منذ البداية عند مكالماتنا الهاتفية، بدأتُ أشعر بالجوهر الروحي لـ «أنيتا» مباشرة، ورسالتها عن الأمل كبديل عن الخوف. دعوتها ألا تكتب هذا الكتاب فقط، بل أن تظهر أيضاً معي على قناة PBS في برنامجي، وتروي قصتها عن الحبّ، الأمل، وشفاء العالم بأسره.

أرسلتُ مُقابلة «أنيتا» عن تجربة الاقتراب من الموت إلى والدي، التي تبلغ من العمر خمسة وتسعين عاماً وتُقيم في مركز المساعدة السكني. رأت والدي الموت مرات عدة، بينما قضى العديد من أصدقائها الجُدد المتقدمين في العمر أثناء نومهم، وخرجوا من تجربة الموت إلى الأبد. كانت لديّ الكثير من المُحادثات معها حول أفكارها عن السرّ العظيم الذي يُدعى الموت وهو المصير المحتوم لكلّ الكائنات الحية. كلّ ما يتجسّد يفنى. نحن نعرف هذا فكرياً، على الرغم من ذلك يبقى ما ينتظرنا هو اللغز الغامض الأعظم.

بعد قراءة تقرير «أنيتا» عن تجربة الاقتراب من الموت، قالت والدي إنّ

موجة من السلام غمرتها وحلت مكان الخوف، القلق، التوتر الذي يجلبه المجهول العظيم. في الواقع، كل مَنْ قرأ عن تجربة» أنيتا «في الاقتراب من الموت، بمن فيهم أولادي، شعروا أنّ لديهم فرصة جديدة في الحياة، وعاهدوني أن يستمرّوا دائماً فوق ذلك كله، على حُبّ أنفسهم، وتعظيم روعتهم، والتخلّص من الأفكار الكامنة المولّدة للمرض في حياتهم اليومية. بينما كنتُ أكتب عن هذه الأفكار، كانت» أنيتا «قد احضرت هذه الأفكار إلى بيتها من عالم التجربة.

كانت» أنيتا «قادرة على شفاء جسدها وأخبرتني في مناسبات عديدة أنها شعرت بأنّ عودتها كانت كي تُعلّم هذا الدرس البسيط والقوي أيضاً، الذي لا يستطيع شفاءك فقط، بل يُحوّل عالمنا أيضاً. من أجل هذا، أنا أعلم، لماذا جمعنا الإله أنا و» أنيتا «سويّاً. لقد شعرتُ دائماً أنه من رسالتي الروحية» دهارما «أنّ أعلم الناس عن ألوهيتهم الخاصة، وأن يعلموا أنّ المكانة العليا داخلهم هي الإله. نحن لسنا هذه الأجساد، ولسنا انجازاتنا، ولا حتى مُمتلكاتنا، كلّنا واحد مع مصدر كلّ الوجود، الذي هو الإله. بينما كنتُ أكتب كلّ هذا في» الرغبات المُحققة «،» دخلت» أنيتا مورجاني «في حياتي، وكأنها تضع علامة تعجب على كلّ ما كنتُ أتلقّاه في كتابتي التلقائية. لقد عاشتها وسردتها ببراعة، وأنت الآن مُنعمٌ عليك أن تقرأ وتطبّق كلّ ما عرفته» أنيتا «في مُبارزتها العنيفة مع السرطان المُتقدم، ورحلتها الهادئة بالعودة من خلال التجربة المُباشرة للشفاء الإلهي.

يُشرفني أن أقوم بدور بسيط في إرسال رسالة الحُبّ هذه المُفعمّة بالأمل على أنها الشفاء المُطلق. ربّما تأخذ كلمات» أنيتا «وتُصبح أداة من أجل إزاحة أيّ» بل كلّ «مرض من جسّدك، علاقاتك، بلدك، عالمنا. كما لاحظت مرة «إليزابيث باريت براوننج «شعرياً»: الأرض محشورة مع الفردوس، وكلّ أجمة عادية تشتعل مع الإله. «في الحقيقة، إنّ الشفاء والنعيم على الأرض هما لك كي تعشقهما.

استمتع بكتاب « أنيتا » الرائع . أنا أحبّه، وأحبّها.

الدكتور « واين داير »،

« ماوي »، « هاواي »

المقدمة

إنَّ الهدف الرئيس من مُشاركتي قصتي هو ألا يضطرَّ الآخرون إلى المرور بما مررتُ به أنا.

ليس من أسلوبي أن أوجّه الناس هكذا، أو أخبرهم كيف يعيشون حياتهم، ولا أحبُّ أن أنصح أحداً بما يجب أن يقوموا بتغييره، حتّى ولو سألوا. أفضل أن أكون مثلاً، وأن أصنع بيئة آمنة من أجل الآخرين كي يتلمّسوا حقيقتهم الداخلية.

لطالما فكّرتُ بهذا منذ أحداث الشتاء والربيع في عام 2006 عندما تعرّضتُ إلى تجربة الاقتراب من الموت، وأيضاً تعافيتُ من السرطان الذي أصبتُ به في السنوات الأربع التي سبقت. خلال تجربة الاقتراب من الموت، تمكّنتُ من إدراك نواح مُحددة من حياتي المُستقبلية، وفهمتُ أنّ أحد أسباب اختياري أن أعود إلى الحياة الأرضية هو تجربتي ورسالتي التي ستلامس الآخرين.

في تلك الحالة، أدركتُ على نحو ما أنه بطريقة ما، قدّر لي إلهام الآلاف، ورُبّما عشرات الآلاف، إلا أنه لم يكن واضحاً كيف لي أن أفعل ذلك، أدركتُ فقط أنه بطريقة ما سأساعد الكثير من الناس. شعرتُ بالضبط أنني لستُ في حاجة إلى عمل شيء كي يحصل هذا، يجب فقط أن أكون نفسي وأستمتع بالحياة، وأن أسمح لنفسي كي أكون أداةً لشيء أكبر يظهر.

كانت تلك هي القضية، حيث بدأتُ أتحدّث وأكتب عن تجربتي من أجل الإجابة على التساؤلات الطبية والعلمية، بالإضافة إلى الأفراد الذين يبحثون عن إجابات حول طبيعة العالم وتجاربهم. هكذا أتى هذا الكتاب أيضاً» هذه التفاصيل في الفصل الرابع عشر. «أنا أشرح بحُرية ما تعلمته نتيجة السرطان

الذي أصابني وتجربتي في الاقتراب من الموت. أنا أستمتع بمُشاركة تجربتي، وتفهمي للحياة التي نشأتُ منها، خاصة عندما أشعر أنّ الآخرين قد ينتفعون منها.

تبدأ قصتي في الجزء الأول، عندما نشأتُ عند نقطة تقاطع الثقافات المتعددة التي حملت مُعتقدات استثنائية وغالباً مُتناقضة. سأشرح كيف شكّلتني هذا، ورعى المخاوف التي تحوّلت كي تظهر على شكل المرض، آخذة إياكم في رحلتي إلى النضوج، وانحداري إلى سجن السرطان.

يسبر الجزء الثاني تجربة الاقتراب من الموت في حدّ ذاتها» ما اختبرته وفهمته في الوقت ذاته «وما حدث لاحقاً. لقد كان شفائي من السرطان والعمل على إيجاد مكاني الجديد في العالم رحلة مُذهلة مُبهجة تدعو إلى التحدي!

في الجزء الثالث، سأصف ما أفهمه الآن عن الشفاء، الحالة التي عليها العالم الآن، وكيف يُمكننا أن نعيش كانعكاس لحقيقة ما نحن عليه، مُتيحين لروعتنا أن تُشعّ. ثمّ سأختم بقسم الأسئلة والأجوبة الذي يحوي بعض أشهر الأمور التي سمعتها وأكثرها تحدياً.

إلا أنه قبل أن أشارككم ما تعلمته من تجربتي، أودُّ أن أوضّح أنني لا أدعي علم حقائق كونية أو علمية، أو أن أكون مُعلّمة روحانية. أنا لا أحاول البدء بدين جديد أو نظام إيماني، بل هدي في الوحيد هو المُساعدة، لا الاقناع.

أودُّ بالأخصّ أن أركّز على أنك لا تحتاج كي تمرّ خلال تجربة الاقتراب من الموت كي تُشفى! إنّ نيتي هي أن أشاركك كلّ المُحفّزات الشعورية والنفسية التي أوّمن أنها أسهمت بمرضي بالسرطان، على أمل أنه عند تحديد هذه العوامل، بإمكانك تخفيف أو رُبّما إقصاء فرصك بأن تمرض في المقام الأول. في الوقت نفسه، لو كُنْتَ مُصاباً بالسرطان، أو تعرف من هو مُصاب به أو بأيّ مرض خطير، أعلم من فضلك أنّ هناك سُبلاً كثيرة من أجل الشفاء. أقترح فقط

أن تتبع ما تشعر أنه صحيحٌ بالنسبة إليك، وما يُوائم شخصيتك.

لو كنتَ تبحث عن تعليمات «خطوة بخطوة» أو مجموعة مبادئ تتبعها، فأنا شخصٌ لا يُناسبك، لأنني لا أُؤمن بمبدأ «مقاس واحد يصلح للجميع». إنَّ ذلك لن يقوم إلا بتقييد مَنْ تكون. حتى عندما أتحدّث عن حُبِّي لِنفسي، لا تكون نيتي أن أجلب الانتباه إلى نفسي، بل ألفت انتباهك كي تُجرب الشعور نفسه بين جنبيك. إنَّ هدي الوحيد من خلال مُشاركتي تجربتي ورؤيتي هو إشعال شرارة الروعة الكامنة فيك. إنَّ رغبتني أن أوقف هذا المُعلّم النائم داخلك كي يُرشدك إلى أن تعثر على مكانك الخاص في مركز الكون.

أنا آمل أن تجد السعادة في كلِّ يوم من رحلتك، وأن تغدو مُحبباً للحياة كما أُحبُّها أنا هذه الأيام!

الجزء الأول
البحث
عن الطريق الصحيح

الحدث التمهيدي:

اليوم الذي مِتُّ فيه

يا إلهي، شعورٌ رائعٌ! أنا حُرّةٌ وخفيفةٌ! كيف لم أعد أشعر بالألم في جسدي؟ أين ذهب هذا كله؟ هه، لماذا يبدو كلُّ ما حولي يتحرّك بعيداً عني؟ بيد أنني لستُ خائفةٌ! لماذا لستُ خائفةً؟ أين ذهب خوفي؟ أوه يا للروعة، لم أعد أجد الخوف بعد الآن!

كانت هذه بعض أفكارني بينما كانوا يُسرعون بي إلى المشفى. لقد بدا العالم من حولي سريالياً وأشبه بالحلم، وبدأتُ أشعر نفسي وأنا أنزلق بعيداً من الوعي إلى الغيبوبة. بدأتُ أعضائي تنطفئ بينما استسلمتُ إلى السرطان الذي نهب» لا بل التهم «جسدي في السنوات الأربع الماضية.

كان الثاني من شباط، 2006 يومٌ سيُحفر في ذاكرتي إلى الأبد على أنه اليوم الذي «مِتُّ فيه.»

على الرغم من أنني كنتُ في غيبوبة، إلا أنني في الواقع كنتُ مُدركة لكلِّ ما يحدث حولي، بما في ذلك إحساس العجلة وفوضى العواطف الذي اجتاح عائلتي بينما أسرعوا بي إلى المشفى. عندما وصلنا، وفي لحظة رأيتني طبيبة الأورام، امتلاً وجهها بالصدمة.

قالت لزوجي «داني»: «إنَّ قلب زوجتك لا يزال ينبض، إلا أنها ليست هناك. لقد تأخرنا في إنقاذها.»

تساءلتُ: عمّن تتحدث الطبيبة؟ لم أشعر في حياتي بحال أفضل من هذا الحال! لماذا يبدو أمِّي و«داني «خائفين وقلقين؟ أمِّي أرجوك لا تبك. ماذا

أصابكم؟ هل تكون من أجلي؟ لا تبكوا، أنا بخير، حقيقة يا أمي الحبيبة، حقيقةً أنا بخير!

ظننتُ أنني كنتُ أتفوه هذه الكلمات بصوت مسموع، إلا أنه لم يصدر شيء عني، فلم يكن لدي صوت.

أردتُ أن أعانق أمي، أريحها وأخبرها أنني بخير، ولم أفهم لماذا لم أستطع فعل ذلك. لماذا لم يكن جسدي الفيزيائي مُتعاوناً؟ لماذا كنتُ فقط مُلقاةً هناك، هامدة مُسترخية، بينما كل ما أردتُ أن أقوم به هو أن أعانق زوجي الحبيب وأمِّي وأطمئنهم أنني بخير ولم أعد أشعر بالألم؟

انظر» داني ! «أستطيع أن أتحرّك دون كرسي المتحرّك. إنّ هذا شيء مُدهش! لم أعد مُتصلة بزجاجة الأوكسجين. يا للروعة، لم يعد تنفّسي مُرهقاً، وقد اختفت آفات جلدي! لم تعد ترشح ولم تعد تؤلم. بعد أربع سنوات مُضنية، لقد شفيتُ أخيراً!

كنتُ في حالة سعادة وابتهاج صافية. أخيراً تحررتُ من الألم الذي سببه السرطان الذي نهب ودمّر جسدي. لقد أردتهم أن يسعدوا من أجلي. لماذا لم يكونوا سُعداء بانتهاء عنائي، بل انتهاء عنائهم؟ لماذا لا يُشاركونني ابتهاجي؟ ألم يروا السعادة التي كنتُ أشعر بها؟

ترجى» داني «وأمي الطيبة»: أرجوك، لا بُدّ من وجود شيء بإمكانك فعله.» جادلتُ طبيبة الأورام»: إنها مسألة ساعات بالنسبة إليها، لماذا لم يُرسلها أطباؤها الآخرون لنا قبل هذا؟ لقد بدأت أعضاؤها بالتوقّف، ولهذا انزلت في غيبوبة. ربّما لا تمرّ عليها هذه الليلة. أنتم تطلبون المُستحيل. أيّ كان الذي سنفعله في هذه المرحلة، فسيكون ساماً جداً وقاتلاً لجسدها، لأنّ أعضائها لا تعمل.»!

أصرّ» داني»: «ربّما! إلا أنني لن أتخل عنها.»!

أمسك زوجي يدي المتهدلة بحزم بينما كنت مُستلقيةً هناك، وكنتُ مُدركة لمزيج الكرب والعجز في صوته. أردتُ أكثر من أيّ شيء أن أخفف من ألمه. أردتُهُ أن يعرف كما كان شعوري جميلاً، إلا أنني كنتُ عاجزة عن إيصال ذلك إليه.

لا تستمع للطبيبة» داني، «أرجوك لا تستمع إليها! لماذا تقول ذلك؟ أنا لا زلتُ هنا، أنا بخير، بل أفضل بكثير، في الواقع أنا مُمتازة!

لم أفهم لماذا، إلا أنني شعرتُ بكل ما يمرّ به من حولي، أفراد أسرتي الاثنين، وحتى الطبيبة. شعرتُ حقيقةً بخوفهم، قلقهم، عجزهم، بأسهم. لقد كان الأمر وكأنّ مشاعرهم هي مشاعري، وكأنني أصبحتُ هم.

أشعر بألمك حبيبي، أشعرُ بأحاسيسك. أرجوك لا تبك من أجلي، أخبر أمي ألا تبك من أجلي أيضاً. أرجوك قل لها!

إلا أنني لحظة شعرتُ بالارتباط العاطفي مع المأساة التي تدور حولي، شعرتُ أيضاً أنني في الوقت ذاته أُسحب بعيداً، وكأنّ ثمة صورةً أكبر، وخطةً أكبر تتكشف. شعرتُ أنّ تعلقي بالمشهد بدأ يتفلت، عندما بدأتُ أدرك أنّ كلّ شيء على أتمّ وجه، ويسير ضمن الخطة الموجودة في النسيج الأكبر. حينها تركّز إدراكي على أنني بالفعل أموت.

يا للهول، أنا أموت! هل هذا هو الموت؟ لم يكن كأني شيء تخيلته. أشعر بهدوء جميل وأمان، وأشعر أنني شُفيت أخيراً!

أدركتُ هناك أنه حتى لو توقّف جسدي الفيزيائي، فكلّ شيء لا زال على أتمّ وجه في نسيج الحياة الأكبر، إذ أننا لا نموت في الحقيقة أبداً.

كنتُ لا زلتُ واعية بدقة لكلّ تفصيل ينكشف أمامي، بينما أراقب الفريق الطبي وهو يسوق جسدي القريب من فقد الحياة إلى غرفة العناية المُشددة. لقد أحاطوني بنوبة من المشاعر المسعورة، وربطوني بالآلات، وخزوني وهمزوني

بالإبر والأنايب.

لم أشعر بالارتباط مع جسدي المتهدل هناك على سرير المشفى. لم أشعر أنه يخصني. لقد بدا أصغر بكثير وضيئلاً كي يستوعب هذا الذي كنتُ أشعر به. أشعر أنني حُرّة، مُتحررة، رائعة! لقد ذهب كلُّ ألم، وجع، حزن، ندم. لقد انفكَّ ارتباطي تماماً، ولم أذكر أنني شعرتُ هكذا من قبل إطلاقاً.

ثمَّ شعرتُ أنني مُحاطة بشيء لا أستطيع وصفه إلا أنه حُبّ نقي غير مشروط، مع أنّ كلمة الحُبّ لا تفيّه حقّه. لقد كان أعمق شعور بالعناية، ولم أشعر بذلك قطّ من قبل. لقد كان أبعد من أيّ شكل فيزيائي لعاطفة يُمكن أن نتخيّلها، وكان غير مشروط، وكان يخصني، بغضّ النظر عن أيّ شيء سبق أن فعلته. لم يكن عليّ فعل شيء ما أو التصرّف على نحو ما كي أستحقّه. هذا الحُبّ كان من أجلي، بغضّ النظر عن أيّ شيء!

شعرتُ أنني مُكللة ومُجددة بالكامل بهذه الطاقة التي جعلتني أشعر وكأنني أنتمي، وكأنني وصلتُ أخيراً بعد تلك السنوات من المُعاناة، الألم، القلق، الخوف.

لقد وصلتُ أخيراً إلى بيتي.

الفصل الأول

النمو على نحو مُختلف

إنَّ «الهند» بلدٌ جميل رائع، إلا أنه لم يكن مُقدر لي أن أعيش فيه. على الرغم من أنَّ والدايَّ من عرق هندي، مُتأصلين من «حيدر أباد السند»، إلا أنني وُلدت في البلد الجميل «سنغافورة».

لقد كان جدي من جهة أبي تاجر أقمشة يملك شركةً عائلية في «سيريلانكا»، يستورد ويُصدِّر الأقمشة الأوروبية والهندية والصينية إلى العالم كَّله. بسبب طبيعة شركتنا، اضطرَّ والدي إلى السفر والتنقُّل قبل أن يستقرَّ أخيراً فيما كان يُعرف حينها بالمُستعمرة البريطانية «هونغ كونغ»، حيث كنتُ في الثانية من عمري.

أغرقتني جذوري في ثلاث ثقافات ولغات في آن معاً. إنَّ «هونغ كونغ» مدينة صاخبة نابضة بالحياة يسكنها الصينيون غالباً، وهكذا تعلَّمتُ التحدُّث بلغة «الكانتونية» مع السكان المحليين. أرسلنا والداي أنا وأخي «أنوب» إلى المدرسة البريطانية حيث كان التدريس باللغة الإنكليزية، وكان مُعظم زملائي مُغتربين بريطانيين. من ناحية أُخرى، كانت عائلتي تتحدَّث في المنزل بلغتنا الأصلية «سيندهي»، وتُطبِّق الطريقة الهندوسية في الحياة.

كان والدي رجلاً وسيماً طويلاً، وقد نال احترام عائلته. على الرغم من معرفتي لحُبِّه لنا، إلا أنَّ أسلوبه كان صارماً، وقد توقَّع منا إطاعة قواعده دائماً. كنتُ أخاف منه، وقد حرصتُ كطفلة ألا أتعارض معه. على العكس من ذلك، كانت أمِّي لطيفة دوماً مع كلينا، ولم أخش أبداً مُشاطرة مشاعري معها.

لقد أحببتُ شقيقي «أنوب» على نحو مُطلق، وكُنَّا قريبين إلى بعضنا طوال

حياتنا، على الرغم من أنه يكبرني بخمس سنوات. بالنسبة إلى الطفل، هذه هوة عمر جوهريّة، ولذلك نادراً ما لعبنا سوية، ولكن لم نكن نتشاجر أبداً. بل على عكس ذلك، تطلعتُ إليه وكان يحميني كثيراً. كنتُ أشعر بالأمان كثيراً عندما يكون مُتواجداً حولي، وعلمتُ أنني أستطيع التحدّث معه عن أيّ شيء. لقد كان دائماً ذكراً قوياً يُؤثر في حياتي أكثر من والدي.

كهندوس تقليديين، تزوج والديّ بالطريقة التقليدية ضمن زفاف مُنظم، وكانا يأملان يوماً أن يجدا الرفيق المُناسب لأخي» أنوب «ولي عندما تكبر على نحو كافٍ. كذلك قد يتوجّب عادة على المرأة أن تُساعد زوجها وتُساعد رجال منزلها.

إنّ عدم المُساواة مُنتشر في ثقافتِي، ولكني على كلّ الأحوال، كطفلة يافعة لم أشك في هذه القيم وصار من المُسلمّ به أن تسير الأمور على هذه الشاكلة. كانت تجربتي الأولى المُزعجة مع هذا التباين في سنّ العطاء في السادسة، عندما استمعتُ إلى مُحادثة بين سيدة أُخرى ووالدي.

سألت هذه المرأة بلغتنا الهندية العامية: «هل خاب ظنك لأنك أنجبت طفلك الثاني بنتاً؟»

أحسستُ بشعور القلق يرتفع داخلي بينما ترقبتُ الإجابة.

أجابت والدي: «كلا، بالطبع لا. أنا أحبّ ابنتي،»! كان هذا الجواب كافياً لإراحتي.

قالت المرأة: «بيد أنّ الفتيات مُشكلة، خصوصاً عندما يكبرن، عليك التأكيد من عدم تدليل الفتيات، وإلا فلن يحصلن على زوج صالح، ومقدار المهر المطلوب كي تتزوج الفتاة يرتفع أكثر فأكثر مع مرور السنوات.»!

أتذكّر ردّ والدي الحكيم: «لا يُمكنك التنبؤ بالمستقبل. كلّ طفل سواء كان صبياً أم بنتاً، يجلب معه نصيبه.»

قالت المرأة بفخر: «حسناً، أنا سعيدة لأنه لدي ولدين.»!

لقد كان عقلي الفتى حينها قادراً على استكشاف احساس الإنجاز الذي شعرت به المرأة عندما قالت تلك العبارة.

فيما بعد، عندما أصبحنا أنا ووالدي وحدنا، سألتُ: «ماما، هل الفتيات مُشكلة حقاً؟»

أجابت: «كلا، بالطبع كلا، عزيزتي «بيتا». «إنّ لفظ» بيتا «هو اصطلاح مُحِب يعنى» طفلي في لغتنا المحلية.»

سحبتني أمي قريباً منها وعانقتني في تلك اللحظة، أتذكر الآن تفكيري حينها: أنا لا أريد أبداً أن أكون مُشكلة بالنسبة إلى والديّ، لأنني ببساطة فتاة. أنا لا أريدهم أن يتمنوا أبداً لو أنني كنتُ صبياً.

كان منزلنا الأول في «هونغ كونغ» شقة في بناء من تسعة طوابق في «الوادي السعيد» مُطلّة على حلبة سباق الخيول. اعتدتُ أن أمضي ساعات أنظر خارجاً من النافذة إلى الفرسان بأثوابهم الملوّنة، يُدربون الخيول من أجل سباق نهاية الأسبوع.

كان مضمار السباق على الطريق الرئيس خارج كتلة شقتنا، وبينما كانت الخيول تركز بسرعة أسفل مني، كانت تُعيق بضوضائها أحلام يقظتي بينما أُحدّق من نافذتي في الطابق السابع.

كنتُ في مُعظم الصباحات أسحب نفسي خارج سريري وأنا أشمّ رائحة العطر المشبع المألوف لخشب الصندل وبخور الورد. لقد أحببتُ دوماً تلك الرائحة، كونها تُعطيني إحساساً بالأمان والهدوء. كنتُ عادة أجد والدي مُرتدية اللباس الهندي التقليدي «سالويركاميز» بألوانه المتعددة، المصنوع على الأغلب من الحرير الهندي الأنيق، أو النسيج الحريري الفرنسي الشفاف، وهي على وشك أن تدخل المقام الموجود في منزلنا.

كان والديّ كلّ صباح يستغرقان في التأمل، الصلاة، ويُرتلان التعويذة «مانترا» في المقام أمام الآلهة» كريشنا»، «لاكسمي»، «شيفا»، «هانومان»، «غانيشا». «كانا يقومان بذلك من أجل رفع وعيهم بالقوة الداخلية بينما يُواجهان يوماً آخر. اتبع والدايّ مُحتويات الكتب المُقدّسة الموجودة ضمن «الفيدا» الهندوسية، بالإضافة إلى تعليمات المُعلّم الروحي» ناناك «وكتابه المُقدّس» صاحب المُعلّم» جرانت.»

كثيراً ما جلستُ أمام المقام وشاهدتُ والديّ مُنكبين على طقوسهما يُشعلان البخور ويُحركانه بحركة دائرية أمام التماثيل الصغيرة وصور الآلهة المُتعددة والآلهات، ويُغنيان صلاة هندوسية اسمها» بوجا»، «وكنتُ غالباً أحاكيهما وأقلدهما.

فيما بعد، كنتُ أراقب مُربيّتي الصينية» آه فونغ»، تُحضّر من أجل مهامها المتنوعة وتُثرثر معي باللهجة» الكانتونية». «كانت ترتدي على جسدها الضئيل اللباس الصيني التقليدي ذي اللون الأبيض والأسود» سامفو»، «وتعدو خلال المنزل بخطوات سريعة صغيرة. كنتُ مُتعلّقة بها كثيراً. لقد كانت معنا منذ كان عمري سنتين، ولا أتذكّر وقتاً لم تكن فيه جزءاً من العائلة.

في الأيام التقليدية، لم أكن أرى والديّ حتى المساء. وكانت» آه فونغ» تجلبني من المدرسة، وبعد العودة إلى المنزل من أجل الغداء، غالباً ما كانت تأخذني إلى المتجر كي تشتري طعاماً طازجاً تطهوه للأسرة. كنا نتنقل معها بالقطار، واعتدتُ أن أكون مسرورة في الذهاب معها إلى الخارج.

قفزنا إلى القطار عندما توقّف عند الشارع خارج بناء شقتي، في تجربة رائعة بالنسبة إليّ. حدّقتُ خارج النافذة بينما اتخذ القطار مساره خلال الشوارع الضيقة المُزدحمة في» هونغ كونغ»، «خلال» الوادي السعيد»، «طريق باي المعبد»، «وان شاي»، «ثمّ نزلنا عند المتجر. كانت» آه فونغ» تُمسك يدي

الصغيرة بإحكام، وكنتُ مسرورة باستعراض كلِّ الروائح، المشاهد، والأصوات التي تُحيط بي. لم يأخذني والديّ إلى أماكن مُمتعة كهذه من قبل! فقد كانا يُسافران بالسيارة فقط ويتسوقان في المتاجر المُغلقة، التي رأيتُ أنها مُملة بالمقارنة مع هذه المشاهد المتنوعة مُتعددة الألوان والمشاعر.

كانت الأسواق تبيع كلَّ شيء، من المُنتجات الطازجة والبضائع المنزلية إلى الحلّي الصغيرة ودمى الأطفال. كان الباعة يُنادون على بضائعهم، وكانت الأكشاك دون ترتيب. كانت أكشاك الخضار مُتقاطعة مع الأكشاك التي تبيع الأحذية، الأزهار، الأوعية الفخارية والمقالي، الألعاب البلاستيكية الرخيصة، مجموعات مُلوّنة من الفاكهة الطازجة، الجواهر التقليدية، أكياس الهواء المُلوّنة، السمك الطازج، اللحم، الجوارب، المناديل والمناشف المُلوّنة، أغطية الطاولات، وهكذا. كانت مُعظم البضاعة تنتشر وتمتدُّ على الشارع.

تسمّرتُ ساعاتٍ. «أه فانج، أه فانج! إنظري إلى هذا! ما الذي يفعله هذا الرجل بالأفعى؟» «ناديتُ بحماس بلغتي» الكانتونية «السلسلة.

أجابَت: «إنه بائع أفاعي. سيربط تلك الأفعى، وتأخذها تلك العائلة كي يصنعوا منها حساء أفاعي.»

تابعتُ المُشاهدة بأعين مفتوحة بينما تلوّت الأفعى كي تحصل على حريرتها بين يدي مُمسكها الماهرة، ولكن بلا جدوى. شعرتُ بالتعاطف مع هذا المخلوق المسكين بينما رُبطت الأفعى بمهارة بعيدان «البامبو» وحبست في شرك من الخيوط. بغضّ النظر، أحببتُ بشدّة الذهاب إلى الأسواق مع «أه فونج». «كانت هذه النزعات البسيطة يوماً منشوداً يدعم حسّ المُغامرة القوي عندي!

رغم عيشها معنا سنوات عديدة، لم تزل «أه فونج» تخفض نظرها وتحوّل بصرها في كلِّ مرة تدخل أمّي أو أبي إلى الغرفة. كوني طفلة فضولية، كنتُ أغمرها بالأسئلة عن كلِّ شيء، بما في ذلك سلوكها. كنتُ أحاول دائماً في ذهني

إزالة الخلافات الثقافية بين» أه فونج «ووالديّ.

أرادت نفسي ذات الست سنوات أن تعرف» :لماذا تفعلين ذلك؟.»

أجابت» أه فونج» :«أفعل ماذا؟.»

سألتها بالكانتونية» :لماذا تنظرين إلى الأسفل عندما يقترب منك والديّ؟.»

شرحت» :كي أظهر الاحترام.»

«وكيف ذلك؟.»

«أبواك أرباب عملي. أريد أن أظهر احترامي لهم وإدراكي أنهم أسيادي.»

«هل هم أسيادك؟» «لقد كنتُ مُندهشة من هذه المعلومة.

«نعم، لأنهم يوفرون لي العمل.»

سألتها» :هل أنا سيدتك؟.»

ضحكت» أه فونج «ضحكة طبيعية، حيث أنها مُتعودّة على تفكيري المُصرّ

على البحث.

«كلا، لم تُوفّري لي العمل. أنا هنا كي أعتني بك.»

أجبتُها» :حسناً، «وتركتُها كي ألعب بدميتي الجديدة.

أحببتُ كذلك اللعب مع» أه موه يي ،«ابنة» أه فونج .«منذ أن كنتُ في

الخامسة من عمري، كانت» أه موه يي «تأتي كي تزور أمها في منزلنا أيام نهاية

الأسبوع .كانت أكبر مني بسنة، ولأني أتحدّث» الكانتونية «بمهارة أصبحنا

صديقتين .لقد استمتعْتُ حقيقةً برفقتها .كنا نلعب معاً بالعابيّ، ونذهب إلى

الحديقة القريبة سوياً .كان والديّ سعيدين أنّ لي صديقة تنام عندي كلّ نهاية

أسبوع.

في يوم الأحد، كونه عطلة» أه فونج ،«كانت تأخذ ابنتها» أه موه يي «إلى

الغداء، ثم تُوصلها إلى منزل الجد والجدّة، حيث كانت تعيش خلال الأسبوع. على الرغم من أنني لم أتساءل عن ذلك وقتها، ولكنني أدركت أنّ «آه فونج» كانت أمّ بلا زوج، تُربّي «آه موه يي» بمُساعدة عائلتها. كانت «آه فونج» تصطحبني معها إلى الخارج إن لم أذهب مع والديّ، وكنتُ حقيقة أحبُّ تلك الفسح.

كالعادة، تنقلنا إلى كلّ مكان بالعربة، نبدأ بالذهاب إلى كشك مأكولات صينية من أجل تناول وجبة. كانت هذه الأماكن التي تُسمّى بالكانتونية «داي باي دونج» في الهواء الطلق، وكُنّا نجلس على كراسي خشبية صغيرة، نلتهم الشعيرية الساخنة والحساء بينما يمرُّ المشاة والسيارات أمامنا. بعد الوجبة، كانت «آه فونج» تأخذنا إلى المنزل الذي تعيش فيه «آه موه يي» مع جدها وجدتها، في شقّة مُتواضعة ذات أسقف واطئة، قليلة الفرش وذات أثاث مُتناثر، مبنية على الطراز الصيني. كنتُ أسير في الردهات الحجرية المظلمة في الشقّة، وكان دماغي الفضولي يُريد اكتشاف كلّ ركن، بينما كانت «آه فونج» تحتسي الشاي مع أبويها. كانوا يشربون الشاي في أكواب صغيرة عليها تصاميم مُزخرفة مُلوّنة للحيوانات الموجودة في الأبراج الصينية، كالتنانين والنمور، بينما كان لي كأس زجاجي مملوء بالعصير أو الشاي الحلو.

لم أملّ قط من الذهاب إلى هناك، وحتى لو سئمتُ من المُحادثة، كنتُ أستمع بالنظر خارج النوافذ الكبيرة ذات القناطر على الشارع في الأسفل، حيث وضع بائعو السمك المُجفف الشرائح المُقطعة الطازجة من السمك على حصيرة من القشّ كي تجفّ على جانب الطريق تحت شمس الظهر القوية.

هكذا، كانت طفولتي مزيج من الشرق والغرب. بما أنّ «هونغ كونغ» كانت مُستعمرة بريطانية مأهولة على نحو رئيس بالصينيين، فقد كان يتمّ الاحتفال بعيد الميلااد وعيد الفصح بالحماس ذاته الذي كانوا يحتفلون به

باحفالات الشبح والجائع ومهرجان قمر مُنتصف الخريف.

علمتني» آه فونغ «وابنتها» آه موه يي «التقاليد الصينية ومعتقداتهم، بالإضافة إلى المغزى من كل المهرجانات، وكنْتُ أحبُّ حقيقة أن» آه موه يي» تبقى معنا أثناء عطلها كلها. على سبيل المثال، كان يُقام مهرجان» الشبح الجائع «في الليلة الرابعة عشر من الشهر السابع في التقويم القمري. أثناء ذلك اليوم، تُصلي العائلات من أجل آلام الأقرباء المرضى، وتُقدم القرابين من أجل الأسلاف الذين ماتوا.

شاهدنا أنا و» أنوب «و» آهفونغ «و» آه موه يي، «بالإضافة إلى «آه تشون» الطاهية، كيف كان الناس يضعون القرابين من أجل أقاربهم المتوفين من خلال حرق دمي بضائع أنيقة مصنوعة من الورق. لقد أشعلوا النار داخل جرة كبيرة خلف منزلنا، في أسفل بئر السُّلم خلف المطبخ، وأطعموا الورق للنار. كانت الدمى عبارة عن تمثيل للسيارات، المنازل، وحتى النقود المزيفة. كان يتوقعون أن أسلافهم يتلقون هذه النعم في العالم الآخر.

سألتُ بفضول: «آه فونغ، هل يتلقى جدك حقيقة منزلاً في النعيم، إن أحرقت هذا المنزل الورقي؟.»

أخبرتني: «أجل» أنيتا. «يتوقع أجدادي مني الاستمرار في تذكّرهم، حتى في عالم الآخرة. علينا جميعاً أن نحترم أسلافنا.»

بعد ذلك جلستُ «آه فونغ، آه تشون»، «آه مويي»، «من أجل تناول الطعام على طاولتهم خلف المطبخ الذي أمضت» آه تشون «فيه جزءاً كبيراً من اليوم تُحضّر الطاولة مع مكان إضافي للأقارب المفقودين، من أجل المشاركة في المهرجان. كان هنالك قرابين من الطعام أمام المكان الإضافي للراحلين. شاركهم غالباً في هذه الوجبة، وأظهرتُ اهتماماً صادقاً فيما إذا كان الأسلاف يتلقون طعاماً كافياً موضوعاً أمامهم!

لقد كان أحد أوقات السنة المُفضّلة هو مهرجان قمر مُنتصف الخريف، الذي كنتُ أختار فيه بذكاء مصباحاً ورقياً مُلوّناً من عشرات آلاف المصابيح المعروضة، المُتدلية من أسقف المخازن المحلية العديدة. كانت المصابيح بجميع المقاسات وأشكال حيوانات الأبراج الصينية. لقد أحببتُ دوماً شكل الأرنب إلى أبعد حدٍّ! «أخذتني» آه فونغ «مع ابنتها» آه مويي «كي نختار مصباحنا سوياً من المخزن خلف المتاجر.

يُشبه مهرجان احتفال قمر الحصاد الأكبر بطريقة ما عيد الشكر المُقدّس في «أمريكا»، وتتضمّن المراسم أكل وتوزيع كعك القمر، الذي يُصنع بأنواع كثيرة. ثمّ أشعلنا الشموع داخل المصابيح الورقية الجميلة والملوّنة وأخذناها إلى الخارج. سوياً مع الأطفال الآخرين من الجوار، علّقنا أنا وصديقتي «آه مويي» مصابيحنا خارج منازلنا، وعلى أشجارنا وسياجنا. لقد سُمح لنا أن نمكث خارج المنزل أكثر من المعتاد في تلك الليلة، ونلعب بنور المصابيح، وكان القمر كاملاً ومنياً إلى أقصى حدٍّ في هذا العام.

احتفلتُ عائلتي بحماس كبير كذلك بجميع المهرجانات الهندية، بما فيها «ديوالي» وهو مهرجان الأنوار الهندوسي. كنا نلبس جميعاً ملابس جديدة في هذه المناسبة، وكان وقتاً ممتعاً جداً بالنسبة إليّ. حتّى في ذلك السنّ المُبكر، أحببتُ كثيراً فكرة التسوّق من أجل تجهيزات رئيس رهبان المهرجانات! كانت والدتي تأخذني عادة مع أخي إلى «لاين كارفورد»، والذي كان في ذلك الوقت المتجر الأكبر في مقاطعة العمل الرئيسة في «هونغ كونغ». «كنا نجري صعوداً ونزولاً في ركن الأطفال، وكنتُ أنظر بحماس إلى الملابس والمريلات، وكان أخي ينظر إلى القمصان والسراويل. كانت أمّي تُساعدني في اختيار فستان، وفي هذا الوقت من العام كان من الطبيعي أنه كلّما زادت الألوان، كان أفضل كي يتناسب الاحتفال.

في هذا المساء الميمون، لبست عائلتي ملابسها الجديدة، وكانت أمي كالعادة في ثوب هندي» ساري «جديد مُلوّن، واضعةً كلّ حليها. وكان أبي في «كورتا باتلون» وهو قميص وسروال هندي، وكان أخي في سروال وقميص، وأنا في فستان جديد.

بعد أن لبسنا جميعاً، ذهبنا إلى المعبد الهندوسي في» القرية السعيدة «كي نختلط مع المجتمع الهندي ونُغني» بها جانز، «وهي أغان هندوسية تعبدية.

كانت أصواتنا يتخللها قرع الأجراس، ويتردد صداها خلال قبة المعبد العالية، وتنجرف خارجاً إلى هواء المساء. أتذكر في الحقيقة شعور أصوات أجراس المعبد وهي تهتزّ وتنبض خلال أعماق كينونتي، وتُلامس جزءاً عميقاً من روحي. في كلّ يوم احتفال هندوسي، كانت باحة المعبد تعود إلى الحياة مع الألوان والموسيقى والرقص، ورائحة الأكل الهندي النباتي المُبهر التي تشقّ طريقها خلال عطر البخور الحلو. كم أحببتُ الجو!

بصوت عال صرختُ بلغة» السندي» :«أمي، سأذهب إلى الأمام كي يضع القسّ الهندي» مهراجا «اللون البرتقالي على جبهتي»، «بينما تسلل جسدي الصغير خلال الحشود الملونة.

إنّ اللون البرتقالي المُحمر الذي يضعه» مهراجا «على جبهة كلّ شخص يدلّ على تفتح العين الثالثة، ولقد حرصتُ دائماً على حصولي على خطي الأحمر في كلّ مرة كنتُ أذهب فيها إلى المعبد.

بسبب جذوري الهندوسية، كبرتُ وأنا أوّمن بـ «الكارما» و«التناسخ»، فمعظم الديانات الشرقية مبنية على هذه القوانين، وهي تعتقد أنّ هدف الحياة في أن تُربي وعينا ونطوّر أرواحنا خلال كلّ دورة ولادة وموت إلى أن نصل إلى نقطة الاستنارة. عند تلك النقطة، نكسر دورة الولادة والموت ولا يعود هناك حاجة إلى جسد من اللحم والدم، وتُسمّى هذه الحالة» نيرفانا.»

إنّ التفكير بهذا الموضوع يجعلني قلقة، لذلك كنت حذرة كيلا أفعل شيئاً يُمكن أن يصنع» كارما «سلبية في المُستقبل. حتى عندما كنت صغيرة كان تفكيري يُعالج على الدوام ما يُمكن اعتباره إنشاء كارما جيدة أو سيئة، بينما كنتُ أُحاول أن أعاير نفسي على نحو مثالي على مقياس مُعتقداتي الثقافية.

لقد علّمتني ديانتي الهندوسية أيضاً أنّ التأمل والإنشاد هما وسيلتان من عدة وسائل تُستخدم على نحو شائع من أجل تطهير الدماغ من الأفكار الدنسة، وتُساعدنا في بحثنا عن الاستنارة. يُساعدنا التأمل على تطوير وعينا بأننا أكثر من أنفسنا الفيزيائية. هكذا بينما كنتُ أصبح أكبر، كنتُ مُدركة سلفاً أننا أكثر من الجسد ووظائفه.

الفصل الثاني

العديد من الأديان،

العديد من المسالك

بالتناقض مع عادات الهندوسية التي تعلمتها في منزلي، بدأ تعليمي المبكر في مدرسة كاثوليكية تُديرها الراهبات. عندما بلغت السابعة، كنتُ قد بدأتُ أتعلّم أثر الفوارق الثقافية والدينية. كانت المدرسة في بناء قديم جميل وغالٍ مُمتدّ على ثلاثة طوابق، مُتوج بكنيسة جميلة ذات قبب. وقد صادف أنّ المدرسة كانت على بعد مسيرة خطوات بسيطة من منزلنا.

في يومي الأول، لبستُ زي الجديد بفخر كبير. تألّف الزي من مئزر أبيض نضر، وسترة زرقاء بحرية عليها شعار أحمر أنيق. كنتُ سعيدة بنفسي لأنني عندما دخلتُ إلى حرم المدرسة، رأيتُ كيف كان كل الأطفال يرتدون نفس زيي. لقد أعطاني الزيّ إحساساً بالانتماء. كنا نبدأ كلّ يوم بغناء التراتيل، التي كنتُ أستمتع بها كثيراً.

سألني «جوزيف» زميلي في أحد الأيام، بعد شهر تقريباً من وجودي في المدرسة: «لماذا لا تأتي أسرتك إلى الكنيسة أيام الأحد.»

أجبتُ: «لأننا لسنا كاثوليك، نحن هندوس ونذهب إلى المعبد أيام الاثنين مساءً.»

أخبرني «جوزيف»: «يجب أن تقولي لوالديك أن يأخذاك إلى الكنيسة كلّ أحد من أجل الصلاة إلى الإله، وإلا لن تدخل الجنة عندما تموتين.»

سألتُ: «هل أنت مُتأكّد من هذا؟»، «لأنه لو كان صحيحاً، أنا واثقة أنّ

والدائي سيكون عندهم علم.»

الحّ «جوزيف»: «طبعاً أنا واثق، إسألني أيّ أحد في المدرسة، أو من الأفضل أن تسألني الراهبة» ماري «في حصّة الكتاب المقدّس القادمة. إنها لا شك تعلم الحقيقة، وتعلم ما يُريده الرب.»!

لقد أحببتُ «جوزيف». «لقد بدا مُهتماً وأنه يُريدني أن أذهب حقاً إلى الجنة. من أجل ذلك، نقلتُ سؤالني إلى الأخت» ماري، «ولا حاجة إلى القول إنها كررت الاجابة إنني يجب أن أذهب إلى الكنيسة وأدرس» الإنجيل «إذا أردتُ أن أفوز بعناية الإله. عرضت عليّ بلطف أن تُساعدني على فهم كلمات الإله.

في ذاك الأصيل، عندما وصلتُ إلى المنزل من المدرسة، قررتُ أن أتكلّم مع والدتي عمّا قالت له لي الأخت» ماري.»

«أمي، يقول أصدقائي والأخوات في المدرسة أنه يتوجّب عليّ الذهاب إلى الكنيسة يوم الأحد، وأنه عليّ دراسة» الإنجيل «إذا أردتُ الذهاب إلى الجنة عندما أموت.»

قالت أمي: «كلا، بيتا،» لا تقلقي من ذلك. فقط أخبرني الجميع في المدرسة بأننا هندوس، وعندما تكبرين قليلاً، ستدرسين كتابنا المقدّس،» الفيدا. «إنّ الناس من أماكن مُختلفة يمتلكون مُعتقدات مُختلفة. سوف تتعلمين أننا بعد أن نموت، سنتجسد ثانية في ظروف أُخرى.»

أجبتُ ببعض الحزن: «لا أعتقد أنّ الأطفال في مدرستي سيؤمنون بذلك، أنا خائفة. ماذا لو كانوا على حق؟ لايمكن أن يكونوا جميعاً على خطأ. كيف تكون الأخوات على خطأ؟»

جذبتني أمي نحوها وقالت: «لا تخافي، بيتا.»

«لا أحد يعلم الحقيقة فعلاً، ولا حتى الأخت» ماري. «إنّ الدين هو فقط

من أجل إيجاد الحقيقة، الدين ليس الحقيقة، بل هو طريق فقط. إنَّ الناس المُختلفين يتبعون طرقاً مُختلفة.»

على الرغم من أنه كلام مُريح حالياً، لم تُخفف كلمات أمي مخاوفي المُتنامية على نحو كامل. مع مرور الزمن، تطوّر مفهومي عن التطابق مع دين نظرائي على نحو أسوأ وليس نحو الأفضل.

كنتُ أريد أن تُخبرني الأخت» ماري «أنني ما أزال أستطيع الدخول إلى الجنة على الرغم من أنني هندوسية، لكنها لم تُعطيني الضمان الذي كنتُ أبحث عنه. من خلال ما تعلمته في المدرسة، تفهّمتُ المصير المقيت الذي ينتظر أولئك الذين لم ينجحوا.

ماذا لو قرر الإله أن يأتي من أجلي أثناء نومي؟ لقد قالت الأخت «ماري: «إنه في كل مكان ويعلم كل شيء. هذا يعني أنه يعلم أنني لم أتطهّر روحياً!

من أجل ذلك استيقظتُ في الليل، لم تكن لديّ الجرأة على النوم، فماذا أفعل في حال أخذ الإله تلك الفرصة كي يُريني المصير الذي ينتظر هؤلاء الذين لم يكونوا في حظوته!

اهتمّ والديّ أكثر بقلقي وقلة نومي، وعندما أدركوا أنّ مخاوفي تُصبح أسوأ ولا تتحسن مع الوقت، قررا نقلي في الثامنة من عمري إلى مدرسة الجزيرة.

إنها فقط مجموعة صغيرة من ستة أبنية وأراضٍ مُحيطَة، هذه المدرسة البريطانية كانت في حضانة تلال» هونغ كونغ «فوق طريق» بوين. «لقد كانت أكثر دنيوية، وكان طلابها في ذلك الوقت على نحو رئيس أبناء المُغتربين البريطانيين الهاربين من الحكومة، أو الذين عملوا في شركات مُتعددة الجنسيات ساعدت على بناء وتطوير مدينتنا.

كانت المدرسة في حدّ ذاتها مُسرفة، جميلة، وتحفة فنية في زمانها، مع

مُختبرات علوم ولغة، حديقة حيوانات تجريبية، صالة رياضية، ومساح. على أيّ حال، كطفلة هندية في بيئة بريطانية بالدرجة الأولى، تابعتُ الكفاح. كان معظم الأطفال الآخرين في صفّي شقر بعيون زرقاء، لذلك تمّ نبذي بعيداً والاعتداء عليّ بسبب كوني فقط ذات بشرة داكنة، ولديّ شعر كثيف داكن ومُجعد.

كان دماغي مُمتلئاً بأفكار مثل آمل أن يتوقّف» بيّلي «عن مُناداتي بأسماء مثل» سامبو ! «بالإضافة إلى أنني تعودتُ أن أكون الأخيرة في اختياري من أجل الفرق الرياضية، وكان من النادر أن يُطلب مني الانضمام واللعب. كما سرق الأطفال الآخرون أغراضي عندما لم أكن أنظر إليها مثل كتبي وأقلامي.

لقد جعلتني هذه التصرفات أشعر أنني وحيدة، حزينة، مكتئبة، بيد أنني سيطرتُ على دموعي علناً، وبكيتُ على وسادتي عندما كنتُ أصبح وحيدة في غرفة نومي في المنزل. لم أشأ أن يعرف والديّ أن هناك من يتنمّر عليّ، لأنني لم أشأ أن يعتقدوا أنني مصدر مشاكل لهما. ثمّ إنهما جعلاني أُغَيّر المدرسة مُسبقاً، ولذلك استمرّيتُ بالتظاهر أنني أتأقلم جيداً وأني سعيدة حقاً.

على الرغم من ذلك، كان لحدث مُعيّن تأثير كبير عليّ. كنتُ جالسة في المقهى أهتمّ بشؤوني الخاصة وأكل غدائي، عندما نهض» بيّلي «من مقعده، بعد أن انتهى للتوّ من غدائه، التقطتُ حاملة أطباقه من الطعام المُتبقي، وبينما عبر من أمامي، أراق القمامة الموجودة عليها عمداً على غدائي.

انفجر كلّ من كان يجلس حولي بالضحك المُجلجل. قد يكون البعض فقط من الناس لاحظ ما فعله» بيّلي ، «ولكنّ الأمر بدا وكأنّ كلّ الموجودين في الغرفة يضحكون عليّ.

شعرتُ بغیظ كبير شديد يتنامى داخلي. لقد وصلتُ إلى نقطة حدّ الاحتمال. لقد سئمتُ من مُناداتي» سامبو ، «ومن كوني الأخيرة عند اختيار الفرق

الرياضية، ومن إزعاجي ومُضايقتي، ومن أخذ أغراضي مني، ولم أعد أتحمّل المزيد.

وقفتُ بانزعاج، التقطتُ كوب صودا البرتقال الحلو خاصتي، واستدرتُ في مُواجهة» بيلى «الذي كان ينظر إليّ ويضحك. نظرتُ إليه مُباشرة، وصببتُ الشراب على رأسه!

انفجرتُ الآن الغرفة بأكملها بالضحك، ولكن حمداً للإله، هذه المرة لم تكن عليّ. كانوا ينظرون إليّ» بيلى «يقف ودبق صودا البرتقال يتقطر من شعره وينساب على وجهه وملابسه. بدا غريباً حقاً، بيد أنني كنتُ مذعورة جداً كي أضحك، وكنتُ خائفة جداً من ردة فعله.

حملق» بيلى «بغضب كبير في عينيه تجاهي، وقد شعرتُ كأنّ نظراته تثقب حفراً خلالي، لم أبقَ هناك وقتاً طويلاً من أجل رؤية المزيد من ردة فعله. ركضتُ هاربة من المقهى كالبرق إلى مغاسل الفتيات، وأقفلتُ على نفسي داخل حجرة حمام، وبدأتُ بالبكاء. بكيتُ لأنني عرفتُ أنّ ما فعلته لم يكن من مُواصفات شخصيتي. أردتُ أكثر من أيّ شيء أن أتأقلم وأكون مقبولة ومحبوبة. لم أكن أستطيع أن أُغيّر لون بشرتي أو عرقي، وهذا ما جعلني أشعر باليأس!

لماذا أنا دوماً مُختلفة حيثما ذهبتُ؟ إلى أين أنتمي؟ لماذا لا أشعر أنني أنتمي إلى أيّ مكان؟ لقد أردتُ أن أعرف ذلك بشدة بينما كنتُ أتهد بعرق داخل حجرة الحمام.

حمداً للإله، عندما كبرتُ ودخلتُ سنوات المراهقة، تنحّى التنمر في النهاية. على أيّ حال، بينما بدأ زملائي في الصفّ بكسب الاستقلال، وجدتُ والديّ أكثر صرامة، وخصوصاً فيما يتعلّق بالخروج مساءً مع الأصدقاء، وخصيصاً عندما كان الأمر يتعلّق بالصبية، فقد كان الخروج مع الصبية أمراً مغضوباً عليه في ثقافتنا، ولذلك نادراً ما استطعتُ حضور أمسيات المدرسة الشبابة أو

الخروج في عطلة نهاية الأسبوع مع زملائي.

في النتيجة لم أشعر مُطلقاً أنني مُنتمية إلى أيّ شيء. لقد شعرتُ دوماً أنني مُهملة، عندما كان يتحدث زملائي عن حفلات رقص اليافعين في أمسيات نهاية الأسبوع، ويضحكون ويتشاركون القصص. راقبتهم بحسد، وتمنيتُ لو أنني لم أكن هندية. تركتُ كي أركز على دراستي الأكاديمية بدلاً من ذلك وبقيتُ وحدي مُعظم الوقت. أمضيتُ ساعات لا تُعدّ محبوسةً داخل عالمي، وكان لديّ عدد قليل جداً من الأصدقاء المُقربين فعلياً.

استمرّ والديّ في مُحاولة فعل أقصى ما يستطيعان كي يُلقناني ثقافتنا، ويجعلاني أقابل أناساً هنوداً آخرين، إلا أنني قاومتُ مُحاولاتهما.

أعلنتُ مرةً لأمي في يوم سبت عندما كنتُ في الثالثة عشر من عمري: «لا أريد الذهاب إلى صف» فيدانتا. «كان صف» فيدانتا «من أجل دراسة الكتب المقدّسة الهندوسية، وكنتُ أحضر دروساً أسبوعية فيه وكنتُ أقابل أطفالاً هنوداً آخرين.

قالت لي أمي بينما كانت تُداعب شعري: «ستكون الأمور أكثر صعوبة بالنسبة إليك عندما تكبرين، بالتحديد عندما تتزوجين. تحتاجين أن تعرفي معنى أن تكوني هندوسية.»

فكرتُ: إلا أنني لا أودُّ أن أكون هنديةً أكثر من هذا! أريد أن أكون كزملائي في الصف! قلتُ لها بصوت مُرتفع: أريد أن أخرج مع زملائي الآخرين في المدرسة، فليس عليهم حضور دروس» الفيدانتا. «!

قالت: «أبوك وأنا نُريدك أن تحضري، وهذا كلّ ما في الأمر.»

كنتُ ما أزال غير مقتنعة أنني أريد أن أكون هندوسية، ولكن كفتاة هندية صالحة، أطعتُ أمنيات والديّ. خلال سنوات عديدة تقابلنا أنا وأصدقائي الهنود في الصفوف كلّ أسبوع كي نتعلّم مداخل ومخارج عقيدتنا. وجدتُ أنّ تعاليم

«الفيدا» في حدّ ذاتها مُثيرة للاهتمام ومُحفّزة للدراسة. كان لدينا أستاذ رائع شجّع المناقشة، والتي كنتُ جيدة جداً فيها. كنتُ عضواً مشهوراً في الصفّ، وكان ذلك عكس ما شعرتُ به في المدرسة، حيث أردتُ التأقلم بشدة. لقد شعرتُ وكأنني أعيش حياتين مُنفصلتين.

غالباً ما كنتُ أفكر: كم أتمنى أن أقدر على دمج كلّ شيء، فأصبح مشهورة في المدرسة كما أنا مع أصدقائي الهنود. لماذا لا يرى زملائي في المدرسة ما يراه في أصدقائي الهنود؟

عندما كبرتُ ازداد اهتمامي أكثر فأكثر بالنواحي الفكرية في الدراسة الهندوسية. في الحقيقة استمتعتُ بدراسة «بهاغافادغيتا» و«الفيدا»، حيث تعلّمتُ مبدأ السبب والنتيجة، ومبدأ القدر مُقابل الإرادة الحرة، وموضوعات مُشابهة، وأحببتُ المُحادثات والنقاشات التي أجريناها على هذه الموضوعات. لقد صليتُ وتأمّلتُ أيضاً لأنني شعرتُ في ذلك الوقت أنّ الصلاة والتأمل قاما بتنقية أفكارني. كان هناك الكثير في الواقع ممّا بدا منطقياً ومفهوماً بالنسبة إليّ، على الرغم من أنّ الكثير من المُعتقدات في ثقافتني لا تبدو عقلانية، كقمع النساء، والتوقع منهنّ أن يكنّ خدماً للرجال، وترتيب الزيجات خلاف ما يرغب الناس، مع أنه لا شيء من ذلك منصوص عليه في «الفيدا»!

على الرغم من تعرضي إلى هذا التنوع الكبير من الثقافات والديانات، فلا شيء أعدني لما سيرشح في السنوات القادمة. لم أكن أعلم أنّ كلّ مُعتقداتي السابقة، تصوراتي، فلسفتي، ستُنفض وتهتزّ من أساساتها. على أيّ حال، كنتُ قبل وقت كبير من هذا ما زال أتحدّى ثقفتي وتقاليدي، بينما أنتقل إلى سنّ النضج، وأبحث عن التوازن في حياتي.

مكتبة الكندل العربية

مكتبة الرمحي أحمد

Telegram @read4lead

الفصل الثالث

عثرات في وساطة الزواج

على مرّ السنين وبسبب ثقافتنا، حاول والديّ أن يقنعاني برفق بالزواج التقليدي، وذلك من خلال تقديمي لأبناء أصدقائهم ومعارفهم. لم يكن والدي بالأخصّ تواقاً إلى استمراره في الدراسة بعد المرحلة الثانوية، حيث كان يخشى أنّ ذهابي بعيداً عن المنزل من أجل الدراسة الجامعية سيجعلني أكثر استقلالاً. كان يعتقد أنّ ذلك سيُقلل من فرصي بأن أكون يوماً ما ربّة منزل خانعة ولينة. يعتقد الناس في ثقافتنا أنه كلما قلّ مستوى الفتاة التعليمي، وصغر سنّها، كانت أكثر ليونةً في الزواج، الأمر المطلوب بشدة.

على الرغم من أنّ والديّ كانا لا يُريدان شيئاً في الدنيا أكثر من أن أكون سعيدة، إلا أنه بالنسبة إلى تفكيرهم، لم يتمحور الأمر على مسألة زواجي فحسب، بل كانا يُريدان بالتحديد أن أتزوج شخصاً من ثقفتي وبيئتي. بيد أنّ كلّ ما أردتُ أن أفعله، على أيّ حال، بدا مُناقضاً لذلك.

ألححتُ: «لكن يا أبي، أنا أريد حقيقة الذهاب إلى الجامعة كي أدرس التصوير الفوتوغرافي والتصميم والرسم.»!

أجاب أبي: «لو عثرتِ على دورة تعليمية قرب المنزل فلن أعترض، إلا أنني لن أدعك تعيشين بعيداً عن المنزل من أجل الدراسة.»!

جادلتُ: «لكن يا والدي، أنت تعلم أنه لا يوجد مؤسسات تعليم عليا تُدرّس باللغة الإنجليزية في هذا المكان! يجب أن أرحل من هنا إذا أردتُ الاستمرار في الدراسة.»!

إحتجّ أبي: «هذا غير واردٍ على الإطلاق! أنت تعلمين جيداً أنه من غير المقبول أن تعيش النساء بعيداً عن منزلها قبل أن يتزوجن.»

إلا أنني حينها كنت قد كبرتُ وأصبحتُ امرأة صغيرةً تتمتع بوجهات نظر وآراء قوية، وأصبح مظهري بسبب تعليمي غربياً أكثر، فسألتُ: «لماذا القوانين بالنسبة إلى النساء مُختلفة عن الرجال؟.»

أجاب والدي مُمتعضاً نوعاً ما من جموحي: «إنها ليست قوانين! هكذا تجري الأمور، ويجب أن تكوني فخورة بتمسّكك بقيمك الثقافية وتراثك.»

كان عندي أحلام أريد أن أحققها بعد، وكان عندي إحساس دفين أنها قد لا تُثمر. أردتُ أن أرى العالم ورُبّما أعمل كمصورة فوتوغرافية مُتجولة. أردتُ أن أحمل حقيبة على ظهري وأُسافر في «أوروبا»، وأرى برج «إيفيل» في «باريس»، وأعيش تجربة أهرامات «مصر». أردتُ أن أشعر بالطاقة في «ماتشوبيكتشو» ذلك الموقع الأثري لحضارة «الإنكا» في «البيرو»، «وآكل» بايلا «في» إسبانيا، وأستمتع بالطاجن في «المغرب». «كان هناك الكثير ممّا أردتُ فعله، رؤيته، تجربته، وكنتُ أعلم أنّ الموافقة على زواج تقليدي مُرتب سلفاً سيُنهي فرصي في تحقيق أحلامي. على أيّ حال، لم يُساعد قضيتي حقيقة أنّ صديقتي الهنديتين المُقربتين خُطبتا سوياً وقتها على نحو تقليدي بعد فترة قصيرة من تخرّجهما من المدرسة الثانوية.

من أجل ذلك، ولرغبتني بعدم إثارة المشاكل أو مُواجهة والديّ أكثر من ذلك، اشتركتُ في صفّ محلي للتصوير الفوتوغرافي. وفي الوقت ذاته، لاطفتُ والديّ ولعبتُ دور العروس الرزينة المأمولة، عندما كانا يطلبان مني أن أقابل عرساً مناسبين.

أذكر مُناسبة مُحددة، حين طلب مني والديّ أن ارتدي أفضل ملابس التقليديّة، واصطحباني من أجل مُقابلة عريس مُرتقب آخر. ارتديتُ حريراً أصلياً

زهري اللون مع تطريزات مُرهفة حول خطِّ العُنُق الكبير. كان عندي وشاح وردي رقيق مع تطريزات مُناسبة على الحواف، موضوع بعفوية على رأسي وأكتافي كي يُظهر نفحة من الحياء. اكتمل هذا الزي بسرّوال حريري بلون أزرق فاتح، وزوج أحذية خنجرية زهرية فاتحة.

أتذكّر بوضوح أنني أثناء رحلة السيارة بأكملها، كنتُ أنشيء في تفكيري قائمة من الممنوعات المُحددة المعروفة في مثل هذا الموقف. وجدتُ نفسي أفكّر أنني يجب ألا أتناسى أنني أرتاح في الجينز والحذاء الخفيف أو الحذاء ذي العنق من الملابس الهندية التقليدية، وهناك هفوة أُخرى يجب الاعتراف بها وهي أنه على عكس السنوات السابقة، فإنني نادراً ما زرتُ المعبد الهندوسي أثناء الصلوات الأسبوعية، ما عدا المهرجانات ربّما. عرفتُ أنه يتوجّب عليّ الإحجام عن الكلام عن هواياتي واهتماماتي الأخرى مثل انجذابي نحو الموسيقى الالكترونية، حُبّي الفن، علم الفلك، الاستغراق في أحلام اليقظة، شغفي بالخروج والبقاء في الطبيعة. قررتُ أنه يجب ألا أتكلّم عن أيّ من طموحاتي في المُستقبل، وعن حلمي بأن أقود الدراجة عبر «أفريقيا «يوماً ما، وأن أتجوّل خلال «أوروبا،» وأزور «مصر،» وأكون عضواً فعالاً في المُجتمع مُرتبطة بمنظمات تبني قرى عالمية مُكتفية ذاتياً، وصديقة للبيئة في البلدان المُتطورة، أو أعمل كي أُطوّر منظور الناس في بعض الأمم الفقيرة جداً في «آسيا.»

قلت لنفسي: «كلا، يجب أن أتذكّر ألا أستحضر أيّ من ذلك.»

أتذكّر أنني صنعتُ ملاحظات عقلية كي أُشير إليها على نحو خاص في حضور والدة زوجي المُرتقبة، مثل خبرتي المُكتسبة مؤخراً في لفّ «تشاباتي» على نحو مُمتاز، وهو الخبز التقليدي غير المُخمّر وهو سلعة رئيسة في مُعظم المنازل الهندية، ويتطلّب خبرة كبيرة كي يُرقّ بهدوء فتتشكل العجينة دائرياً. علمتُ أنّ ذلك سيُسعد الأسرة بما فيه الكفاية.

ظننتُ حقيقة أنني نجحتُ في ذلك .اعتقدتُ أنني فكّرتُ من خلال كلّ الأحداث المُحتملة هذه المرة، وأنه لن يحدث أيّ شيء خاطئ، ولكن اتضح أنني لم أقم بوظيفتي على أكمل وجه .عندما وصلنا إلى مكان الدعوة، وهو نادٍ جميل على التلال في» طريق الذروة القديم«، أتى النادل كي يأخذ الطلبات من الجميع .طلبْتُ شطيرة من سمك» التونا«، «غير مُدركة أنّ العريس المُرتقب وعائلته كانوا نباتيين صارمين .لم يخطر هذا الأمر على بالي حتّى عندما طلب كلّ فرد من العائلة إمّا شطيرة جبن وخيار، أو فطيرة جبن وبصل، أو بعض الخيارات الأخرى من الأكل النباتي.

ما كادت الكلمات» سأخذ شطيرة تونا«تخرج من شفّتي، حتى رمقتني والدة العريس المُرتقب بنظرة وكأنها تثقب قلبي .ثمّ بائتلاف مع الأم اتخذت بقية العائلة ذات النظرة نحوي .بينما تركّزت كلّ الأعين عليّ، جلستُ هناك مُتمنية أن تنشقّ الأرضية وتبتلعني.

شعرتُ بالغباء جداً على غلطي !كيف لم ألاحظ أو حتى أدرك إنهم قد يكونون نباتيين؟ عاقبتُ نفسي مرة بعد مرة .في النهاية، لم يكن الأمر غير مألوف في ثقافتي.

لا حاجة إلى القول أنّ ذلك اللقاء بالتحديد لم يذهب أكثر من اللقاء الأول .عند نقطة مُحددة رُبّما، أدى أحد جهود وساطة الزواج إلى خطوبة، وبعد لقاءين فقط، كان عليّ أنا والشاب أن نتخذ قراراً برغبتنا بالخطوبة قبل رؤية بعضنا ثانية.

لم يكن مسموحاً لنا قضاء وقت أكثر مع بعض حتى نُقرر كيف نُريد أن ننتقل إلى الأمام .كان طويل القامة، وسيماً، جيّد التحدّث .كنتُ منجذبة نحوه وأستطيع القول أنه شعر تجاهي بالمثل .كُنّا مُستمتعين بالتعرّف على بعضنا أكثر فأكثر، وكان آباؤنا مسرورين أيضاً، واتفقنا على الارتباط .حصل هذا على شكل

مراسم دينية في معبد» ناناكغورو، «حضرتُهُ كلُّ العائلة والأصدقاء وباركه
«مهراجا». «كانت هذه المناسبة تُدعى» ميسري، «ويمكن ترجمة الكلمة على
نحو غير دقيق» مراسم الخطوبة.»

حدثت خطوبتنا» ميسري «بعد الظهر، وتبعها ذلك المساء حفلة عشاء في
مطعم هندي جيد البناء. تدفَّق الطعام والشراب، وكان هناك موسيقى، ورقصنا
للمرة الأولى. في تلك اللحظة، كنتُ سعيدة بتألق أخيراً شعرتُ أنني أفعل
الشيء الصحيح، وأني سأكون مُستحسنة من أحدهم، بل من الجميع. صدقتُ
أنني سأعيش بسعادة إلى الأبد.

لسوء الحظ، خلال أشهر وبينما اقترب موعد الزفاف، بدأتُ أدرك أنني لن
أكون أبداً الشخص الذي أراده خطيبي وعائلته كزوجة وزوجة ابن، لأنني لا
أناسب الطراز التقليدي. كيف أمكنني ألا أدرك هذا قبل الارتباط؟ حقيقة كان
الارتباط المُنسَّق التقليدي يجب أن يُحذرنِي أن الأمر سيأتي مع توقعات مُعينة.
على الرغم من أن الارتباط قد تعمَّق، بدا فسخه أمراً لا يمكن نقاشه، على الأقل
بقدر ما كانت العائلتان مُهتمتين بالموضوع.

خلال الوقت الذي ارتبطنا فيه أنا وهذا الرجل، طالما تأملتُ أن أتغيّر من
أجله هو وعائلته. ناضلتُ كي أصبح الزوجة وزوجة الابن التي يُفتخر بها. لكن
للأسف بقيتُ أُخيب آمالهم. أردتُ بشدّة إسعادهم، ولكنني وجدتُ أنه من
الصعوبة أن أبقى مُركّزة على مهامي التقليدية بسبب رغبتني التي لا تكفُّ في
مُتابعة أحلامي.

في ذلك الوقت، شعرتُ بخيبة أمل من نفسي. بقيتُ أتساءل: لماذا هذا
الأمر صعبٌ بالنسبة إليّ؟ ما العيب عندي؟ يفعل الآخرون ذلك بكلِّ
بساطة. تُخطب الناس وتتزوج طوال الوقت، بما في ذلك كلُّ أصدقائي أنا!
لماذا أعاني كثيراً مع الفكرة؟ شعرتُ أنني بلا قوة وبلا قيمة، وشعرتُ بمثل ذلك

في النهاية، استسلمتُ لفكرة أنني قد لا أكون أبداً ذاك الشخص الذي يبحثون عنه. كنتُ مُستعدة أن أعترف بالهزيمة لأني علمتُ أنني لا أستطيع الاستمرار في ذلك أكثر.

كنتُفي غاية الخوف، خائفة من أن أخبر أيَّ شخص، ومن ردة الفعل التي سأقابل بها لو فعلتُ. كنتُ خائفة من أن أتزوج ثم أفسل.

علمتُ من أعماقي أنني لن أكون كما يتمنى زوج المستقبل وأهله. كان كلما أفعله حينها من اللباس والتصرفات، نوعاً من التمثيل. علمتُ أنني لن أكون أبداً كما يُريدونني أن أكون. كنتُ سأقضي عمري كله في محاولة أن أكون شخصاً آخرًا، وكنتُ سأفشل لا محالة. ولن أحظى كذلك بفرصة إدراك أيّ من أحلامي، آمالي، أمنياتي.

خلال كل ذلك، لم أخبر والديّ بشعوري أو مدى مُعاناتي، لأنه وللمرة الثانية، لم أكن أريدهما أن يُفكرا بي كمُشكلة. احتفظتُ بكل شيء لنفسي وظهرتُ بمظهر الشجاعة، السعيدة، المُبتسمة دائماً والجاهزة للضحك، والتي تمرّ بكلّ الأحاسيس التي تمرّ بها سيدة صغيرة مخطوبة. لم أشارك أحداً بهذه المعلومة، لأنني لم أكن أريد أن تُصبح آلامي العاطفية ومخاوفي عبئاً على أحد.

بيد أنني وصلتُ إلى نقطة لم أعد فيها أحتمل المزيد، ولذلك في أحد الأمسيات قبل زفاني بقليل، ذهبتُ إلى أمي وانفجرتُ بالبكاء.

قلتُ باكية: «أمي، أنا آسفة جداً، لا أستطيع القيام بذلك.»!

ما أدهشني، أن أمي عانقتني وقالت: «لا تبك عزيزتي. أخبريني فقط عن كل ما يُزعجك.»

«أنا لستُ مُستعدة يا أمي! لديّ أحلام، وأريد أن أسافر حول العالم وأقوم

بأشياء مُختلفة، ولا أستطيع تحمّل فكرة أنني لن أملك الاستقلالية ثانية كي أقوم بكلّ ما أريد فعله.»!

أخرجتُ كلّ ما كنتُ أشعر به بين تنهداتي العميقة. أخرجتُ كلّ أفكارِي، مخاوفي، أحلامي، آمالي، طموحاتي.

أمسكتُ أمي بي بشدّة، وأخبرتني أنها لن تُجبرني على فعل أيّ شيء لا أريد فعله. اعتذرتُ لي من عدم إدراكها مخاوفي من قبل، وعلى دورها في جعلي أقوم بكلّ هذا، على الأقل حتّى هذا الحد. قالت إنها تُريد أن تتحدّث مع أبي، وأخبرتني ألا أخاف وأنها ستدعمني في قراري.

شعرتُ براحة لم أشعر بها من قبل.

ثمّ تحدثتُ مع أخي» أنوب «عن كلّ شيء قلته لأُمّي، وسرعان ما قال لي: «أختاه لا تخافي، أنا هنا من أجلك. كنتُ أتمنى لو أنكِ شاركتنا بمشاعركِ من قبل. لم يكن هناك داعٍ كي تُعاني وحيدة مع مشاعركِ.»

أذكرُ أني قلتُ له بأعين مليئة بالدموع: «لم أدرك أنه كان عندي خيار بعد الخطوبة.»

على كلّ حال، لم يتقبّل أحدٌ من مُجتمعنا» عدا عائلتي «الأخبار على نحو جيد على الإطلاق.

كان الأقرباء، وأعضاء عائلتي، والعائلة المُرتقبة، وآخرون في مُجتمعنا حزينين، غاضبين، وخاب أملهم بعد سماع هذه الأخبار. أتوا إلى رؤيتي، مُحاولين إقناعي بالمضي بالزفاف. أخبروني أنه من الطبيعي الشعور هكذا، وأنّ كلّ شيء سيكون على ما يُرام في النهاية، وأنني يجب أن أمضي في الأمر على أيّ حال. حاولوا إقناعي أنني إذا فككت ارتباطي، فلن يرغب بالزواج بي أحدٌ آخر في ثقافتنا، وسيتلخ اسمي، ولن تدع أيّ عائلة ابنها يقترّب مني.

حاولوا إقناعي أنّ مثالتي غير واقعية، خاصة بالنسبة إلى امرأة، وأنّ آمالي عالية جداً، وأنني لن أجد رجلاً مناسباً أبداً بسبب هذا. قيل لي: خففي من توقعاتك، كوني زوجة وكنة مُطبعة، وستحصلين على حياة جيدة.

شعرت بامتعاض شديد من إيذائي الجميع من خلال اصراري على موقفي. عندما بدأتُ أسمع ما أخذ الناس يتناقلونه عني، شعرتُ أنّ خيارتي كان خاطئاً وخفتُ على مُستقبلي. قال الناس إنني لستُ مُروّضة على نحو كافٍ، وإنه أفسدني الدلال، وأنّ والديّ لم يُرباني على نحو صحيح. قالوا أيضاً إنه كي أستطيع القيام بشيء كهذا كامرأة، يجب أن أكون واثقةً بنفسِي زيادةً. شعرتُ بالسوء والحُزن. لم أكن أُريد أن أختلط مع أحد من مُجتمعنا بعد الآن. ندمتُ على كلّ شيء فعلته: خطبتي، فسخ الخطبة، إيذائي خطيبي وعائلته، إيذائي عائلتي، كوني لست مُروّضة ومؤهلة على نحو كافٍ، كوني لستُ هندية على نحو كافٍ. في الواقع، ندمتُ على كلّ شيء عندي.

لماذا أبقى أعتذر؟ لماذا عليّ أن أعتذر كوني أنا؟ لم أفهم ما المُشكلة عندي. لم أعد أستطيع تحمّل كلّ الشرح الذي توجّب عليّ أن أفعله، وكلّ الناس الذي توجّب عليّ مُواجهتهم. من أجل ذلك، قبل أيام من وقت العرس المُفترض، بعد أن تمّ شراء كلّ شيء ودفع ثمنه، كلّ الترتيبات والهدايا التي تراكمت، الأصدقاء والأقرباء الذي قدموا من كلّ أنحاء العالم، هربتُ، وذهبتُ في رحلة طويلة من أجل رؤية أصدقاء قدامى في «الهند» و«بريطانيا». أردتُ فقط أن أختفي، وأن أغرب من وجه مُجتمعنا إلى أن يهدأ كلّ شيء، لم أكن أُريد أن أتعامل مع أيّ شيء سوى مشاعري. أردتُ أن أستجمع نفسي. علمتُ أنّ المرحلة القادمة من حياتي لن تكون سهلة.

الفصل الرابع

حُبِّي الحقيقي

بعد أن عدتُ إلى منزل والديّ في «هونغ كونغ»، «لم أكن أريد أن أنخرط مُجدداً في المجتمع الهندي، إذ شعرتُ أنني غير كفؤة اجتماعياً. من أجل ذلك، وجهتُ اهتمامي تجاه تطوير المهنة في محاولة كسب بعض الاستقلال.

صرختُ يوماً: «حصلتُ على عمل «!بينما اقتحمتُ باب منزل شقتنا، وكان أبي على أريكته المفضلة يُشاهد أخبار المساء.

أخبرتني إحدى صديقاتي عن شاغر حيث كانت تعمل، وقالت إنَّ هذا العمل سيكون مثالياً لي. كانت تعمل في شركة ملحقات أزياء فرنسية تُوزع بضاعتها في كلِّ «آسيا». كانت الوظيفة تستلزم مُساعدة مُدير المبيعات في تسويق المُنتجات وتلبية طلبات مبيعات الجملة، مع احتمال السفر إلى دول مُجاورة. لم تجذبني المبيعات والتوزيع، ولكنَّ حماسي الأساسي كان من احتمال السفر والاستقلال.

أخبرني أبي بكلِّ فخر بينما استدار بوجهه نحوي: «أحسنتِ بيتا، «كنتُ أعلم أنك ستحصلين عليها. أخبريني عن كلِّ شيء. متى سيبدأ العمل؟ مَنْ سيكون مسؤولاً عنك؟ ما مسؤولياتك؟»

«أبدأ أول الشهر القادم. أنا مُتحمسة جداً! سيكون مُدير التصدير الإقليمي مسؤولاً عني. يمتلك هذا المنصب مُستقبلاً عظيماً. إذا أثبتُّ نفسي أمام مديري، وساعدته في تحقيق أهدافه، فسيعطونني بعض المساحات كي أتعامل معها على نحو مُستقل.»

سألني أبي بعد أن بدا أقل حماساً: «ماذا يعني هذا؟»

أجبتُ: «يعني أنني قد أسافر إلى كلِّ دول الجوار.»!

قال أبي: «على الرغم من أني فخورٌ حقيقةً بكِ حبيبتِي، أريدكِ أن تتذكري أن هذا الأمر من أجل تَمْضية الوقت فقط إلى أن تجدي زوجاً. لا أريدكِ أن تنخرطي على نحو كبير في مهنتكِ بحيث تُصبحين مُستقلة إلى درجة تحول بينكِ وبين الزواج! لازلنا أنا وأُمِّكِ نأملُ بالعثور على القرين المناسب لكِ.»

قلتُ: «أوه يا أبي، لا تُفسِد عليَّ بهجتي! أنا مُتحمّسة بشدّة لهذا المنصب.»!

قال: «نعم أعرف، على كلِّ لا أحد يعلم، بعض الأزواج في هذه الأيام لا يُمانعون أن يكون لزوجاتهم عمل. أنا فقط لا أريد أن يخيب أملكِ فيما بعد لو لم يُوافق زوج المُستقبل على عملكِ وسفركِ، هذا كلُّ ما في الأمر. أنت على حقِّ، لا داعٍ لأن تُفكرِ بالمُستقبل الآن. دعينا نحتفل اليوم بنجاحكِ.»!

صحتُ بينما غادرتُ الغرفة: «أين أُمِّي؟ أريد أن أخبرها الأنباء الجيدة. ثمَّ أريد أن آخذكما كلاكما كي نتعشى في الخارج. ياللمتعة، «ثمَّ هاتفْتُ» أنووب» وشاركته أنبائي الجيدة.

أخيراً بدأتُ الأشياءُ تعملُ لصالحِي. بدأتُ أحصل على الاستقلالية مادياً واجتماعياً.

على مرِّ السنين، وعلى الرغم من أنَّ والديَّ استمرا في المُحاولة في ترتيب لقاءات الزواج التقليدية لي، إلا أنهما ببطء أدركا أنهما يُصارعان في معركة خاسرة.

لقد أحبطتني مُحاولاتهما على نحو أو آخر، لأنهما ما زالا لا يفهمان أنني ضمن معايير ثقافتنا لم أعد طبيعية، وقد فقدت سمعتي بريقها بسبب خطوبتي المفسوخة. كنتُ أعلم أنَّ الناس من ثقافتي يعتقدون أنني مُستقلة

الرأي، ثورية، مثالية، عنيدة، مُتشبثة برأيي، ولم يكن كل ذلك مرغوباً في المرأة. على الرغم من كل ذلك، تمسك والديّ بأمل أنهما لو قدما لي الرجل المناسب، فسأتغير من أجله وأصبح مُروضة أكثر.

في غضون ذلك الوقت، أقلع عملي في الشركة الفرنسية، وتطلّب موقعي مني زيارة مُدن مُجاورة. على الرغم من كوني لازلتُ أعيش في منزل والديّ في «هونغ كونغ»، «إلا أن السفر أتاح لي مستوى من الحرية والاستقلالية أمتعني وجعلني مُمتنة، ومنحني فرصة مُقابلة أناس مُختلفين من مشارب العالم كله. ببطء بدأتُ أشعر بالرضا عن حياتي ثانية. في الواقع، شعرتُ أنني سعيدة، مشهورة، ناجحة، عندما كنتُ خارج حدود ثقافتي. أحببتُ هذا الجانب من حياتي: الناس، عملي مُتضمناً السفر. لم يكن دور الزوجة الهندية التقليدية يروق لي بتاتاً. كان ذلك أبعد ما يكون عن تفكيري، ولم أرَ أيّ فائدة من التخليّ عن كل ما كان عندي، فاستمررتُ بالعدول عن مُحاولات والديّ في إيجاد الزوج المثالي لي.

لقد حملتُني ضميري على الدوام شعور أنني غير مُلائمة على نحو أو آخر. شعرتُ أنني فشلتُ، ولم أنجز المعيار المُتوقّع مني. لقد تبعني هذا الصوت الشاكي في كل مكان، وكان حريصاً على عدم شعوري بالرضا أو بالاستحقاق على نحو كافٍ. كنتُ على نحو أو آخر بضاعة خربة، أو مُعطلة.

في أحد الأيام أواخر عام 1992 وعلى نحو غير مُتوقّع، قابلتُ الرجل الذي سيُصبح في النهاية زوجي، على الرغم من أنني في البداية لم أعتقد أنه سيكون الرجل المثالي لي. تقابلنا بالصدفة مساء أحد الأيام من خلال شخص مُشترك بيننا.

سألتنِي «ناينا» «على الهاتف»: هل تعرفين رجلاً اسمه «داني مورجاني»؟» «بينما كنتُ أجلس على مكثبي في العمل أُحاول إنهاء تقرير مبيعات الأسبوع المطلوب في نهاية الأسبوع. كانت» ناينا «صديقة لا تعيش في» هونغ كونغ، بل

تزورها في ذلك الوقت، وكنا سنخرج سوياً ذلك المساء من أجل تناول الشراب.

أجبتُ: «كلا، لم أقابله أبداً، لماذا السؤال، مَنْ هو؟.»

أجابتُ: «إنه حقاً شخص هندي لطيف، قابلتهُ بينما كنتُ في «نيويورك» الصيف الفائت. على ما يبدو إنه يعيش ويعمل في «هونغ كونغ»، «أنا مُتفاجئة أنك لم تُقابليه من قبل.»

أجبتُ: «أنت تعرفيني. أنا أخجل من مُجتمعي، خصوصاً بعد ما حدث معي! هناك الكثير من الهنود في «هونغ كونغ» لم أقابلهم قط، وليس الأمر مُستغرباً.»

قالتُ: «حسناً، أنتِ على وشك مُقابلته، لقد تبعتهُ وسألتهُ أن ينضمَّ إلينا في تناول العصير هذا المساء.»

لاحقاً تلك الليلة، عندما دخلنا إلى «نادي «97 أنا و» ناينا»، وهو مكان جلوس ومشرب مُتطور جداً في قلب المدينة، تعرّفتُ على هذا الرجل مُباشرة، على الرغم من أنني لم أقابله أبداً من قبل. كان هناك واقفاً ببساطة وحده، يرتدي كنزة قطنية قرمزية ذات قبة عالية، وسروال أسود. كان يتأمّلنا بينما دخلنا، وعلى الرغم من أنه كان هناك من أجل لقاء «ناينا»، ولكنني لاحظتُ أنه كان يُلاحقني بنظراته في كلِّ حركة بينما مشينا في اتجاهه وجلسنا. حتى عندما حيّتهُ صديقتي، رأيتُ أنه لم ينظر بعيداً عني، وفي اللحظة التي التقتُ فيها أعيننا، انفجر شعور بالمعرفة من خلال كلِّ منا. لقد بدا وكأننا نعرف بعضنا البعض منذ زمن بعيد، وكان الإحساس مشحوناً بالطاقة. كنتُ مُدركة تماماً أنه يشعر بذات شعوري تجاهه، وبدأنا بالتحدّث.

ارتبطنا على أصعدة مُختلفة، وفي نهاية الأمسية تبادلنا أرقام الهواتف. من المُثير أنه خابرنِي في اليوم التالي، وخرجنا إلى العشاء سوياً. كان لطيفاً على نحو كبير، يجلب لي الزهور ويأخذني إلى مطعمي المحبوب وهو «مطبخ جيمي»،

الذي ما زال المفضل لدينا حتى اليوم.

على أي حال، كلما تواصلنا أكثر خلال الأسابيع التالية، وجدت نفسي أنجذب بعيداً، لأنني لم أكن أثق بغرائزي. كان بقائي معه خيالياً ويشحنني بالطاقة في آن معاً، ولم أشعر بمثل هذا الشعور منذ زمن بعيد. أربعني ذلك، لأنني كنت خائفة من كونه هندي، ولم أكن أريد التورط مع رجل من ثقافتني نفسها، على الأقل ليس الآن، وربما إلى الأبد.

عرفت تماماً أن الزواج ضمن الثقافة الهندية يعني عادة الالتحام مع العائلة بأسرها. لن يكون الأمر رباطاً بين شخصين فقط، ولكن بين عائلتين. كنت خائفة أن أتورط مرة ثانية بشيء أرفضه. أردت أن أتزوج الرجل وليس كل أقاربه، بيد أنني كنت أعرف ثقافتنا، وهذا ما جعلني خائفة، بل مذعورة أيضاً مما ستفكر عائلته عني.

هل سيتكرر الموقف ثانية؟ هل تعرف عائلته عن ماضي؟ هل سيرفضونني إذا علموا أنني فسخت خطبتي مرة؟ كيف لي أن أتأكد أنه ليس لديه توقعات تجاهي مُشابهة لما يعتقد أولئك الرجال في ثقافتني نحو زوجاتهم؟ لم أكن أريد أن أتأذى ثانية، ولم أرد أن أوذي أحداً أيضاً.

بيد أن «داني» كان صبوراً جداً، وأعطاني كل الوقت الذي كنت أحتاجه، وقد قدرت ذلك له كثيراً. اكتشفت أن وجوده لا يُقاوم، وأنه جعلني أشعر أنني محبوبة على نحو لم أشعر به من قبل. كانت هناك معركة بين قلبي ودماعي، وكان قلبي يفوز.

بينما ازدادت معرفتنا ببعض، بدأت أدرك أن «داني» يُشبهني كثيراً. لم يكن مُرتبطاً بترائنا أيضاً، فقد نشأ في «هونغ كونغ» ودرس في مدارس ذات نظام بريطاني. رفض الكثير من عاداتنا، خصوصاً الأفكار المتعلقة بالمرأة والزواج. كان دائماً كريماً وصريحاً بهيله ومحبته نحوي، وكان حبه خالصاً وغير مشروط. للمرة

الأولى لم أشعر بالضغط من أنه يجب أن أكون على نحو ما كي أفوز بالرجل، أو من أنه يحمل أجندة وخطة من أجل التعامل معي.

كان «داني» يمتلك شعور مزاح مُذهل، ووجدتُ ذلك جذاباً جداً. كان يضحك بسهولة، وكان ضحكه مُعدياً، لذلك كانت لقاءاتنا معاً في غاية المرح. بدا وكأنه يعلم تماماً متى يتصل وماذا يقول في الوقت الصحيح. كان رقيقاً، وفي الوقت ذاته قوياً ومُقنعاً، وقد أحببتُ ذلك فيه.

على أيِّ حال، وجدتُ نفسي أفكر أنها مُجرد مسألة وقت قبل أن يكتشف العيوب الموروثة عندي. كنت خائفة أنه سُرعان ما سيخيب أمله بي.

بيد أن ذلك اليوم لم يأتِ أبداً. كان «داني» ثابتاً وغير متردد في إعجابه بي. كان يتصل بي على الهاتف فقط كي يسألني عن صحتي، ويُرسل لي الورد والهدايا في المناسبات الخاصة، وعلى خلاف نظرائه، أحبَّ طبيعتي المُستقلة، وبدلاً من أن يكون خائفاً من اهتماماتي وأحلامي وتطلعاتي، وجد أمر جنوحي من مُحاولات والدي ترتيب زواجي أمراً مُضحكاً. أحبَّ كلَّ صفاتي تلك، وكان مُهتمّاً بي أصلاً لكوني أنا، وكان شعور القبول هذا جديداً ومُنعشاً بالنسبة إليّ.

تخرّج «داني» من الجامعة بشهادة إدارة أعمال، وكما يحدث عادةً في مُجتمعنا، كان والده يمتلك شركة، وكون «داني» ولده الوحيد ووريثه جعله مُضطراً أن ينضمَّ إلى عمل العائلة هناك.

في ذلك الوقت كان عملي يستلزم السفر خارج «هونغ كونغ»، وكذلك كان عمل «داني» أيضاً، وكنتُ أجد بين الحين والآخر وجهه المُبتسم يُحملك بي في مطارات عديدة، حيث كان يُنسّق رحلاته كي تتقاطع مع رحلتي.

في أحد الأمسيات، بينما كُنّا نسير على شاطئ «ديب ووتر»، «أحد شواطئ المفضلة في جزيرة» هونغ كونغ، «سألتُ» داني «على نحو غير رسمي هل كان عنده أيّ فكرة عن خطبتي الماضية، وما كان يقوله الناس عني في مُجتمعنا. لم

نتحدّث عن ذلك أبداً، ولذلك كنتُ خائفة تقريباً من السؤال .لم أكن مُتأكّدة من شعوره لو لم يكن قد سمع عن الموضوع.

أجاب: «نعم علمتُ بهذا منذ أن قابلتُك تقريباً، وبفضل مُجتمعنا الجميل، أُضيف إلى النسخة التي سمعتها عشرة أمثال الحقيقة، والكثير من التوابل الإضافية من أجل زيادة الفعالية.»!

سألته وأنا قلقة بعض الشيء عما سيقوله «:كيف شعرتَ تجاهي عندما اكتشفتَ الموضوع.»

أجاب: «هل أنتِ مُتأكّدة أنكِ جاهزة من أجل سماع الحقيقة؟»، «مع ابتسامة صغيرة على أطراف شفاهه.

قلتُ: «نعم، الحقيقة الخالصة لو سمحت، أنا مُستعدة»، «وجهتُ نفسي لما هو آت.

«حسناً، عندما سمعتُ بما قمتِ به، أول ما بدر إلى ذهني كان: نعم! هذا هو نمط المرأة التي أودُّ أن أتزوَّجها، شخص له عقله المُستقل.»!

ارتسمت ابتسامة عريضة على وجهي بينما شعرتُ بطوفان كبير من الراحة يغمرنني. أذكر أنني قلتُ: «إذاً أعتقد أنك لست مُعجباً بي بسبب مهاراتي في صنع «تشاباتي»، «أليس كذلك؟»

«هيه، أنت تُقللين من قُدراتي أيتها السيدة الصغيرة! أنا ماهرٌ في صناعة «تشاباتي»، وهذا ليس كل شيء. أنا أنظف النوافذ والحمامات، وأقوم بالكوي أيضاً.»!

في تلك اللحظة، انقلبت ابتسامتي إلى ضحكة كبيرة. وقعنا سوياً على الرمل وضحكنا إلى أن سالت دموعنا على وجنتينا. ضحكنا على كل شيء، وعلى لا شيء في الوقت نفسه.

عندما خفت ضحكاتنا، جلس على ركبتيه بينما ما زلتُ جالسة على الرمال، وتقابلت عينانا. أخذ كلتا يديَّ بيديه وقال: «أنتِ، أردتُ أن أسألك هذا من أول يوم قابلتك فيه. هل تتزوجيني؟»

كانت تلك اللحظة التي علمتُ فيها بالتأكيد أنه الوحيد من أجلي. لقد وجدتُ شريك روعي.

في السابع عشر من آذار، 1995 بالضبط بعد شهرين من تقدم «داني» إلى خطبتي، حدث ما لم يكن مُتوقعاً. رنَّ الهاتف واستدرتُ في سريري كي أنظر إلى الساعة.

تساءلتُ بينما رفعتُ السماعَةَ: «ما الذي يحدث؟ إنها الخامسة والرابع صباحاً.» «قبل أن أُجيب، علمتُ أنها ليست أخباراً جيدة.»

أسمع صوت أمِّي المليء بالدموع على الطرف الآخر من الهاتف قبل أن أنطق: «بيتا، حبيبتي، هل هذه أنتِ؟» «نعم، أنا هنا، هل هناك شيء خاطئ؟» «شعرتُ بالخوف يتعالى داخلي ويخرج مع صوتي. ارتجف قلبي، وفزع جزء مني من الأخبار القادمة إليّ من قطعة البلاستيك التي أمسكها في يدي، بينما كان جزء آخر مُتلهف كي يعلم الأمر ويُنهى التوتر.»

قالت أمِّي بصوتها الباكي: «إنه والدك، لم يستيقظ هذا الصباح. لقد رحل في نومه.»

عندما بدأتُ صحة أبي بالتراجع قبل بضعة أشهر، ذهب والديّ إلى «الهند» كي يجداً علاجاً بديلاً، كالعلاج الأيروفيدي، وتوقعته أن يعود في موعد زفاني في صحة جيدة، كي نرقص «بهانجرا» رقصاً الاحتفالات الهندية المفضلة معاً خلال الاحتفالات. لم أصدّق أنّ هذا يحدث. جمعتُ أغراضى باهتياج ودموع، ألقيتُ كلَّ ما وجدته في حقيبة، بينما أعدُّ أخي ترتيبات السفر إلى «بونا» في «الهند»، على بُعد أربع ساعات من «مومباي.»

تبدو رحلتي إلى» الهند، «الجنّازة، والوقت الذي أمضيته مع عائلتي، كومضات تأتي وتذهب في ذاكرتي المشوشة. إلا أنني لن أنس اليوم الذي أخذنا فيه رماد أبي في جرة مصقولة جميلة، إلى نهر» إندراياني، «الذي يمرُّ في مدينة «ألاندي» المقدّسة، شرق» بونا. «وقفنا على الصخور المطلة على امتداد النهر في الوقت الميمون من النهار، حيث أخبرنا رجل الدين الهندوسي» مهراج «أن نكون. فتح أخي غطاء الجرة وأمالها ببطء، تاركاً النسيم يأخذ الرماد وينثره على سطح الماء. نظرنا والدمع يسيل على وجناتنا، بينما حمل النهر الرماد بعيداً. كيف يُمكن أن نقول وداعاً لهذا الرجل الرائع؟

همستُ لأبي بينما وقفتُ هناك ويدي مضمومتان في صلاة» برانام»: «أبي، أه يا أبي الحبيب، أنا آسفة إذا سببتُ لك أيّ ألم في أيّ وقت.

سألتُ الأمواج بينما ابتلعت رماده، وكانت الدموع تنهمر على وجنتي: «سأتزوج، ولن تكون هنا كي تراني وأنا أسير حول نار الزفاف. لقد عشتَ تنتظر هذا اليوم في حياتي. كيف استطعتَ أن تتركني الآن؟»

كانت الأشهر القليلة فيما بعد حلوة مرة، حيث كُنّا مع عائلتي ننعي أبي، ونتحدّث عن الاحتفالات القادمة. كنتُ أستطيع رؤية أن أمي مُرتاحة وهي تتطلع إلى حفل زفافي، لأنه يُلون هذا الوقت الصعب الحزين، وقد أعطاهما التخطيط لهذا الاحتفال شيئاً آخر تُركّز عليه.

إلا أننا جميعاً افتقدنا أبي، وشعرنا بحُزن شديد لأنه لن يكون هناك في المناسبة الوحيدة التي كانت في غاية الأهمية بالنسبة إليه. كانت رؤيتي وأنا أتزوج وكأنها رسالة حياته، إلا أنني عزيّت نفسي بتذكيري لنفسي أنه كان هناك عندما خُطبتُ، وكان في غاية السعادة من أجلي، وكأنه رحل بقلب سعيد.

سويّاً مع والدي» داني «استشرنا» مهراج «في التاريخ الميمون من أجل الزفاف وقلنا له يجب أن يكون لاحقاً خلال السنة، حيث كانت عائلتي ما تزال

حزينة على رحيل والدي، ولم نكن بعد في حال ذهنية سليمة تسمح لنا بالاحتفال. راجع تقويمه المُقدّس، آخذاً في عين الاعتبار تواريخ مواليدنا، وأخبرنا أنّ السادس من كانون الأول عام 1995 سيكون تاريخاً ميموناً بالنسبة إلينا.

بدا الأمر بعيداً جداً وقتها. إلا أنّ الأشهر مرّت سريعاً بينما كُنّا نقوم بالترتيبات، إذ حجزنا مكان إقامة العرس، وطلبنا ثوب العرس «ساري»، «وصممنا بطاقات الدعوى، وأنجزنا المهام التي لا تُعدُّ ولا تُحصى المطلوبة في الزفاف الهندي.

أفنت أُمي نفسها في مُساعدتي على تنظيم الحدث كي تُبعد نفسها عن جوّ خسارتها القريبة، وكانت كلّها فخر عندما اختارت «ساري «الزفاف، وكلّ الملابس الأخرى التي كنتُ سأرتديها خلال المناسبات اللاحقة. اختارت ثوب «ساري» مُذهلاً مع شريط بلون بني فاتح كي أرتديه يوم حفل زفاني، و«ساري «أبيض مع خيوط ذهبية ناعمة مُحَاكاة بخفّة من أجل الزفاف المدني.

هكذا في السادس من كانون الأول 1995 تزوّجت شريك روعي «داني» في حفل زفاف هندي مُتقن، مع احتفالات دامت أسبوعاً تقريباً! لقد أتى أصدقاؤنا وأقاربنا من أنحاء العالم إلى «هونغ كونغ» كي يحضروا المراسم والاحتفالات التي بلغت ذروتها في استقبال تحت النجوم على مرج نادي «هونغ كونغ «الريفي، الذي يُطلّ على شاطئ المُفضّل» ديب ووتر باي، «في جنوب جزيرة» هونغ كونغ.»

في أحد الأيام قبل أشهر من المناسبة، كُنّا نتناقش حول مكان الزفاف، وقلتُ مازحة: «ألن يكون رائعاً أن نتزوَّج على الشاطئ الذي تقدّمتَ إلى خطبتي فيه؟.»

قلّبتنا الفكرة بضع دقائق، وسُرعان ما صرفنا النظر عندما فكّرتُ بخيبة أمل السيدات من الضيوف بأحذيتهنّ الخنجرية وهي تعلق في الرمال. ثمّ تذكّرتُ

أنه فوق الصخور تجاه أحد أطراف شاطئ» ديب ووتر باي «هناك نادي» هونغ كونغ «الريفي، بمروجه الممتدة والمترامية الأطراف والمُطلّة على الخليج ذاته الذي طلبني فيه» داني .«كانت تلك اللحظة عندما قررنا أنه سيكون المكان المثالي من أجل الاحتفال.

كانت أمسية جميلة في النادي الريفي، وكان هناك نسيمٌ بارد لطيف، بينما كان يتردد صدى موسيقى الزفاف الهندية « شيناى » في هواء الليل العليل .مشينا مع « داني » يداً بيد سبع مرات حول النار كي نضع ختماً على اتحادنا، بينما أنشد «مهراج » نذر زفافنا باللغة السنسكريتية .لقد بدا « داني » وسيماً وأميراً، واقفاً جانبي بحلة الزفاف الملكية» شيرفاني «الكاملة مع العمامة .كنتُ أرتدي الساري ذي الشريط البني الفاتح الذي اختارته أمِّي، وطرفه يتثنى بحرية فوق رأسي، فوق أزهار الياسمين المحبوكة في شعري .كانت يداي وقدماي مصبوغتين بالحناء مع نقش ورود دقيق، كما هو التقليد الهندي للعرائس.

بينما دُرنا حول النار، بقيتُ أنظر في أوجه أفراد عائلتي، وكنتُ أشعر أنّ أمِّي وأخي مُتألمان من عدم تواجد أبي، يتمنيان لو كان هنا كي يحضر هذه الأمسية المُميّزة.

بعد أن اكتملت الطقوس، بدأ الاحتفال الكبير، مع الأكل، الشرب، الموسيقى، الرقص .بعد أن انتهت آخر الأعمال، وصرنا مع « داني » في غرفة فندقنا من أجل ليلة زفافنا، كنتُ مُنهكة ومُتحمّسة في الوقت نفسه .علمتُ أنّ هذا هو الرجل الذي أردتُ أن أكون معه بقية عمري .شعرتُ أننا سنعيش في سعادة إلى الأبد.

الفصل الخامس

تشخيص حالة الخوف

بينما مرّت السنوات، بنينا مع «داني» حياتنا معاً. لقد ترك عمل العائلة كي يبدأ عملاً في التسويق والمبيعات في منظمة مُتعددة الجنسيات، ثمّ انتقلنا من السكن الذي كان يسكنه من أيام الدراسة الجامعية في قلب المدينة، إلى شقة جميلة في ضواحي «هونغ كونغ» الهادئة، وتبنينا كلباً أسميناه «كوزمو».

بعد زواجي بفترة بسيطة قرر أخي أن يترك «هونغ كونغ» كي يبدأ عملاً في «الهند» بسبب الركود الذي حلّ في مدينتنا، كما أنه رأى فرصة لنفسه في «الهند». «من أجل ذلك انتقل هو وزوجته» مونا «وطفلهما الصغير» شاهن «إلى هناك، وتبعتهم أمي بعد فترة وجيزة. افتقدتهم بشدة لأني لم أعش أبداً سابقاً في بلد بعيد عن عائلتي.

كي يزداد الأمر سوءاً، فقدتُ عملي في الشركة الفرنسية بسبب الركود، حيث انخفضت المبيعات على نحو مأساوي. لقد أغضبني هذا الأمر الذي أتى على نحو مفاجئ، وأضيف إلى الضغط والوحدة اللذين كنتُ أشعر بهما بسبب مُغادرة عائلتي من «هونغ كونغ».

خلال تلك الفترة، شعرتُ أيضاً بالضغط من مُجتمعنا وقريناتي كي أنجب ولداً، على الرغم من أنني في ذلك الوقت كنت مُهتمة أكثر بالعمل والترحال واكتشاف العالم.

في النهاية، وجدتُ عملاً غير مُلزم بدوام «عند شركة نقل منازل. كانت مسؤوليتي تستلزم مُساعدة المُغتربين الجدد على الاندماج في» هونغ كونغ، واستمتعتُ بالحرية التي وفرها العمل، حيث لم يكن بدوام كامل.

لم أشعر أنّ الوقت قد حان كي أنجب، ولكن في مجتمعنا يُتوقَّع منك لحظة تتزوج أن تُنجب الأطفال فوراً. كنتُ غالباً ما أجد نفسي مُمزقة بين التوقعات الخارجية وما أردتُ فعله حقيقة، وكنتُ أشعر أحياناً أنني غير مُلائمة تقريباً بين صديقتي كوني لا أريد الأشياء نفسها التي يُريدونها، خصوصاً بسبب رغبتني في تأخير الإنجاب.

بقي أفراد من مُجتمعني يُذكرونني أننا كنساء لدينا ساعة في جسدنا تسير ضدنا، الأمر الذي لم يفعل شيئاً سوى تغذية الخوف الذي يعيش داخلي، وذاك القلق القديم الذي ابتداءً من قلقي كوني «فتاة» صاحبة مشاكل، وكوني على خطأ لأنني لم أنسجم في أيّ مكان. أتذكر التفكير: لو كُنّا بالفعل نُريد الأطفال، بإمكاننا دائماً التبني! هناك الكثير من الأطفال غير المرغوب بهم في العالم، يتمنون أن يُمنحوا منزلاً، ثمّ إنني لن أقلق من السّاعة البيولوجية!

في الواقع تناقشنا مع «داني» في هذا الأمر بجدية، واتفقنا على أنّ التبني مسألة منطقية جداً. كما أنه يُزيل الضغط من كوني عبدة لجسدي. على كلّ حال، كلّما كنتُ أذكر هذا الاحتمال أمام الآخرين في مُجتمعنا، كنتُ أحصل دائماً على ردود أفعال سلبية، وأشهرها كان: «ألا تُطيقين الأطفال؟ أوه، أنا في مُنتهى الأسف.»

من جديد، أجد الخوف القديم من «ألا» أكون في المستوى «يلتفت إليّ في داخلي، بيد أنّ تركيزي على هذا الموضوع انتهى بسرعة.

في صيف عام 2001، تمّ تشخيص إصابة صديقتي المفضلة «سوني» بالسرطان، وقد هزّني الخبر حتى الأعماق. ذات يوم عانت من صعوبة في التنفّس، وعندما ذهبَت كي تفحص نفسها، وجدوا ورماً كبيراً في حلقها يضغط على رئتيها. لم أصدّق أنّ هذا يُمكن أن يحدث لها. كانت صغيرة، قوية، نابضة بالحياة، وفي غاية الصحة، وكان عندها الكثير كي تعيش من أجله. أدخلها الأطباء

إلى المشفى على الفور من أجل الجراحة واستئصال الكتلة، وقد تلا ذلك علاج بالأشعة والمواد الكيميائية.

ثمّ خلال أشهر قليلة من تشخيص «سوني»، «استقبلنا نبأ أنّ زوج أخت «داني» الصغيرة تمّ تشخيص اصابته بنوع عدائي جداً من السرطان.

غرست هذه الأخبار خوفاً عميقاً داخلي لأنّ كلاهما كانا في عُمر قريب من عمري. بدأتُ أبحث في كلّ ما يتعلق بالسرطان وأسبابه. قمتُ بذلك في البداية على أمل المساعدة، لأنّي كنتُ أريد أن أقف مع «سوني»، «وأُساعدها في معركتها. بيد أنّي وجدتُ أنه كلما قرأتُ عن المرض، ازداد خوفي من أيّ شيء يُحتمل أن يتسبب به. بدأتُ أوّمن أنّ كلّ شيء يُسبب السرطان: المبيدات الحشرية، أفران «المايكروويف»، المواد الحافظة، الطعام المُعدل وراثياً، أشعة الشمس، تلوث الهواء، أوعية الطعام البلاستيكية، الهواتف المحمولة، وهكذا. استمرّ هذا إلى أن خِفْتُ في النهاية من الحياة ذاتها.

لقد كان السادس والعشرين من نيسان 2002 يوماً لن ننساه أنا و «داني» بسهولة. دخلنا إلى غرفة الطبيب بتردد وكأننا ندخل منزل الموت. كان الخوف يجثم حولنا، مُنذراً بصدمة تختبئ في كلّ زاوية. كان عصر يوم جمعة، آخر يوم عمل قبل أن نتشارك إجازتنا معاً. أسرعنا في طريقنا خلال الزحام، حيث بدأ كلّ الناس «إلا نحن» «مُغادرة عملهم كي يحتفلوا» بالساعة السعيدة» قبل الإجازة. بصعوبة لاحظنا ضوء الشمس البرتقالي يعكس شعاعه الناري على زجاج ناطحات السحاب في مدينتنا النابضة بالحياة بينما مالت الشمس خلف الميناء. كُنّا اليوم سنُعلم بنتائج الفحص الذي أجراه الأطباء لي.

قبل أيام قليلة، وجدتُ كتلة صغيرة فوق على كتفي الأيمن مباشرة فوق عظم الترقوة. في تلك اللحظة، رفضتُ، أو بالأحرى صممتُ أنها لن تكون إلا كيساً أو بثرة كبيرة. إلا أنّ الصوت البشع الخافت خلف تفكيري، المتنبئ

بالمصائب، وخزني بلا كلل، مُحاولاً اقناعي أنها أكثر من ذلك.

خلال الأشهر القليلة الماضية، كنتُ أزور وكلي دموع صديقتي «سوني» وهي مُستلقية تحتضر في المشفى من السرطان المُشخص في العام الماضي. برعب وأسف شاهدتُ جسدها يُؤكل حياً شيئاً فشيئاً، ويُلتهم من وحش أبي الترويض رغم أكثر علوم الطبّ المُتوقّرة حداثة. لم أدع نفسي تُفكّر بأنّ هذا الرعب قد يحصل لي. إلا أنّ هذا النتوء تحت رقبتني أجبرني أن أواجه الاحتمال وأفحصها. أخذوا خزعة، وكنْتُ سأحصل على النتائج اليوم.

كان الطبيب لطيفاً جداً عندما صدمني بالأنباء: «لديك» ليمفوما، وهي نوع من السرطان يُصيب النظام الليمفاوي. «من لحظة تفوهه بكلمة سرطان توقّف سمعي عن متابعة ما كان يقول. أتى صوته لي وكأنه يتحدث من تحت الماء. شخص بصري وتسمّر على المشهد من نافذة العيادة. لم يتغيّر شيء في الخارج، فقد تابعت الشمس رحلتها وهي تغرب ببطء خلف الميناء، وتوهّجت ناطحات السحاب بتدرجات برتقالية وصفراء كامدة، وتابع الناس طريقهم إلى ساعة الفرح والضحك السعيدة قبل الإجازة، إلا أنّ معرفة ما كان يحدث داخلي غير حياتي كلّها مباشرة على نحو آني.

عدد الطبيب الخيارات المُتاحة بتعاطف وأكّد: «سأبقى معك، أيّ كان قرارك وخيار المُعالجة الذي ستختارينه. إلا أنه في البداية سأحجز لك من أجل صورة شعاعية صباح الاثنين كي نُحدد مرحلة السرطان. وبعد الصورة تعالي إلى عندي، وسنناقش النتائج.»

كان صوته زئيراً مكتوماً في رأسي، وقد دفعتُ بنصيحته بعيداً. بالكاد كنتُ أسمعُه يُخبرنا أن نرتاح ونستمتع بالإجازة على أقصى حدّ نستطيع فعله.

إصطدم الذعر بعنف مع السبب. لم نستطع أنا و«داني» التفكير، بل رفضنا أن نُفكّر. لم نستطع التفكير في السرطان، الخيارات، الموت! أردتُ أن أسحب العالم

الطبيعي من حولي وأهرب بعيداً. بالطبع لم أستطع النظر، ولم أكن قادرة على النظر في الخيارات. كان ذلك أمراً مُخيفاً، وكان دماغي في دوامة من الارتباك. لحسن الحظ قال الطبيب إنه لا يتوجب علينا اتخاذ أيّ قرارات قبل صباح يوم الاثنين حيث موعد صورة الرنين المغناطيسي، والحديث معه عن المُعالجة القادمة.

على الرغم من أنّ تفكيري كان في مكان بعيد وكان لديّ أسئلة كثيرة، إلا أنّ «داني» أقنعني أن أخرج في موعد غرامي وأترك العالم خلفي. عندما عدنا إلى منزلنا، ارتديتُ فستاني المرّجاني الأحمر المُفضّل، وبينما وقفتُ هناك بكامل زينتي لفّ زوجي ذراعيه حولي وقال: «لا تخافي. سنجتاز الأمر سوياً.»

في هذه الأمسية ركضنا مع زوجي بعيداً، على الأقل مُوقتاً.

تعشّينا تحت النجوم في «إل سيد»، «مطعمي المُفضّل في الهواء الطلق، المُطلّ على الواجهة المائية لخليج» ستانلي «في الجهة الجنوبية من جزيرة» هونغ كونغ. «بزغ القمر بكامله في صورة البدر، بينما رفرفت نسمة بحرية علية في الهواء. لقد اكتملت أصوات الأمواج الناعمة القادمة من المُحيط القريب، بموسيقى فرقة» مارياتشي «التي جالت عذبة من طاولة إلى طاولة. من أجل ضمان أن تكون أمسية مثالية، أعطينا الفرقة نقوداً كي تقف جانبنا أطول فترة مُمكنة وتعزف الأغاني المُفضلة عندي. تدفّقت موسيقى» سانجريا «وعزف العازفون، ونسينا العالم خلف طاولتنا.

في صباح اليوم التالي، استيقظتُ مُلتفة بين ذراعيّ «داني»، «وكان أمراً رائعاً أن أستدفيّ قربه وأدفع بالعالم بعيداً. أردتُ أن تكون رحلتي إلى عيادة الطبيب مُجرّد حلم مُزعج، إلا أنّ الواقع دفع رأسه البغيض في أفكاري. لا يزال عندي سرطان ولا يُمكنني الهروب من هذه المعلومة. كيف يُمكن أن أهرب من جسدي؟

تُدْهَشْنِي الأَلْعَابُ الَّتِي يُمَكِّنُ أَنْ نَلْعَبَهَا فِي تَفْكِيرِنَا! بَيْنَمَا تَلَوَى صَبْحَ الِاثْنَيْنِ إِلَى ظَهِيرَةِ، لَمْ أَكُنْ أُرِيدُ أَنْ يَعْرِفَ أَحَدٌ بِالتَّشْخِيسِ. إِذَا لَمْ يَكْتَشِفْ أَحَدًا لِأَمْرِ، فَلَنْ أَكُونَ مُضْطَرَّةً أَنْ أَتَعَامَلَ مَعَ الْمَرَضِ. بِإِمْكَانِي الْهَرُوبِ بِتَفْكِيرِي إِنْ لَمْ يَكُنْ بِجَسَدِي.

قال «داني» «بعقلانية»: «أتعلمين، يجب أن نُخبر عائلاتنا.»

قلتُ مُساومةً: «أعلم ذلك، لكنهم سيُضخّمون الموضوع. هل لي بيوم آخر من السلام والعزلة قبل أن نُخبر أحداً؟.»

على كل الأحوال، إتصلتُ أمِّي ظهر ذلك اليوم كي تسأل لماذا لم تسمع مني نتائج الخزعة، فأفشى «داني» إليها النبأ، وكان الأمر التالي الذي علمته أنها حجّزت رحلتها على الطائرة إلى «هونغ كونغ». إتصل أخي يُخبرني أنه يُجري الترتيبات كي يأتي ويكون معي.

لم أكن أريدهم أن يأخذوا الموضوع بهذه الجدية والمأساة. لقد جعل ذلك الأمر حقيقياً! لقد دفعَ تردود أفعالهم المُحبّة الواقعَ في وجهي وكأنه سمكة باردة ميتة. لم يكن هناك من مهرب أمام حقيقة التشخيص.

يوم الِاثْنَيْنِ، وجدنا أنا و«داني» أنفسنا مرة ثانية في العيادة، نتحدّث بصراحة عن الخيارات. لقد انتهيتُ للتوّ من صورة الرنين المغناطيسي، وكان الطبيب ينظر في النتائج، وقد بدا القلق على وجهه.

قال بلطف: «إنها مرحلة.» 2A

سأله «داني»: «ماذا يعني هذا؟.»

قال الطبيب بأناة: «يعني أنه انتشر إلى الصدر وتحت الذراع، بيد أنه مُحتوى في الجزء العلوي من الجسم. دعونا الآن ننظر في الخيارات المُتاحة لك. اقتراحي أن يكون علاجاً كيميائياً وشعاعياً في الوقت نفسه.»

أعلنتُ للجميع بشدة: «لن آخذ علاجاً كيميائياً.»

قال «داني» «في دهشة» :لكن يا حبيبتي، هذا كل ما هو مُتاح لنا.»

بيد أنني نظرتُ إليه نظرة إصرار، وأجبتُ «:إنظر ماذا فعل العلاج الكيميائي بصديقتي» سوني، «وما رأيك بزواج أختك؟.»

لم أكن أُريد أن أُجري هذه المحادثة. أردتُ أن تعود الأمور كما كانت. دفنتُ وجهي في كفيّ مُحاولة طرد أفكاري.

كنتُ أستطيع سماع الذعر في صوتي» :هل تُريدني أن أموت هكذا؟ إنها مضيعة للوقت، وألم كبير. أفضل أن أموت اللحظة على أن أسمح لهذا أن يحصل لي.»

قال «داني» «:أعلم ذلك،» «بينما مدّ كفه الحنونة فوق يديّ الباردتين اللتين ارتختا على مكتب الطبيب. ثمّ أضاف» :أنا لا أُريد أن أفقدكِ. ما الذي يُمكن أن أفعله غير ذلك؟.»

كان قد مضى على زواجنا ستة أعوام، وكان لدينا الكثير من الأحلام نعيش من أجلها، وأماكن أردنا الذهاب إليها، وأشياء أردنا فعلها. ولكن، كأنهر الجليد المُتكسر في الشمال، بدت أحلامنا وكأنها تذوب أمامنا.

في مُحاولة لانتزاع نفسي من مخاوفها، حاولتُ أن أطمئنه» :هناك طرق أخرى. «استدرتُ إلى الطبيب باحثة عن دعم لزعمي وقلتُ» :أنا مُقتنعة من وجود طرق للتغلب على السرطان دون علاج كيميائي.»

منذ ذلك اليوم، بدأنا مع «داني» «رحلة طويلة. معاً بدأنا انضمامنا إلى أبطال الأساطير القديمة في رحلتنا قُدماً، مُصممين على هزيمة هذا المرض الذي بدأ يُسيطر على حياتنا. منذ البداية، كانت رحلتي محفوفة بعاصفة من المشاعر، من الأمل إلى الخيبة، ثمّ الذعر، وأخيراً الغضب.

قبل تشخيصي، كان أكبر مخاوفي في الحياة هو الإصابة بالسرطان، لقد بدا وكأنه يظهر على نحو أكثر في أناس أعرفهم. إنَّ حصولي على التشخيص في الوقت الذي كنتُ أشهد على المرض وهو يُطالب بحياة أعزَّ صديقاتي وصهر» داني «كان يؤكد ملاحظاتي. كنتُ أشاهد بلا حول ولا قوة كيف كان العلاج الكيميائي يُخرَّب الأجساد التي يُفترض أن يُعالجها. والآن ها هو يغزو حياتنا، ويسلب عالمنا وينهب ما يجد.

لقد حفَّز التفكير بهؤلاء الذين أحبَّهم ثورة وذعراً عصفاً داخلي. لقد أمسك الخوف من السرطان بي في قبضته، وبدا وكأنه دفع معدتي إلى حنجرتي بقبضة مُطبقة. لقد أفزعتني آثار العلاج الكيميائي أكثر، فتقلَّصت كلُّ عضلة عندي في وضعية دفاعية وتمسَّكت بالحياة.

قبل أشهر من تشخيصي، كنتُ أشاهد صحة» سوني «وهي تتدهور بسرعة. خلال ذلك الوقت، كنتُ أشعر بتأنيب الضمير كلما خرجتُ أو استمتعتُ بينما هي مريضة في المشفى. شعرتُ بطريقة ما أنه من الخطأ أن أمتَّع نفسي بينما هي تُعاني، وبينما تدهورت صحتها أكثر فأكثر، أصبح من الصعوبة بمكان أن أجد السعادة في الحياة، أو أُحرر نفسي من الشعور بالذنب.

الآن، وأنا أواجه سرطاني الخاص، أصبحتُ مُشاهدة صديقتي وهي تمرض أكثر صعوبة، ووجدتُ نفسي أُمضي وقتاً أقلَّ معها. عندما كنتُ أرى» سوني «لم أعد قادرة على أكون إيجابية أو مُتفائلة من أجلها، أو حتى من أجل نفسي. وصلتُ إلى نقطة اعتقدتُ فيها أنه لم يعد مفيداً أن نقضي وقتاً معاً كما كنا نفعل. أفزعني مُجرَّد مُشاهدة ما يفعله السرطان بجسدها، وكذلك آثار المُعالجة. شعرتُ بالضعف من فكرة أنه سيؤول بي الأمر إلى المصير نفسه، وكان ذلك يفوق استطاعتي.

في اليوم الذي تلقيتُ فيه اتصالاً من أخت» سوني «تُخبرني أن معركة أعزَّ

صديقاتي قد انتهت، انهرتُ وانتحبتُ بشدّة. لقد غادرتنا أخيراً. على الرغم من أنّ العاطفة غلبتني وفراقها آلمني، إلا أنّ جزءاً صغيراً مني ارتاح قليلاً كونها ما عادت تتألم.

إنّ يوم جنازة» سوني «سيبقى محفوراً في ذاكرتي إلى الأبد. لازلْتُ أرى نظرة الدمار في وجه أبويها من فقدانهم ابنتهم الحبيبة، وصدمة أختها الصغيرة وأخيها الكبير من فقدان شقيقتهم، والحزن والعجز على وجه زوجها بينما كان يُحاول أن يتقبل خسارته، وأكثر من كلّ شيء، لم أنسَ وجوه أطفالها البريئة المليئة بالدموع، ونظراتهم المرْتعبة وهم ينظرون إلى نعش أمهم وهو يُلقى في نيران المحرقة. هذه الذكرى ستُطاردني إلى نهاية أيامي. وقد أضاف هذا اليوم الغضب إلى طيف مشاعري في محنتي.

كي تسوء الأمور أكثر، بعد وقت غير طويل من الجنازة، تلقينا مُكاملة أنّ زوج «أخت» داني «قد خسر معركته أيضاً وتوفي هو أيضاً، تاركاً خلفه زوجة فتية «أخت» داني «الصغرى» وطفلين.

كنتُ غاضبة من ذلك الشيء السيء التافه القاسي الذي ندعوه حياة. لم أستطع أن أفهم لماذا كلّ ذلك. لقد بدا وكأننا نعيش بضع سنوات، ونتعلم من نضالاتنا، وفي النهاية عندما نصل إلى نهاية الأمور، ينتهي بنا الأمر مرميين في النار في صندوق خشبي. بالتأكيد لم يكن من المتوقّع أن يحصل الأمر بهذه السرعة. لقد بدا الأمر بلا معنى كلياً، وبطريقة ما تافه جداً.

الفصل السادس

السعي إلى الخلاص

«الغضب، الفزع، الإحباط، الخوف، اليأس.» كان هذا طيف المشاعر التي تعاملتُ معه بعد وفاة» سوني.» من الصباح إلى المساء، كان كلُّ يوم يأخذني في دوامة عواطف فظيعة، تساءلتُ، تحدّيتُ، ثرتُ، يئستُ من وضعي. شعرتُ بهذه العواطف ليس فقط تجاه نفسي، بل تجاه عائلتي أيضاً. فزعتُ من فكرة اضطرارهم التعامل مع موتي.

لقد دفعني خوفي ويأسي إلى البحث عن كلِّ شيء يخصّ الصحة الدينية، والحال الجيدة، بما في ذلك أنظمة الشفاء الشرقية. رأيتُ عدة اختصاصيين في تهذيب النفس الطبيعي، واشتركتُ في عدّة أنشطة علاجية غير طبية. جرّبتُ المعالجة بالتنويم المغناطيسي، تأملتُ، صلّيتُ، أنشدتُ ترانيم ترداد كلمات «مانترا»، «وتناولتُ وصفات عشبية صينية. أخيراً تركتُ عملي وسافرتُ إلى «الهند» من أجل متابعة نظام معالجة» الأيروفيدا، «بينما بقي» داني «في «هونغ كونغ»، «لأنه لم يستطع القدوم معي بسبب عمله، ولكنه زارني مرتين، مدة أسبوعين كلِّ مرة، كما كنا نتحدّث على الهاتف كلِّ يوم تقريباً، لأنه أراد أن يبقى على علم بوضعي.

ذهبتُ إلى مدينة» بونا «حيث تُوفي والدي، كي أتعلم أكثر عن اليوغا و«الأيروفيدا» من أحد الأساتذة المتخصصين. مكثتُ ما مجموعه ستة أشهر في «الهند»، وخلال ذلك الوقت، شعرتُ أخيراً وكأنني أستعيد صحتي. لقد أخضعني مُعلّم» اليوغا «إلى نظام غذائي قاس. توجّب عليّ اتباع حمية غذائية مُحددة من الطعام النباتي والوصفات العشبية، مع مجموعة تمرينات من وضعيات

«اليوغا» «أسانا» عند شروق الشمس وغروبها.

مارستُ هذا شهراً وبالفعل بدأتُ أشعر بتحسّن كبير. كان مُعلّمي مُذهلاً، حتى أنه لم يُصدّق أنني مُصابة بالسرطان. أخبرته أنّ الأطباء أجروا الفحوصات وأكّدوا أنني مُصابة بـ« الليمفوما»، فقال لي: السرطان مُجرّد كلمة تصنع الخوف. عليك نسيان هذه الكلمة، ودعينا نُركّز على مُوازنة جسدك. كلّ الأمراض ما هي إلا أعراض تُعبّر عن عدم التوازن. لا يُمكن أن يبقى هناك مرض عندما يتوازن كلّ نظامك.»

لقد استمتعتُ بالوقت الذي أمضيته تحت إرشادات مُعلّم «اليوغا»، وقد ساعد في تخفيف مخاوفي حول السرطان. في نهاية مدة ستة أشهر، اقتنع أنني شُفيتُ، وبالفعل كنتُ كذلك. شعرتُ بالانتصار، وكأنني حققتُ انجازاً خارقاً، وكنتُ مُتلهفة إلى العودة إلى المنزل والاجتماع مع «داني». لقد اشتقتُ إليه كثيراً، وكان عندي الكثير ممّا أشاركه به. مكتبة الرمحي أحمد

عندما عدتُ إلى «هونغ كونغ»، كان أول شيء رأيته هو مُلاحظات الكثير من الناس حول مظهري المتعاف. بالتأكيد شعرتُ بتحسّن عمّا كنتُ عليه منذ زمن طويل جسدياً وعاطفياً، إلا أنّ ابتهاجي كان قصير الأجل. لم يطل الأمر قبل أن يُريد آخرون أن يعرفوا ماذا كنتُ أفعل خلال هذه المدة الطويلة في «الهند» وكيف تماثلتُ للشفاء. عندما أخبرتهم عن نظام «الأيروفيدا» الذي اتبعته، تلقيتُ على كلّ الأحوال، إجابات سلبية مبنية على الخوف. كانوا أناساً بنوايا حسنة وقد اهتمّوا بإخلاص بكوني بأحسن حال وبصحتي، ولكنهم كانوا يُشككون بخياراتي، الأمر الذي كان له تأثيراً كبيراً عليّ. كان مُعظمهم يعتقد أنّ السرطان لا يُمكن علاجه بهذه الطريقة، وببطء شعرتُ بالشك والخوف يتسللان مرة ثانية إلى روحي بينما كنتُ أدافع عن موقفي.

لقد أدركتُ على نحو مُتأخر أنه عندما بدأ هذا الأمر، كان من المُفترض أن

أعود إلى» الهند «كي أستردّ صحتي ثانية. إلا أنني بدلاً من ذلك، بدأتُ بالفعل أتأثر بشكوكهم حول خيارى فى المُعالجة، ومكثتُ فى «هونغ كونغ.»

حاولتُ فهم العلاج الصينى الشعبى، الذى يُمارس كثيراً هنا، ووجدتُ أنه يتعارض على كلِّ حال بشدة مع «الأورفيدا»، «مما جعلنى فى حيرة كبيرة من أمرى. كمثال فى «الأورفيدا»، «يُشجّعونك كى تُصبح نباتياً، بينما فى العلاج الصينى الشعبى يُشجّعونك على تناول اللحم، وبالتحديد الخنزير. فى النظام الهندى، يُعتبر لحم الخنزير ولحم البقر أسوأ ما يُمكن تناوله.

كى تزداد الأمور سوءاً، توجّهتُ إلى المُعالجة الغربية الطبيعية ابتغاء المساعدة كونى كنتُ فى حيرة من أمرى. لم يزد هذا إرباكى فقط، بل زاد مخاوفى. بدأتُ تصلنى رسائل مُتناقضة من كلِّ نظام. فى النظام الغربى الطبيعى، يُعتبر السُّكر والألبان من المُحرّمات القطعية، بل فى الحقيقة، يُنظر إليها على أنها الطعام الذى يُغذى خلايا السرطان. بناءً على الأنظمة التى كنتُ أبحثُ بها، يُغذى السُّكر الخلايا المُتحوّلة. بينما فى «الأورفيدا»، «تكون الألبان فريضة، والسُّكر والطعام الحلو مطلوب كجزء من الحمىة الغذائية المُتوازنة، بناءً على مبدأ مُوازنة جميع النكهات المُختلفة.

بعد ذلك، أصبحتُ مُنهكة بسبب الطعام، وخائفة من أكل أىِّ شيء تقريباً. لم أعد أدري ما الذى يُفيدنى وما الذى يضرّنى، لأنَّ كلَّ نظامٍ علاجى دعم حقيقة مُختلفة، وكلّها تعارضت مع بعضها. لقد زاد هذا الارتباك مخاوفى التى كانت تغمرنى سلفاً، وبينما أطبق علىّ الذعر فى قبضته مرة ثانية، شاهدتُ بلا حول منى ولا قوة صحتى وهى تتدهور بسرعة.

شعرتُ بحاجتى أن أبقى وحيدة مُعظم الوقت، وأترك المُقربين منى فقط كى يبقوا فى حياتى. لقد أردتُ أن أصدِّ الواقع فى مُحاولة منى لصدِّ الحقيقة. لم أكن أحتمل نظرات الناس ومعاملتهم لى. بينما بدأتُ صحتى بالتراجع، لم أرتح

إلى حزن الناس من أجلي وتسامحهم معي وكأني مُختلفة أو غير طبيعية. كما شعرتُ بعدم الارتياح من ظنّ أبناء ثقافتني أنّ المُشكلة تكمن في «الكارما»، أي أنه لا بُدّ أنني قمتُ بشيء سيء في حياتي السابقة كي أستحقّ هذه العقوبة. كنتُ أيضاً أوّمن بالكارما، وقد جعلني هذا أشعر وكأنني فعلتُ شيئاً مُجلاً كي أستحقّ المرض. لقد بدا وكأنني أحاكم، وأشعرتني ذلك بالعجز أيضاً.

كنتُ أتساءل: لو كان هذا انتقام على شيء فعلته في حياة سابقة، كيف لي أن أُغيّره؟ ما الذي بإمكانني فعله حيال ذلك الآن؟ لقد جعلتني أفكار مثل هذه أشعر باليأس من وضعي.

بيد أنني خلال كلّ هذا لبستُ قناعاً، فضحكتُ وابتسمتُ وتكلّمتُ حتى عند عدم رغبتني بذلك، لأنه كان من المُهمّ بالنسبة إليّ ألا أشغل أحداً بحالتي. لم أكن أُريد أن يشعر الآخرون بالضيق أو عدم الراحة من وضعي، ومن أجل ذلك، استمررتُ بوضع مشاعر وحاجات كلّ أحد قبل مشاعري وحاجاتي. هكذا علّق الكثير على «شجاعتي»، وكيف أنهم مُعجبون بالطريقة التي أتعامل بها مع مرضي. علّق الكثير من الأفراد على الإيجابية والسعادة التي كنتُ عليها على الدوام، إلا أنّ ذلك لم يكن ما شعرتُ به من الداخل.

كان «داني» الشخص الوحيد الذي فهم حقيقة ما يجري، وكم كان وجودي بين الناس يُشكّل عبئاً عليّ، من أجل ذلك، بدأ ببطء يلعب دور الدرع حولي طارداً الناس في الخارج. شعرتُ دائماً في وجود الآخرين أنني مُضطرة إلى تمثيل السعادة والإيجابية، لأنني لم أكن أُريد أن يشعر أحدٌ بالحزن ولا أن يقلق من أجلي. في النهاية، بدأ هذا الأمر يستنزفني حقيقةً، ولم أكن أردُّ على الهاتف كيلا أتكلّم عن مرضي، ولم أكن أُريد نصيحة أحد حول كيف يجب أن أتعامل مع ما يعتلج في نفسي، ولم أكن أُريد أن أُكرر الإجابة على الأسئلة التي لا تنتهي من أولئك الذين يهتمّون بي.

توقفتُ عن الخروج وبقيتُ في أمان منزلي، لأنه بالإضافة إلى كوني لستُ في حالة جيدة، فقد بدا مظهري مريضاً للغاية. كان تنفسي مُجهداً، وأطرافي نحيفة جداً جداً، وكان من الصعب عليّ رفع رأسي، وقد أزعجتني النظرات والتعليقات بسبب ذلك. كنتُ أعلم أنّ الناس لم تكن تنظر إليّ بدافع الاحتقار أو الاستياء، بل بدافع الفضول، أو رُبّما الشفقة. عندما كنتُ ألاحظ نظراتهم كانوا يُزيحون أعينهم بعيداً، ولكني كنتُ أشعر بعدم راحتهم. أدركتُ الشعور وراء تعبيراتهم، إذ طالما شعرتُ به بنفسي عندما كنتُ أرى شخصاً مريضاً. لقد شعروا بالأسف من أجلي، ثمّ سرعان ما بدأتُ أتقبّل ردّة الفعل هذه على أنها الشيء الطبيعي من الناس الذين يرونني أو يتعاملون معي، وشعرتُ أنا بالأسف كون حضوري جعل الآخرين يشعرون بعدم الارتياح، من أجل ذلك عند هذه النقطة، ما عدتُ أخرج إلى العلن بتاتا.

سُرعان ما وجدتُ نفسي حبيسة قفص خوفي ويأسي، حيث بدأتُ خبرتي بالحياة تصغر شيئاً فشيئاً. لقد هرب الزمن مني. وكنتُ أعتبر كلّ من لم يكن عنده سرطان محظوظاً. حسدتُ كلّ إنسان يتمتّع بالصحة قابلته. لم يكن مُهماً كيف كانت ظروف حياتهم، إلا أنهم يعيشون دون هذا المرض الشيطاني الذي يسلب جسدي، عقلي، حياتي.

في كلّ صباح، كنتُ أستيقظ مع بريق أمل: اليوم قد يكون اليوم الذي تنقلب فيه الأمور. إلا أنّ كلّ مساء كان ينتهي بالإحساس المألوف الثقيل نفسه، وكانت كلّ ليلة تُحضر شعوراً بالهزيمة أكبر من الليلة التي سبقتها. في خيبة أمني، بدأتُ أشكك في هذا الذي أُحارب بضراوة من أجل أن أحافظ عليه. ماذا يعني كلّ هذا؟ لم أعد أرى خلال ألمي وخوفي المغزى من الاستمرار، وشعرتُ أنّ نفسي بدأتُ تتعب. بدأتُ أستسلم وأتجهّز من أجل الاعتراف أنني هُزمت.

عند هذا الوقت، كنتُ أدخل وأخرج من المشفى من أجل نقل الدم والمعالجات الأخرى. في المنزل، كنتُ أمضي مُعظم أيامي نائمة أو هاجعة. لم أعد أقدر على الخروج أو المشي فترات طويلة، وكانت مُجرّد نصف ساعة من النشاطات تتركني تعباً ومُنقطعة الأنفاس. كنتُ أفقد وزني ولازمتني حمى خفيفة على الدوام.

سألتُ طبيبي يوماً ما مباشرةً بعد أن أنهى تصوير جسمي كي يُحدد وضعي: «هل تعتقد أنّ حالتني ما زالت قابلة للتحسّن في هذه المرحلة؟»

حوّل عينيه وأجاب: «سأرسل الممرضة كي تُساعدك في ارتداء ملابسك»، «والم يُخبرني برغبته في التحدث مع» داني «على انفراد.

أخبره الطبيب عندما أصبحا بمأمن في الخارج: «لم يعد لدينا الكثير كي نفعله الآن». «نظر مباشرةً إلى زوجي وتابع: «لديها حوالي ثلاثة أشهر تعيشها على أبعاد تقدير. أظهرت الصورة الأخيرة أنّ الورم قد نما وازداد في العدد، وأنّ السرطان انتشر على نحو عنيف في جهازها الليمفاوي. لقد تأخّر الوقت حتى على العلاج الكيميائي، فلم يعد جسدها يحتمل السموم في هذه المرحلة. إنها ضعيفة إلى درجة أنّ أيّ مُعالجة الآن ستضعفها وتُدنيها من الموت أكثر. أنا في غاية الأسف.»

على الرغم من أنّ» داني «تظاهر بالشجاعة ولم يُخبرني في ذلك الوقت بما قاله الطبيب» أشركني بذلك بعد أشهر عديدة، «إلا أنني كنتُ أدرك أنّ شيئاً خاطئاً يحدث! قبل تلك النقطة، كان زوجي بالكاد يذهب إلى عمله، ولكنه من يوم زيارة الطبيب تلك توقّف عن الذهاب تماماً، ولم يعد يُفارقني أبداً.

سألته ذات يوم: «هل سأموت؟»

أجاب: «كلّنا سنموت يوماً ما»،

أجبتُه مازحة: «أعلم ذلك يا أحمق، أقصد الآن بسبب السرطان، ماذا لو

أجاب بنعومة، وهو يُمرر يده على رأسي وأنا مُستلقية على السرير: «عندها سأتي كي آخذكِ، وأُعيدكِ.»

كان ذلك بعد ستة أسابيع من آخر اجتماع مع الطبيب. لقد أصبح التنفّس الآن أمراً شاقاً، وأصبحت أسطوانة الأوكسجين رفيقي الدائم. لم أستطع أن استلقي، وكان لا بُدّ من أن أبقى جالسة كيلا أغرق في سوائلي. كنتُ أختنق في كلّ مرة أُحاول الاستلقاء فيها على ظهري، وكنتُ أجد صعوبة كبيرة في التنفّس، وأصبح تغيير وضعي في السرير أمراً مُستحيلاً. ظهرت التقرحات على جسدي بأكمله، وغزّت الكثير من السموم جسدي إلى درجة أنّ جلدي أُجبر على التفتح كي يُطلق السموم التي كانت في الداخل.

استيقظتُ مرات عديدة والعرق يتصبب مني بشدة إلى درجة أنّ ملابسني كانت مُبللة بالكامل» التعرّق الليلي ظاهرة مألوفة في مرض الليمفوما. «غالباً ما كان جلدي يحكّني في كلّ مكان، وكأنّ النمل يزحف على كلّ جسدي. أذكر ليلة عندما كان الحكّ شديداً جداً إلى درجة أنه مهما حككْتُ لم يكن يهدم. أحضر «داني» مكعبات الثلج من الثلجة ووضعها في أكياس بلاستيكية، وأخذنا نفرك ساقيّ وذراعيّ وجسدي كي نُهدئ جلدي المُشتعل. استغرق الأمر وقتاً طويلاً حتى همدت الحكّة في النهاية.

كانت مُعظم ليالينا بلا نوم، وفي تلك المرحلة كنتُ مُتكلة بالكامل على «داني» كي يرعاني. كان يستبق كلّ احتياجاتي قبل أن تأتي، وكان يُضمّد جراحي ويُساعدني على غسل شعري. على الرغم من أنني شعرتُ بالذنب من أجل اضطراره إلى قضاء أيامه في رعايتي بهذه الطريقة، إلا أنني علمتُ أنه لم يكن ليتصرف هكذا أبداً، أبداً، بدافع الاضطرار أو الواجب أو المسؤولية. لقد نبت كلّ ما فعله من حُبّه الصافي لي.

توقّف جهاززي الهضمي في النهاية عن امتصاص الطعام الذي كنتُ أتناوله، وأُصبتُ بسوء التغذية. جلب «داني» «نوع» الشوكولا «المفضل لديّ»، وأعدتُ أمّي الطعام الذي أُحبه من أجل أن يجعلوني آكل، إلا أنه لم يكن لديّ شهية. لم أكن أهضم أيّ شيء بعد أن أتدبر أمر بلعه، وشاهدتُ عضلاتي تتحلل إلى درجة أنني لم أعد قادرة على السير، وأصبحت حركتي على كرسي بعجلات. بدأ جسمي يستهلك البروتينات من جلدي كي يبقى حياً، وأصبح شكلي كأطفال المجاعات. أصبحتُ هيكلاً عظيماً مقارنة بشكلي القديم، وأصبح رأسي وكأنه شيئاً ثقيلًا وزنه ثلاثمئة باوند، بالكاد أستطيع رفعه من على الوسادة.

كنتُ لا أزال أدخل وأخرج من المشفى، إلا أنني في كلّ مرة كنتُ أتمنى أن أغادر في أسرع وقت مُمكن وأعود إلى المنزل. شعرتُ أنّ هذه المؤسسات باردة، كئيبه، وبدت أنها تُشعرنني أنني مريضة أكثر ممّا أنا عليه، فاستأجرنا مُمرضة كي تكون معي خلال النهار.

في تلك الأيام لم تفارقني أمّي ولا زوجي ولا لحظة، وجلس «داني» معي طوال الليل. أراد أن يحرص على أنني أتنفّس، وأن يكون بجانبني في حال لفظتُ أنفاسي الأخيرة. لم أستطع أن أنام الكثير من الليالي بسبب السعال، ولذلك كنتُ دائماً مُمتنة تجاه وجوده المُريح، إلا أنني كنتُ مُدركة تماماً لألمه، الأمر الذي زاد عليّ صعوبة تحمّل وضعي. على الرغم من كلّ ذلك، واصلتُ في تصنع الشجاعة، وبقيتُ أوّكد للجميع أنني لا أشعر بالألم. أخبرتهم أنني بخير، على الرغم من أنّ ذلك كان أبعد ما يكون عن الحقيقة.

في الوقت نفسه، كنتُ أدرك قلق أمّي. كنتُ أعلم أنه يجب ألا ترى الأمُّ طفلتها وهي ترحل قبلها، عدا عن مُشاهدة طفلتها تتحلل أمامها ببطء وألم.

في صباح الأول من شباط، 2006 كنتُ أشعر بإيجابية أكثر من المعتاد. بدأتُ فعلياً ألاحظ الأشياء حولي، وبدت السماء أكثر زرقة من المعتاد، وبدا

العالم مكاناً جميلاً. على الرغم من كوني لازلت أسيرة كرسي العجلات، وبقاء أسطوانة الأوكسجين صديقي الدائم، تحرّكتُ إلى المنزل من العيادة مع شعور يُلازمني أنه لا بأس أن أترك الآن، وأنّ كلّ شيء سيكون على ما يُرام.

أذكر أنني فكّرتُ: لن يقف العالم إن لم أكن فيه. لا داعٍ لأن أقلق على شيء. لم أفهم لماذا، إلا أنني أشعر عاطفياً أنني بخير. أفضل ممّا كنت أشعر به من زمان طويل.

لقد كان جسدي يُؤلمني، وكان تنفّسي صعباً ومُتعباً، فذهبتُ إلى السرير، لأنني كنتُ متألّمة من كلّ مكان ولكني لم أستطع النوم. قامت المُمرضة بحقني بمُخدر» المورفين «مباشرةً قبل أن تُغادر في نهاية اليوم كي أرتاح قليلاً. إلا أنّ شيئاً ما كان مُختلفاً. لقد شعرتُ أنني أرتاح، وأُفلت القبضة القوية التي تشبّثتُ من خلالها بالحياة. طوال ذلك الوقت كنتُ كأني مُعلقة على حرف جرف، وكنتُ أُصارع في معركة خاسرة، وأقاوم كي أبقى. أصبحتُ أخيراً جاهزة كي أترك كلّ شيء تمسّكتُ به بقوة. شعرتُ أنني أغرق في نوم عميق.

صباح اليوم التالي الثاني من شباط، لم أفتح عينيّ. الظاهر أنّ وجهي مُنتفخاً على نحو فاضح، وكذلك ذراعيّ، ورجليّ ويديّ وقدميّ. نظر» داني «إليّ نظرة واحدة واتصل بالطبيب الذي وجّهه كي يُحضرنِي مباشرةً إلى المشفى.

كنتُ على وشك إنهاء معركتي مع السرطان.

الجزء الثاني
رحلتي نحو الموت،
ثمّ العودة

الفصل السابع

ترك العالم خلفي

بينما أسرعوا بإسعافي إلى المشفى، بدا العالم حولي باهتاً كالحلم، وكنتُ أشعر أنني أنزلق أكثر وأكثر بعيداً عن الوعي. وصلتُ إلى المشفى في حالة غيبوبة، كي أجد الأطباء مُرتبكين» إن لم يكن يائسين «في تقييمهم فُرصي. لم يكن هذا المكان نفسه الذي اعتدتُ أن آتي إليه من أجل العلاج خلال فترة مرضي. كان المركز الذي اعتدتُ الذهاب إليه أشبه بعيادة كبيرة من أن يكون مشفى مُتكاملة. كان مُلائماً لما أشار به الطبيب في الماضي، إلا أنه لم يكن مُجهزاً من أجل التعامل مع الحالات الطارئة. كان خيارى أن أعالج طوال الفترة في تلك المؤسسة المُجاورة كونها أقلّ تهويلاً، ولأنني كنتُ أكره المشافي تماماً، وأخاف منها بسبب الشخصين اللذين فقدتهما: صديقتي المُقرّبة، وصهر» داني، «اللذين تُوفيا في مشافي كبيرة مُتخصصة في مُعالجة السرطان.

إلا أنه عندما اتصل» داني «بالعيادة في الصباح الذي غبتُ فيه عن الوعي، أخبره طبيبي أن يُسرع بي إلى أكبر مشافي» هونغ كونغ «وأكثرها تجهيزاً، حيث سيكون مع الطبيب فريق من المُختصين بانتظاري. كانت هذه هي المرة الأولى التي أتواجد فيها في هذا المكان، والمرة الأولى التي عُولجتُ فيها من قبل هذا الفريق الطبي.

مُجرّد أن رأيتي طبيبة الأورام امتلاً وجهها على نحو واضح بالصدمة.

قالت لـ» داني»: «قد يكون قلب زوجتك ما يزال ينبض، إلا أنها في الحقيقة ليست موجودة. لقد تأخر الوقت كثيراً من أجل إنقاذها.»

تساءلتُ: عمّن تتحدّث الطبيبة؟ لم أشعر بحال أفضل من هذا في حياتي!

لماذا يبدو الخوف والقلق على أمي و« داني «؟ أرجوك يا أمي لا تبكي. ما الأمر؟ هل تبكون بسببي؟ لا تبكوا! أنا بخير حقيقة، أمي الحبيبة أنا بخير! ظننتُ أنني أتفوه بهذه الكلمات بصوت مسموع، إلا أنه لم يصدر مني شيء، فلم يكن عندي صوت.

أردتُ أن أعانق أمي، أريحها وأخبرها أنني بخير، ولم أدرك لماذا لم أستطع القيام بذلك. لماذا لم يكن جسدي يتجاوب؟ لماذا كنتُ مُستلقية هناك مُترهلة، بينما كل ما أردتُ فعله هو مُعانقة زوجي الحبيب وأمّي، كي أوكد لهم أنني بخير وما عدتُ أشعر بالألم؟

بسبب خطورة الموقف، استدعت طبيبة الأورام على الفور أستاذاً في طب الأورام كي يُساعدها. في حالة الاقتراب من الموت هذه، كنتُ أكثر وعياً بكل ما كان يدور حولي، أكثر ممّا لو كنتُ في حالة صحية سليمة. لم أكن أستخدم حواسي الحيوية الخمسة، إلا أنني كنتُ أستقبل على نحو دقيق كل شيء، أكثر ممّا لو كنتُ أستخدم أعضائي الفيزيائية. كما لو أنّ ثمة نوع مُختلف من الإدراك قد بدأ يعمل، بل أكثر من إدراك، بدا وكأنني أُحيط بكل ما كان يجري، وكأنني بدأتُ أندمج ببطء مع كل شيء.

مباشرة أمر أستاذ طب الأورام فريقاً طبياً بأن ينقلوا جسدي إلى مخبر الأشعة كي يُصوروا جسمي بالكامل. لاحظتُ أنّ رأسي كان مائزاً مرفوعاً بزاوية بالوسادات، تماماً كما كان في المنزل عدة أيام، وذلك لأنّ رثتي، كما ذكرتُ سابقاً، كانتا مُمتلئتين بالسوائل بحيث إذا استوى رأسي مع جسدي، اختنقتُ بسوائلي.

كنتُ مازلتُ مُتصلة بأنبوب إلى أسطوانة الأوكسجين، وعندما وصلتُ إلى مخبر الأشعة أزالوا القناع من على وجهي، حملوني ووضعوني في آلة الرنين المغناطيسي. خلال ثوانٍ بدأتُ أختنق، وأسعل، وأبصق اللعاب من فمي.

سمعتُ « داني « يصرخ للفريق الطبي: «أرجوكم لا تنزعوا الأوكسجين، لا

يُمْكِنُهَا الاستلقاء هكذا! أرجوكم، إنها تختنق! إنها لا تستطيع التنفّس! استموت لو فعلتم ذلك.»!

شرح أخصائي الأشعة: «يجب أن نفعل ذلك حقيقة، أرجوكم لا تقلق. سنكون أرفق ما يكون. بإمكانها تحمّل ثلاثين ثانية دون أوكسجين في المرة الواحدة.»

هكذا كان أخصائي الأشعة يُخرجني كلّ ثلاثين أو أربعين ثانية خارج الجهاز كي يضع قناع الأكسجين على وجهي، ثمّ ينزعه ويُعيدني ثانية في الجهاز، ونتيجة لذلك استغرق التصوير زمناً طويلاً جداً كي ينتهي، وبعد أن انتهوا، نقلوني إلى وحدة العناية المُشدّدة.

قام الفريق الطبي بكلّ ما يُمكن فعله، يدفعهم إصرار زوجي ألا يتخلّوا عني. بينما مرّت الدقائق، استلقيتُ في وحدة العناية المُشدّدة فيما كان الفريق الطبي يُقدّم لي العلاجات بالإبر والأنابيب، وكانت عائلتي العاجزة تنظر.

ثمّ أُسدلت ستارة سميكة حول سريري، فصلتني عن المرضى من كلا الجانبين. كانت أمّي وزوجي» داني «خارج هذه الحجرة التي صنعتها الستارة.

لاحظتُ أنّ المُمرضات مازلنَ يُهرعنَ حولي، يُجهّزون جسمي شبه الحي من أجل أوكسجين المشفى، والتجهيزات الأخرى كي يبدأوا إدخال السوائل والسكر إلى أوردتي، إذ أنني كنتُ في حالة سوء تغذية شديدة. كان هناك شاشة فوق سريري، وبدأوا توصيلي بالأجهزة كي يقيسوا ضغط دمي وضربات قلبي. أُدخل أنبوب تغذية في أنفي إلى خلف حنجرتي، ثمّ إلى معدتي كي يتمّ تغذيتي مباشرة، وكان الأوكسجين يضخّ في أنفي من آلة التنفّس. لقد واجهوا مُشكلة في إدخال أنبوب التغذية وتمريره خلال قصبتي الهوائية، فقاموا برشّ شيء ما في حنجرتي كي يُخدروا عضلاتي، وتمكّنوا عندها من دفع الأنبوب بسهولة أكثر.

كنتُ أشعر بالناس عندما أتوا لرؤيتي، مَنْ كانوا وماذا كانوا يفعلون، على الرغم من أنّ عينيّ الفيزيائيتين كانتا مُغلقتين، ولكنني كنتُ شديدة الوعي بكلّ

تفصيل دقيق يجري حولي وما وراء ذلك. لقد كان مدى إدراكي أكثر ممّا لو كنتُ مُستيقظة وأستخدم حواسي الفيزيائية. لقد بدا وكأنني أعلم وأفهم كلّ شيء، وليس فقط ما يدور حولي، بل كلّ ما يشعر به الآخرون، وكأنني قادرة على أن أرى وأشعر من خلال كلّ شخص. كنتُ قادرة على الإحساس بخوفهم، بأسهم، تسليمهم بوضعي.

بدا «داني» وأُمِّي في غاية الحزن والرعب. أتمنى لو علموا أنني ما عدتُ أتألم، أتمنى لو أستطيع إخبارهم. أُمِّي أرجوكِ لا تبكي! أنا بخير! أنا هنا. أنا الآن معك!؟

كنتُ مُدركة تماماً لما كان يجري حولي، على الرغم من أنّ كلّ شيء بدا وكأنه يحدث في الوقت نفسه، إلا أنّ أيّ شيء أركّز عليه كان يتضح لي في لحظته.

سمعتُ إحدى الممرضات تقول بهلع لأحد الأطباء المناوبين: «لا أجد أوردتها». «!كان هناك خوف في ذلك الصوت». لقد تقلّصت أوردتها تماماً. يا إلهي، انظر إلى أطرافها! لا يوجد لحم عليها. لم يكن جسدها يمتصّ الغذاء فترة طويلة. «أذكر بوضوح أنّ ذلك كان صوت رجل مُمرض.

لقد بدا يائساً، قلتُ في نفسي: «إنه جاهز للتخلي عني، ولا ألومه.»

تحدّث أستاذ طبّ الأورام: «إنّ رثتها مُمتلئتان بالسوائل. إنها تغرق في سوائلها. يجب أن أُخرج السوائل من رثتها حتى تستطيع على الأقل أن تبدأ بالتنفّس على نحو أسهل. «شاهدتُ كيف عملوا بجهد أكبر على جسدي الهامد، الشكل الذي بدا صغيراً جداً على احتواء ما كنتُ أشعر به إزاء نفسي حينها.

على الرغم من أنّ الفريق الطبي تحركَ بسُرعة كبيرة، وكان هناك استعجال طارئ في تصرفاتهم، إلا أنني شعرتُ بحالة قبول وكأنهم رضخوا إلى حقيقة أنّ الوقت تأخر من أجل تغيير مصيري. كنتُ مُدركةً تماماً لكلّ تفصيل، إلا أنني لم أشعر فيزيائياً بشيء، أيّ شيء، ما عدا إحساس الانعتاق ومُستوى من الحرية لم

أعرفه من قبل.

يا إلهي، هذا لا يُصدّق! أشعر بالحرية والخفة! ما الذي يحدث؟ لم أشعر بمثل هذا الارتياح من قبل! لا مزيد من الأنابيب، لا كرسي مُتحرك. بإمكانني التحرك الآن بحرية دون أيّ مُساعدة! وتنفّسي لم يعد جهاداً، ما أروع هذا!

لم أشعر بأيّ تعلق عاطفي مع جسدي الذي بدا ميتاً وهو مُلقى على سرير المشفى. لم أشعر أنه لي. بدا أصغر بكثير وأتفه من أن يحتوي ما كنتُ أمرُّ به. شعرتُ بالحرية، الانطلاق، الروعة. لقد ذهب كلُّ ألم، وجع، حزن! شعرتُ بعدم الإرهاق. لم أتذكّر الشعور بمثل هذا من قبل أبداً.

كأنني كنتُ سجيناً في جسدي خلال السنوات الأربع الماضية عندما أتلّف السرطان جسدي، وأخيراً تحررتُ. لقد كنتُ اتذوّق طعم الحرية للمرة الأولى! بدأتُ أشعر بانعدام الوزن، وأدرك أنني أستطيع أن أكون في أيّ مكان في أيّ وقت، ولم يبدو ذلك استثنائياً، بل عادياً، وكأنّ هذا هو الطريق الحقيقي من أجل إدراك وتمييز الأمور. لم أفكر حتى أنه من الغريب أنني أدركتُ أنّ زوجي يتحدّث مع الطبيب خارج غرفة العناية المُركّزة، أسفل المدخل على بُعد أربعين قدماً.

أخبر الطبيب «داني»: «لا شيء نستطيع فعله مع زوجتك سيد» مورجاني. «لقد انغلقت جميع أجهزتها. لديها ورم خبيث بحجم الليمون في كلّ جهازها اللمفاوي، من قاعدة الجمجمة إلى أسفل البطن. إنّ دماغها مليء بالسائل، ورئتيها كذلك. لقد ظهر على جلدها آفات تنزّ بالسموم. لن تنجو حتى الليل.» لم أر هذا الطبيب من قبل أبداً.

راقبتُ بينما كان وجهه «داني يتغيّر من المُعاناة، وأردتُ أن أصرخ له: لا بأس عزيزي، أنا بخير! أرجوك لا تقلق. لا تُنصت للطبيب. ما يقولونه غير

حقيقي! بيد أني لم أستطع، ولم يصدر مني شيء، ولم يكن يستطيع سماعي.
قال «داني»: «لا أريد أن أفقدها. لست مُستعداً لفقدانها.» على الرغم من
أنني لم أكن مُتصلة مع جسمي بأيّ توصيلة، شعرتُ بانجذاب عميق نحو الأسي
الذي كان يتكشّف حول جسدي الخامد. أكثر من أيّ شيء، أردتُ أن أريح
«داني» من اليأس العميق الذي كان يمرّ به بسبب فقداني.

عزيزي، هل تسمعني؟ أرجوك اسمعني! أريدك أن تعلم أنني بخير!
حالما تعلّقتُ عاطفياً بالمأساة التي تجري حولي، شعرتُ بنفسي على نحو آني
أنسحبُ بعيداً، كما لو كان هناك صورة أكبر، وخطة أعظم تتكشّف. كنتُ
أستطيع الشعور بأنّ اتصالي يتناقص، عندما علمتُ أنّ كلّ شيء كان على ما يُرام
وحسب ما هو مُخطّط له.

بينما كانت مشاعري تنسحب بعيداً عما يُحيط بي، بدأتُ ألاحظ كيف كنتُ
أستمرّ في التوسّع وملئ كلّ فراغ، حتى صار لا يُوجد فاصل بيني وبين أيّ شيء
آخر. أنا مُحاطة! كلا، لقد أصبحتُ كلّ شيء وكلّ شخص. كنتُ مُدركة تماماً لكلّ
كلمة في المُحادثة التي كانت تدور بين عائلتي والأطباء، مع أنها كانت على مسافة
بعيدة خارج غرفتي. عرفتُ التعبير الخائف على وجه زوجي وشعرتُ به. كان
الأمر وكأنني في تلك اللحظة أصبحتُ هو.

في الوقت نفسه، على الرغم من أنني لم أعرف ذلك مُسبقاً، أصبحتُ مُدركة
أنّ أخي «أنوب»، كان على بُعد آلاف الأميال على متن طائرة قادماً لزيارتي
بلهفة. عند رؤيتي له ولنظرته القلقة، شعرتُ بنفسي أنسحب ثانية إلى المأساة
العاطفية في الدنيا المادية.

يا إلهي، ها هو «أنوب»! «إنه على متن طائرة. لماذا يبدو مُضطرباً
هكذا؟ وكأنه أتى إليّ» هونغ كونغ «لرؤيتي!

أتذكّر الشعور بإلحاحه من أجل الوصول إليّ. شعرتُ باندفاع شديد من

المشاعر تجاهه.

آه، مسكين» أنوب. «إنه قلق بشأني، ويُريد المجيء إلى هنا قبل أن أموت. لا تقلق» أنوب. «سأكون هنا من أجلك. لا داعٍ للعجلة! أنا لا أتألم بعد الآن، أخي العزيز!

أردتُ الوصول إليه ومُعانقته وأن أُؤكِّد له أنني بخير، ولم أفهم ما الذي منعني من الوصول إليه.

أنا هنا، أخي!

أتذكر معرفتي أنني لم أكن أُريد أن يموت جسدي قبل وصوله. كنتُ مُدركة كيف سيشعر، ولم أكن أُريد له أن يمرَّ من خلال ذلك.

مع ذلك، بينما بدأت العاطفة تجاه أخي تستحوذ عليّ، وغلبني الشعور أنني لا أريده أن يختبر ألم موت أخته الصغيرة، وجدتُ نفسي في الوقت ذاته أنسحب بعيداً. كلما سيطرت عواطفني على الموقف، اكتشفتُ نفسي أعود إلى التوسّع ثانية، وأشعر بالتححرر من كل الارتباطات. مرة ثانية، كنتُ مُحاطة بشعور يُجدد الطمأنينة عن تكشّف زينة أروع، حيث كل شيء تماماً كما يجب أن يكون في مُخطط الأشياء الكبير.

كلّما اتسعتُ إلى الخارج، شعرتُ أقلب الشيء غير العادي في هذه الحالة العجائبية، في الحقيقة، لم أدرك أنّ الأمر خارج عن الطبيعة. لقد بدا كل شيء طبيعياً تماماً بالنسبة إليّ حينها. استمررتُ بالإدراك التام لكل تفصيل من كل إجراء يُتخذ أو يُطبّق عليّ، بينما ظهر للعالم الخارجي أنني في غيبوبة.

مازلتُ أشعر بنفسي أتوسّع أكثر فأكثر نحو العالم الخارجي، وأنسحب خارجاً ممّا يُحيط بي من الأشياء المادية، وكأنني لم أعد مُقيدة بحدود الفراغ والوقت، واستمررت بتوسيع نفسي خارجاً كي أشغل مساحة أكبر من الوعي. شعرتُ بإحساس الحرية والانطلاق اللذين لم أختبرهما في حياتي المادية أبداً. بإمكانني

وصف هذا على أنه اتحاد مشاعر المرح وامتزاجها مع نثرات وافرة من البهجة والسعادة. لقد بدا أن تحرري من جسدي المريض الذي يموت، أعطاني شعوراً بتحرر بهيج من كل الألم الذي سببه مرضي.

بينما كنتُ أستمِرُّ في الانغماس أكثر في العالم الآخر، والتوسّع في العالم الخارجي، كنتُ أصبح كل شخص وكل شيء، وشعرتُ بكلّ روابط العاطفية مع مَنْ أحبهم وما يُحيط بي تسقط ببطء. ما أستطيع أن أصفه فقط على أنه حُبّ غير مشروط رائع وجميل أحاط بي وغلّفني بقوة بينما كنتُ أذهب. إنّ اصطلاح الحُبّ غير المشروط لا يفي هذا الشعور حقّه، فهذه الكلمات استُخدمت كثيراً إلى درجة فقدت فيها شدتها. بيد أن المعركة الجسدية التي خضتها فترة طويلة قد حرّرت قبضتها عني أخيراً، وأصبح لديّ تجربة رائعة من الحرية.

لم أشعر أنني ذهبتُ إلى أيّ مكان آخر جسدياً، بل شعرتُ أكثر وكأنني استيقظت رُبّما أخيراً من حُلْم سيء أشبه بالكابوس. كانت روحي تُدرك أخيراً روعتها الحقيقية! ومن خلال ذلك، كانت تتسع إلى ما وراء جسدي وخلف هذا العالم المادي. كانت تتمدد أكثر فأكثر خارجاً حتى شملت ليس فقط هذا الوجود، بل استمرّت بالتوسع في العوالم الأخرى التي كانت خلف هذا الزمن والفراغ، وفي الوقت ذاته مُتضمنة فيه.

لقد تدفّق الحُبّ، المتعة، النشوة، والرغبة فيّ، ومن خلالي، وغمروني. كنتُ مغمورة ومُكللة بالمزيد من الحُبّ أكثر ممّا أعرف. شعرتُ بحرية أكثر وحياة لم أشعر بها سابقاً. كما وصفتُ، عرفت فجأة أشياء لم تكن مُمكنة فيزيائياً، مثل المُحادثة بين الفريق الطبي وعائلتي التي كانت تحدث بعيداً عن سريري في المشفى.

كانت الأحاسيس الغامرة في عالم خاص بها، ولم تكن الكلمات موجودة كي تصفها. كان الشعور بالحُبّ غير المشروط النقي التام على عكس أيّ شيء عرّفته

من قبل، فهو لا يحكم، وهو كامل، ومُتميّز على نحو تام، وكأني لم يكن عليّ فعل أيّ شيء كي أستحقّه، ولستُ في حاجة لأن أثبت نفسي كي أحصل عليه.

ما أذهلني أنني أصبحتُ مُدرّكة لوجود والدي الذي سبق وتوفي منذ عشر سنين، وقد جلب إحساسي أنه معي مُستوى لا يُصدّق من الراحة إليّ.

أبي، أنت هنا! لا أصدق ذلك!

لم أكن أتحدّث بهذه الكلمات، كنتُ فقط أفكّر بها. في الحقيقة، كان الأمر أشبه بأنني أشعر بالعواطف خلف الكلمات، وكأنه لم يكن هناك طريق آخر للاتصال في ذلك العالم الآخر غير الاتصال من خلال مشاعرنا.

نعم، أنا هنا عزيزتي، وقد كنتُ دائماً هنا، من أجلكِ ومن أجل عائلتنا كلّها! تواصل أبي معي. من جديد لم يكن هناك كلمات، فقط مشاعر، ولكنني فهمتُ بوضوح.

ثمّ ميّزتُ جوهر صديقتي المُقرّبة «سوني»، التي توفيتُ بالسرطان منذ ثلاث سنوات مضت. شعرتُ بما يُمكنني وصفه فقط بالمتعة لأنّ حضورهم غمرني بعناق دافئ وجعلني أرتاح. لقد بدا وكأنني كنتُ أعرف أنهم كانوا حولي قبل أن أدركهم بوقت طويل، وقد حدث كلّ ذلك خلال فترة مرضي.

كنتُ مُدرّكة أيضاً لكيّنونات أخرى حولي. لم أُميزهم، بيد أنني عرفتُ أنهم أحبّوني جداً وكانوا يحمونني. أدركتُ أنهم كانوا هناك كلّ الوقت يُحيطونني بحُبّ كبير جداً، حتى وإن لم أكن أعني ذلك.

كان الأمر مُريحاً على نحو كبير بالنسبة إليّ أن أعاود الاتصال مع روح «سوني»، «لأنني افتقدتها كثيراً خلال تلك السنوات مذ غادرت. لم أشعر بشيء سوى الحُبّ غير المشروط منها وإليها. ثمّ بعد ذلك، تماماً كما اختبرتُ ذلك، شعرتُ وكأنّ جوهرني اندمج مع» سوني «وأصبحت هي. فهمتُ أنها هنا، هناك، وفي كلّ مكان. لقد كانت قادرة على أن تكون مُتواجدة في كلّ الأماكن في

كُلُّ الأوقات ومن أجل كَلِّ من تُحِبُّهم.

على الرغم من أنني لم أعد أستخدم حواسي المادية الخمسة، كان لديّ ادراك حسيّ لا محدود، وكأنّ حاسة جديدة أصبحت مُتاحة لي، وهي أعلى بكثير من أيّ من قدراتنا العادية. كان لديّ رؤية سطحية لكُلِّ الاتجاهات مع إدراك تامّ لما يُحيط بي. من المُدهش جداً، أنّ كَلِّ الأصوات ما زالت تبدو عادية. وأصبح كوني في جسم الآن يسجنني.

بدا الوقت مُختلفاً في ذلك العالم أيضاً، وشعرتُ بكلّ اللحظات حالاً. كنتُ مُدركة لكلّ شيء يتعلّق بي من الماضي، الحاضر، والمستقبل في الوقت ذاته. أصبحتُ مُدركة لما بدا أنّ الحيوانات المُتزامنة تقوم بلعبه. شعرتُ كأنه كان لي أخ أصغر سنّاً في أحد التجسيدات، وكنتُ محمية منه، وعرفتُ أنّ روح أخي هذه كانت هي ذاتها لـ «أنوب»، «بيد أنه فقط في ذلك الوجود كان أصغر مني، بدلاً من أن يكون أكبر مني. هذه الحياة التي أعياها الآن مع «أنوب»، «بدت وكأنها تحدث في مكان ريفي مُختلف، في زمان ومكان لم أستطع تحديدهما. كُنّا نعيش في كوخ طيني مُجهّز على نحو ضئيل، وكنتُ أعتني بـ «أنوب» بينما خرج والدانا إلى العمل في الحقول.

بينما كنتُ أختبر الأحاسيس المُتعلّقة بالأخت الكبرى التي تعتني بأخيها مُؤكّدة أنّ هناك ما يكفي من الطعام نتناوله، وأنا في مأمن من المُحيط الخارجي غير المرغوب به، لم يبدو الأمر كأنه حياتنا في الماضي، وعلى الرغم من أنّ المشهد بدا تاريخياً في ذلك العالم، بيد أنني كنتُ أشعر وكأنه يحدث هنا الآن.

بمعنى آخر، لم يجرِ الوقت على نحو خطي بالطريقة التي نختبرها هنا. كان الأمر وكأنّ أدمغتنا الأرضية تُحوّل ما يحدث حولنا إلى تسلسل وتعاقب، ولكن في الواقع، عندما لا نُعبّر من خلال أجسادنا، فكلّ شيء يحدث في الوقت ذاته،

سواء كان ماضياً، أو حاضراً، أو مُستقبلاً.

مع أنّ كوني قادرة على إدراك كلّ نقاط الوقت في آن واحد أُضيف إلى فضاء الوضوح في ذلك العالم، إلا أنّ تذكّر هذا والكتابة عنه تخلق ارتباكاً وحيرة. لا يكون التعاقب واضحاً عندما لا يكون الوقت خطياً، جاعلاً الصوت المُرتد غير مفهوم.

بدا الأمر وكأنّ حواسنا الخمس تحدّنا كي نُركّز فقط على نقطة واحدة في أيّ لحظة مُعطاة، ونُعلّق هذه الأشياء كلّها مع بعض من أجل تكوين وهم الواقع الخطي. تحدّ ماديتنا أيضاً إدراكنا للفراغ المُحيط بنا، ويحجزنا فقط بما تراه أعيننا، وتسمعه آذاننا، أو ما يُمكننا لمسه، شمه، أو تذوقه. على أيّ حال، دون تقييدات الجسد، كنتُ أدخل في وقت واحد كلّ نقاط الوقت والفراغ كما كانت تتعلّق بي.

على الرغم من بذل أفضل جهودي من أجل تفسير ذلك، فقد كان وعيي العالي في ذلك العالم المُتسع لا يُوصف، وكان الوضوح مُدهشاً، إذ أدركتُ: لقد أصبح للكون معنى! فهمتُ أخيراً، أنا أعلم لماذا لديّ سرطان! لقد كنتُ مُحاصرة تماماً في أعاجيب تلك اللحظة كي أُسهب في الحدث، مع أنني سأختبرها عن قرب. بدأتُ أتفهّم لماذا أتيّت إلى هذه الحياة في المقام الأول، وعلمتُ هديّ الحقيقي.

لماذا فهمتُ فجأة كلّ هذا؟ أردتُ أن أعرف. مَنْ الذي يُعطيني هذه المعلومات؟ هل هو الإله؟ أم «كريشنا»؟ «بوذا»؟ «المسيح»؟ ثم استغرقتُ في ادراك أنّ الإله ليس كائناً، وإنما حالة من الكينونة، وأنا الآن تلك الحالة من الكينونة!

رأيتُ حياتي مُحَاكاة بصعوبة مع كلّ شيء عرّفته إلى الآن. كانت تجربتي لا كخيطة واحدة مُحَاك بواسطة الصور الضخمة المُعقدة المليئة بالألوان في تطريز لا

متناه. كلّ الخيوط الأخرى والألوان مثلت علاقاتي، بما فيها كلّ حياة لمستّها. كانت هناك خيوط تُمثل والدي، والدي، أخي، زوجي، وكلّ شخص آخر مرّ في حياتي، سواء اتصلوا بي إيجابياً أو سلبياً.

يا إلهي، هناك أيضاً خيط يخصّ «بيللي»، الذي تنمرّ عليّ ونحن أطفال! كلّ لقاء مُحدد كان يُحاك مع بعضه كي يُكوّن بُنية هي حصيلة حياتي حتّى هذه اللحظة. قد أكون خيطاً واحداً فقط، ولكن مع ذلك أنا مُكمّلة للصورة الكلّية المنتهية.

عند رؤية هذا، فهمتُ أنني أُدين بهذا تجاه نفسي، وتجاه كلّ من قابلته، وتجاه الحياة ذاتها كي تكون تعبيراً عن جوهرني الفريد. إنّ محاولة أن أكون أيّ شيء أو أيّ أحد آخر لم تجعلني أفضل، بل حرمتني فقط من ذاتي الحقيقية! وقد حرمت أيضاً الآخرين من التفاعل معي، وحرمتني من التفاعل مُطلقاً معهم. كوني أيضاً زائفة منع الكون الذي أتيتُ إلى هنا كي أكونه، والذي أتيتُ هنا كي أُعبّر عنه.

في تلك الحالة من الوضوح، أدركتُ أيضاً أنني لم أكن ما اعتقدتُ نفسي أنني كنتُ: أنا هنا دون جسدي، عرقي، ثقافتي، ديني، مُعتقداتي، وما زلتُ مُتواجدة! ما أنا؟ من أنا؟ أنا حتماً لا أشعر أنني أصغر أو أقلّ على أيّ حال. بل على العكس، لم أكن أبداً بهذه الضخامة، وهذه القوة، وكلّ هذا الشمول. يا إلهي، لم أشعر هكذا أبداً من قبل!

كنتُ هناك دون جسدي أو أيّ أثر فيزيائي لي، مع ذلك ما زال جوهرني النقي مُستمرّ في الوجود، ولم يكن عُصراً مُصغراً لذاتي بأكملها. في الحقيقة، بدا جوهرني أعظم بكثير، وأكثر قوة، وأوسع وأفسح من كينونتي الفيزيائية، وأكثر هيبة في الحقيقة. شعرتُ بالسرمدية، وكأنني عشتُ أبداً، وسأعيش أبداً دون بداية ولا نهاية. كنتُ مملوءة بمعرفة أنني ببساطة عظيمة!

تساءلتُ: كيف لم ألاحظ هذا أبداً من قبل؟

بينما نظرتُ إلى التطريز الأعظم الذي كان تراكم حياتي حتى هذه اللحظة، كنتُ قادراً على التحديد بدقة ما الذي أحضرني إلى حيث كنتُ اليوم.

عندما نظرتُ إلى مساري! لماذا، آه لماذا كنتُ دائماً قاسية جداً على نفسي؟ لماذا كنتُ أعاقب نفسي دائماً؟ لماذا كنتُ أهجرها دوماً؟ لماذا لم أساند نفسي وأري العالم جمال روحي؟

لماذا كنتُ دائماً أقمع ذكائي وإبداعي كي أسعد الآخرين؟ لقد خنتُ نفسي في كل مرة قلتُ نعم وأنا أعني لا! لماذا انتهكتُ نفسي من خلال حاجتي الدائمة إلى البحث عن موافقة الآخرين فقط كي أكون أنا؟ لماذا لم أتبع قلبي الجميل وأقول الحقيقة الخاصة بي؟

لماذا لا ندرك هذا عندما نكون في أجسادنا الفيزيائية؟ كيف لم أعرف أبداً أننا لا يجب أن نكون قساة على أنفسنا؟

ما أزال أشعر أنني مُحاطة تماماً ببحر من الحُبِّ غير المشروط والقبول. كنتُ قادرة على النظر إلى نفسي بأعين نضرة، ورأيتُ أنني كنتُ كائناً جميلاً في الكون. فهمتُ أنّ حقيقة وجودي فقط جعلتني أستحقُّ هذا الاحترام الرقيق أكثر من إصدار الأحكام. لم أكن في حاجة إلى فعل أيِّ شيء بالتحديد، كنتُ أستحقُّ أن أُعشق ببساطة لأنني موجودة، لا أكثر ولا أقل.

كان هذا إدراكاً مُدهشاً نوعاً ما بالنسبة إليّ، لأنني كنتُ أعتقد دائماً أنني يجب أن أسعى كي أكون محبوبة. اعتقدتُ أنني بطريقة ما يجب أن أكون مُستحقةً وجديرة بأن يهتمَّ أحدٌ بأمرِي، لذلك كان من المُذهل أن أدرك أنّك لم تكن القضية. أنا معشوقة بلا شروط، ليس لسبب آخر غير أنني موجودة.

لقد تحوّلتُ بوضوح خيالي عندما أدركتُ أنّ هذه الروح العظيمة المُتسعة كانت أنا حقيقة، وكانت حقيقة كينونتي. كان الفهم واضحاً جداً: كنتُ أنظر إلى

أنموذج جديد من النفس، يُصبح الضوء الشفاف لوعيي. لا شيء يتداخل مع الجمال المتدفق، المتألق، المذهل لما كان يحدث.

أصبحتُ مُدركة أننا جميعاً مُترابطون، وليس فقط كل شخص وكائن حيّ، لقد بدا هذا التوحّد المنسوج وكأنه يتوسّع كي يشمل كل شيء في الكون: كل إنسان، حيوان، نبات، حشرة، جبل، بحر، كل جماد، والفضاء. أدركتُ أنّ الكون كله حيّ ومجبول بالوعي، يطوّق ذلك كل الحياة والطبيعة. كل شيء ينتمي إلى كل لا نهائي. كنتُ على نحو مُعقد ولا يُمكن فصله، منسوجة في كل الحياة. نحن جميعاً أوجه لهذه الوحدة، كلنا واحد، وكل واحد منا له أثر في المجموع.

عرفتُ حياة» داني «وأنّ هدفها كان مُرتبطاً على نحو لا ينفصم عن حياتي، ولو أني مُتّ، لتبعني سريعاً. إلا أنني فهمتُ أنه حتى لو حدث ذلك، فسيبقى كل شيء مضبوطاً إلى درجة الكمال في الصورة الأكبر.

فهمتُ أيضاً أنّ السرطان لم يكن نوعاً من العقاب على شيء خاطئ فعلته، وأني لم أكن أعاني من» كارما «سلبية نتيجة أيّ من أفعالي، كما كنتُ أعتقد سابقاً. بدا وكأنّ كل لحظة زمن تحمل احتمالات لا نهائية، وأني في تلك اللحظة من الزمن تراكمٌ لكل قرار، وكل خيار، وكل فكرة في كل حياتي. لقد تجسّدت مخاوفي المتعددة وقوتي الكبيرة في هذا الداء.

الفصل الثامن

شيء مُطلق ومُدْهش كلياً

على الرغم من أنني أُحاول هنا مُشاركة تجربة اقترابي من الموت، ولكن ليس هناك كلمات تستطيع أن تقترب وتصف عمقها، وحجم المعرفة التي أتت مُتدفقة منها. من أجل ذلك، فإنّ أفضل طريقة للتعبير هي من خلال استخدام الاستعارات والتشبيه اللغوي، على أمل أن تلتقط جزءاً من جوهر ما أُحاول إيصاله، على الأقل على نحو مُختصر.

تخيّل إن شئتَ مخزناً ضخماً مُظلماً، وأنت تعيش هناك مع مصباح وحيد ببطارية ترى بواسطته. كلّ ما تعرفه عن مُحتويات هذا الفراغ الضخم هو ما رأيته على ضوء شعاع هذا المصباح الصغير. كلّما أردتَ البحث عن شيء، رُبّما تجده ورُبّما لا، إلا أنّ هذا لا يعني أنّ هذا الشيء غير موجود. إنه هناك، إلا أنك لم تُسلط ضوءك عليه. حتّى لو فعلتَ، قد يكون ادراك شكل هذا الشيء صعباً. قد تأخذ فكرة ما عنه، إلا أنك غالباً ما تبقى مُتسائلاً. أنت ترى ما يُركّز عليه ضوءك، وتتعرفّ على الشيء الذي تعرفه سلفاً.

هكذا هي الحياة الفيزيائية. نحن نُدرك فقط على ما تُركّز عليه حواسنا في أيّ وقت، ونفهم فقط ما هو مألوف سلفاً.

بعد ذلك، تخيّل أنه في يوم ما، قام أحدهم وضغط على مفتاح التشغيل، هناك للمرة الأولى، في لحظة انفجار مُفاجئة للتألق والصوت واللون، أصبحت ترى المخزن كلّهُ، وهو لا يُشبه أيّ شكل سبق أن تخيلته. تُومض الأنوار، تسطح، تتوهج، تقذف شرراً من اللون الأحمر، الأصفر، الأزرق. ترى ألواناً لا تُدركها، ولم يسبق لك رؤيتها. تغمر الموسيقى الغرفة بألحان خلابة مُتغيّرة تُحيط بك لم

تسمعها من قبل.

تنبض وتتراقص لافتات النيون في ومضات من قوس قزح من الكرز، الليمون، القرمز، العنب، الأرجوان، الذهب. تسير الألعاب الكهربائية على سكك إلى الأعلى والأسفل، وحول الرفوف المُكدسة بالعلب الملونة التي لا وصف لها والتي تحتوي على الحقائق، الأوراق، أقلام الرصاص، الألوان، الأحبار، علب الطعام، علب السكاكر الملوّنة، علب المشروبات الغازية الفوّارة، الشوكولا من كلّ نوع، المشروبات من كلّ ركن من أركان الأرض. تنفجر الأسهم النارية فجأةً إلى نجوم مُتناثرة، تنثر الورود البراقة، شلالات من النار الباردة، والجمر الصافر، وحركات الضوء.

يكاد هذا الشمول، التعقيد، العمق، الاتساع الذي يجري حولك أن يسحقك. لا تستطيع رؤية كلّ الطريق إلى نهاية الفضاء، وتعلم أنّ هناك أكثر ممّا تستطيع استيعابه في هذا السيل الجارف الذي يُحيرّ حواسك ومشاعرك. بيد أنك يأتيك شعور قوي أنك في الحقيقة جزء من شيء حيّ لا نهائيّ ورائع بمُجمله، وأنت جزء من تطريز كبير يتكشف ويمتدّ وراء السمع والبصر.

تفهم أنّ ما كنتَ تعتقد أنه واقعك، ما كان في الحقيقة إلا ذرة في هذه الأعجوبة الضخمة التي تُحيطك. تستطيع أن ترى كيف تترابط كلّ هذه الأجزاء المتنوّعة، وكيف تتساير مع بعضها، وكيف يتناسق كلّ شيء. تُلاحظ كم هناك أشياء مُختلفة في المخزن لم تكن رأيته، بل لم تكن حلمتَ بوجودها في مثل روعة واشراق وتألّق هذا اللون والصوت والملمس البديع، إلا أنها هناك مع كلّ شيء كنتَ تعرفه مُسبقاً. حتى تلك الأشياء التي كنتَ تعرفها تبدو الآن في سياق مُختلف وكأنها أيضاً جديدة كليّةً، وحقيقية على نحو خارق وغريب.

عندما ينطفئ المفتاح كما كان، فلا شيء بمقدوره سلبك الفهم والصفاء، السحر والجمال، روعة التجربة النابضة بالحياة. لا شيء بمقدوره إلغاء معرفتك

بكلّ ما هو موجود في المخزن. أنت الآن أكثر إدراكاً بما هو هناك، كيف تصل إليه، وما هو مُمكن، ممّا كنتَ عليه مع مصباحك الصغير. لقد تُركت مع إحساس الرهبة الذي يطغى فوق كلّ ما مررتَ به في تلك اللحظات الواضحة تمام الوضوح. لقد أخذت الحياة معنىً مُختلفاً، وتنشأ خبراتك الجديدة وأنت تتحرّك قُدماً من هذا الوعي.

أتعجّبُ من فهمي الجديد في العالم الآخر، أستمتع وأستكشف هذا الوعي الشامل. بينما أنا كذلك، أدركتُ أنّ هناك خيار يجب أن أقوم به.

وصلتُ إلى مكانٍ شعرتُ فيه للمرة الثانية بحضور والدي المُرّيح يُحيط بي وكأنه يضمني.

أخبرته: أبي، كأني وصلت إلى بيتي! أنا في غاية السعادة لأنني هنا. الحياة مؤلمة جداً!

أجاب: بيد أنك دائماً في بيتك حبيبتي. لقد كنتِ دوماً، وستبقين دائماً. أريدك أن تتذكّري هذا.

على الرغم من أنني لم أكن دائماً قريبةً من أبي بينما كنتُ أكبر، إلا أنّ كلّ ما كنتُ أشعر به ينبعث منه كان حُبّاً رائعاً مُتألّقاً غير مشروط. خلال حياتي الفيزيائية معه، كنتُ أُحبّط في أغلب الأحيان من مُحاولاته جعلي أُطيع وأتكيف مع معايير الثقافة الهندية، كمحاولته تزويجي صغيرة، وجعلني أشعر أنني غير طبيعية وغير مُتكيفة، لأنني لم أكن أنصاع دائماً. بيد أنني في هذا العالم الآخر أدركتُ أنه دون أيّ حدود فيزيائية أو قيود أو شروط من ثقافته وتوقعاتها، كلّ ما كان عنده لي هو حُبّ صافٍ.

لقد زال الضغط الثقافي الذي مارسه عليّ في الحياة برمته، لأنه لم يكن إلا جزءاً من الوجود الفيزيائي. لم يكن لهذا أيّ أهمية بعد الموت، هذه القيم لم تعبر إلى الآخرة. الشيء الوحيد الذي بقي كان ارتباطنا، والحُبّ غير المشروط

الذي حملناه لبعضنا. هكذا، وللمرة الأولى، شعرتُ أنني مُدلة وعزيزة في حضرة أبي. لقد كان ذلك حقاً شيئاً مُدهشاً ورائعاً! وكأني أخيراً وصلتُ إلى المنزل!

لم يكن تواصلنا شفهيّاً، بل تصریحاً من الإدراك المُتبادل. لم يكن الأمر فقط أنني فهمتُ أبي، بل كان وكأني أصبحت هو. لقد علمتُ أنه كان مع عائلتي كلّها خلال كلّ تلك الأعوام بعد رحيله. لقد كان مع أمّي يُساندها ويرعاها، وكان معي أيضاً في زفافي ومرضي.

أدركتُ أنّ جوهر أبي كان يتواصل معي على نحو مُباشر أكثر: يا حبيبة قلبي، أريدك أن تعلمي أنّ وقتك لم يحن كي تأتي إلى البيت. ما زال لديك خيار: إن شئت أن تأتي معي أو تعودني إلى جسدك.

بيد أنّ جسدي مريضٌ جداً، ومستنزف، وقد ركبه السرطان! كانت تلك الفكرة الفورية التي فاضت من خلالي. لماذا أريد أن أعود إلى هذا الجسد؟ إنّ ذلك الجسد لم يُسبب إلا المعاناة، وليس لي وحسب، بل لأمي وزوجي «داني» أيضاً! أنا لا أسطيع أن أرى أيّ مغزى من العودة.

لا حاجة إلى ذكر أنّ حالة الحُبّ غير المشروط تلك كانت مليئة بالسعادة والنعمة إلى درجة أنني لم أتحمل فكرة العودة. أردتُ أن أبقى حيث كنتُ إلى أبد الأبد.

الذي حدث بعد ذلك يصعب وصفه إلى درجة لا تُصدّق. أولاً، بدا وكأنني حيث ما وجهتُ وعيي يظهر أمامي مُباشرةً. ثانياً، لم يعد الوقت مُهماً. ولا شيء يُؤخذ في عين الاعتبار، وكأنها غير موجودة.

قبل هذا كان الأطباء قد أجروا اختبارات على وظائف أجهزتي، وكتبوا تقريرهم. إلا أنه في ذلك العالم، بدا وكأنّ نتائج هذه الفحوصات والتقارير مُتعلّقة بالقرار الذي سأخذه، فيما إذا أردتُ أن أعيش أو أستمرّ في الموت. لو اخترتُ الموت، ستُشير نتائج الفحص إلى فشل الأعضاء، ولكن لو اخترتُ أن أعود

إلى الحياة المادية، ستُظهر أنّ أعضائي بدأت تعمل من جديد.

في تلك اللحظة، قررتُ أنني لا أريد أن أعود. ثمّ أصبحتُ واعية أنّ جسدي الفيزيائي يموت، ورأيتُ الأطباء يتحدثون مع عائلتي، ويشرحون أنه موت بسبب فشل الأعضاء.

في الوقت نفسه، تواصل أبي معي: هذا آخر ما يُمكن أن تصلي إليه حبيبتي. لو ذهبتِ أبعد، فلن تستطيعي العودة.

أدركتُ وجود حاجز أمامي، على الرغم من أنّ الحدود لم تكن مادية. كان هناك ما يُشبه العتبة الخفية مُعلّمة باختلاف مستويات الطاقة. علمتُ أنني لو تجاوزتها، فلن يكون هناك عودة، وستنقطع كلّ روابطي بالعالم» الفيزيائي» نهائياً، وكما رأيتُ، سيتمّ إخبار عائلتي أنّ وفاتي كانت نتيجة فشل عضوي بسبب المرحلة النهائية من مرض» اليمفوما.»

كان الحُبّ غير المشروط والقبول شيئاً لا يُصدّق هناك، وأردتُ أن أعبّر العتبة كي أواصل اختبارهما إلى الأبد. كان الأمر وكأنني مُغلّفة في الوجدانية، الجوهر الصافي لكلّ كائن ومخلوق حي، دون آلامهم، أوجاعهم، مآسيهم، وغرورهم.

أعدتُ وعيي تجاه ردة فعل عائلي المذهولة من خبر وفاتي. رأيتُ وجه «داني» مدفوناً في صدري الميت، مُمسكاً بيدي الهزيلة، وكان جسده يهتزُّ بنحيب لا عزاء له. وقفتُ أمي جانبي بيضاء كاملاءة في ذهول وعدم تصديق. وقد وصل أخي» أنووب «كي ينصدم أنه لم يكن هناك وقت وفاتي.

على كلّ حال، قبل أن أمتصّ فيما كان يحدث في وجودي الفيزيائي وعائلتي، وجدتُ نفسي مسحوبةً بعيداً عن مشاعري. من جديد، وجدتُ نفسي مُحاطة بإحساس مطمئن عن قصة أكبر تتكشف. علمتُ أنه حتى لو اخترتُ ألا أعود، كلّ شيء سيكون كما يُفترض له أن يكون في النسيج الأكبر من الحياة.

في تلك اللحظة أخذتُ القرار بأن أذهب تجاه الموت، أصبحتُ واعيةً بمستوى جديد من الحقيقة.

بما أنني أدركتُ مَنْ أكون حقيقةً، وفهمتُ روعة نفسي الحقيقية، اكتشفتُ أنه لو اخترتُ العودة إلى الحياة، فسيُشفى جسدي بسرعة، وليس خلال أشهر أو أسابيع، بل خلال أيام! علمت أن الأطباء لن يكونوا قادرين على العثور على أيّ أثر للسرطان لو اخترتُ أن أعود إلى جسدي!

كيف ذلك؟ لقد ذهلتُ من هذا الاكتشاف، وأردتُ أن أفهم لماذا.

حينها فقط فهمتُ أنّ جسدي ما هو إلا انعكاس لحالي الداخلية. إذا كانت نفسي الداخلية على دراية بعظمتها وارتباطها بكلّ ما هو موجود، سرعان ما سيعكس جسدي هذا ويُشفى بسرعة.

على الرغم من أنه كان دائماً عندي خيار، أدركتُ أيضاً أنّ هناك شيء آخر. كأنّ عندي هدف لم يتحقق بعد. لكن ما هو؟ كيف لي أن أجده؟

أدركتُ أنني لستُ مُضطرة أن أذهب إلى الخارج كي أبحث عن الشيء الذي يجب أن أفعله، بل سيتكشف أمامي. إنّ الأمر يتعلق بمساعدتي للكثير من البشر، الآلاف، ربما عشرات الآلاف، لعلي أشاركهم الرسالة. إلا أنه لا يتوجّب عليّ أن أتعبّ شيئاً، أو أعمل كي أكتشف كيف سأحقق ذلك. ببساطة سأسمح له أن يتكشف.

كي أصل إلى هذه الحالة من السماح، فإنّ الشيء الوحيد الذي يجب أن أفعله هو أن أكون نفسي! أدركتُ أنّه خلال كل تلك السنوات، كلّ ما كان يتوجّب عليّ فعله هو أن أكون أنا، دون مُحاكمة أو الشعور بأنّي ناقصة. في الوقت نفسه، فهمتُ أن الأصل في الأمر، هو أنّ جوهرنا مصنوع من الحُبّ الصافي. نحن جميعاً حُبّ صافٍ، كلّ واحد منا. كيف لنا ألا نكون، ونحن نأتي من الكلّ ونعود إليه؟ علمتُ أنّ إدراك ذلك يعني ألا نخاف أبداً ممّن نكون.

لهذا، فإن نكون الحُبِّ وأن نكون أنفسنا الحقيقية هو شيء واحد وهو الأمر نفسه!

بينما مررتُ بأكبر كشوفاتي، بدا الأمر وكأنه صاعقة. فهمتُ أنه فقط عند كوني الحُبِّ الذي أنا في الحقيقة هو، فسأشفي نفسي والآخرين. لم أكن أفهم هذا من قبل مع أنه بدا واضحاً. لو كُنَّا جميعاً واحداً، وكلُّنا أوجه» الكلُّ» نفسه، والذي هو الحُبِّ غير المشروط، حينها بالطبع مَن نكون هو الحُبِّ! أدركتُ أنّ هذا هو الهدف الوحيد من الحياة: أن نكون أنفسنا، نعيش حقيقتنا، ونكون الحُبِّ الذي هو نحن.

كما لو كان الأمر من أجل تأكيد فهمي، شعرتُ أبي وصديقتي» سوني» يتصلان معي: والآن بعد أن عرفتِ حقيقة مَن تكونين، عودي وعيشي حياتك بلا خوف!

الفصل التاسع

إدراك المعجزة

بينما كنتُ مُستلقية هناك في المشفى، حتى قبل أن يُخبر أيّ أحد أخي أنني في غيبوبة، وأني في الرmq الأخير، شعر أنّ شيئاً لم يكن على ما يُرام. كان «أنووب» يعيش في «بونا» الهند، «وقد دفعه شيء ما كي يتصل مع وكيل سفر ويحجز تذكرة إلى» هونغ كونغ. «عندما اتصل وطلب تذكرة مساء ذلك اليوم بالتحديد، لأنه شعر بشيء طارئ، أجابه وكيل الحجز إنّ الرحلات من «بونا» كلّها محجوزة، ولكن هناك رحلة واحدة من «بومباي» «حجزها» أنووب، «ثمّ استأجر سيارة وقادها أربع ساعات كي يصل إلى طائرة» هونغ كونغ.»

عندما اتصل «داني» بأخي في «بونا» كي يُخبره بحالتي وأن يأتي بأسرع ما يُمكن، ردّت زوجته «موني» على الهاتف وأخبرت «داني» أنّ «أنووب» في طريقه إليهم.

عندما علمت «موني» وهي بوذية بمدى خطورة الوضع، رتبت على عجل مجموعة من زملائها البوذيين كي يُنشدوا من أجل شفائي.

في هذه الأثناء هنا في «هونغ كونغ»، كانت أُمي تسير ذهاباً وإياباً في ممر المشفى، تُصلي إلى «شيفا» من أجل حياتي. لقد شعرت بالعجز، ولم تكن تعلم ما الذي يُمكن أن تفعله أكثر من ذلك، فذهبت إلى المعبد الهندوسي، وهو المعبد نفسه الذي أخذني والداي إليه عندما كنتُ طفلة. صعّدت على الدرج العريض في المدخل إلى الباحة، ثمّ إلى قاعة الصلاة الرئيسة حيث التماثيل الكبيرة بالحجم الحقيقي للآلهة «كريشنا»، «شيفا»، «غانيشا» على قواعدها مُصطفة على

الحائط الأمامي، ملونة ومحلاة بألوان زاهية. غطت أُمي رأسها وجلست أمامهم ورأسها مُنحنٍ قليلاً، تتحدّث إليهم، وتستمدّ الراحة من وجودهم.

في الوقت نفسه، صديقة قريبة لنا اسمها «ليندا»، وهي كاثوليكية تقيّة، نظّمت صلاة جماعية في كنيستها. أخبرت القسّ بحالتي، وذكروا اسمي في صلاتهم.

بينما استلقيت في سباتي على السرير، والأنايب خارجة من أنفي وفمي وذراعيّ، بقي زوجي جانبي يهمس لي كي أعلم أنه هناك ويُخبرني أن أعود.

أسمع «داني» «يهمس»: «لا زال لدينا الكثير كي نفعله معاً حبيبتي، أرجوك، أرجوك عودي. سأنتظرك هنا، حتى لو انتظرتُ كلّ حياتي.»

بقي مُستيقظاً طوال الليل، ينظر إلى كلّ الساعات والعدادات فوق سريري، ينتظر، لا يُريد أن يفوته إذا لفظتُ نفسي الأخير، يُريدني أن أعود.

وجدتُ نفسي أريد التواصل معه: يا حبيبي، حبيبي» داني. «آمل أن تعلم دائماً كم أحبّك. أرجوك لا تقلق عليّ. أنا بخير. كم أتمنى أن أشاركك فيما أعلمه الآن. هذا الجسد الذي تُمسك بيده الآن ليس أنا الحقيقية. سنبقى دائماً معاً متصلين خلال كلّ الزمان والمكان. لا شيء يُمكنه تفريقنا. حتى لو متُّ فيزيائياً، فلن نفرق أبداً. كلّ شيء مثالي كما هو. أعلم هذا الآن، وأريدك أن تعلمه أيضاً.

في حوالي الساعة الرابعة صباحاً، بدأ جسدي فجأةً بالاختناق. كنت أتشردق وكأني لا أستطيع الحصول على الهواء. ارتعب» داني «مُعتقداً أن هذه هي لحظاتي الأخيرة، وضغط على جرس انذار الطوارئ. هُرعت الممرضات ووافقنه الرأي أنني أختنق، واستدعت إحداهنّ الطبيب. ثمّ أدرنّ جسدي وبدأن يضربني على ظهري.

وصل الطبيب بعد عشرين دقيقة، وأخبر» داني «أنّ رئتَي مُمتلئتان

بالسوائل، وأنني أختنق بسوائلني. أمر الطبيب الممرضات أن يُحضرنَ عدة تخصصية، وبعد أن أحضرنَ ما يُشبه الكيس الشفاف بطرفه إبره طويلة، أدخل الإبرة في ظهري، ثمّ في رئتي كي يسحب بعض السائل الذي تمّ تصريفه إلى الكيس الشفاف. كرر العملية ثلاث أو أربع مرات إلى أن أصبح ما يُقارب اللتر من السائل في الكيس، ثمّ أزال الإبرة. كنتُ لازلتُ أرى جسدي وهو يتنفس على نحو مُريح أكثر الآن.

استمرّ زوجي بالجلوس جانب سريري خلال الصباح والنهار، ينظر إلى أقراص الساعات والعدادات فوقي ويُمسك يدي.

وصل أخي إلى «هونغ كونغ» بعد الظهر واتصل بزوجي «داني» من المطار على جواله.

أخبره «داني»: «إياك أن تذهب إلى المنزل كي تضع حقائبك. استقلّ سيارة أجرة وتعال فوراً إلى المشفى. لا ندري كم لدينا من الوقت. وهكذا جاء» «أنوب» «مباشرةً إلى المشفى بحقائبه.

بدأت عيناي ترفّ وتتفتح حوالي الساعة الرابعة مساءً، وكانت رؤيتي ضبابية. بالكاد كنتُ أرى أنّ الخيال الذي فوقي كان «داني»، ثمّ سمعتُ صوته: «لقد عادَت.»!

لقد بدا سعيداً جداً. كان مساء الثالث من شباط، بعد ثلاثين ساعة من دخولي في الغيبوبة.

ثمّ سمعتُ صوت أخي، وشعرتُ أنني أحاول أن أبتسم.

قال «أنوب» «بصوت مُبتهج»: «أختاه، مرحباً بعودتك.»!

هتفتُ: «لقد فعلتها! لقد علمتُ أنك ستكون هنا. لقد رأيتك تأتي في

الطائرة.»

بدا مُنْذهلاً قليلاً، إلا أنه لم يكثر لتعليقي. كانت عائلتي سعيدة أنني بدأت في العودة. كانت أمي هناك أيضاً تبتسم بينما أخذت يدي. كنتُ مُرتبكة لأنني لم أدرك أنني كنتُ فاقدةً للوعي، ولم أدرك حينها على نحو كامل ما كان يحدث، ولم أفهم أنني لم أعد في العالم الآخر.

كانت رؤيتي تصفو أكثر فأكثر، وكنتُ أستطيع التعرف على عائلتي على نحو أسهل. رأيتُ حقيبة «أنوب» خلفه مُقابل الحائط.

دخل الطبيب وبدا مُتفاجئاً وسعيداً في الوقت نفسه لرؤيتي مُستيقظة. قال: «مرحباً بعودتك! كنا جميعاً قلقين عليك.»!

أجبتُ وأنا مُترنحة إلى حدٍّ ما: «مساء الخير. جميل أن أراك ثانية دكتور «شان.»»

سأل بدهشة واضحة على وجهه: «كيف تعرّفت عليّ؟.»

أجبتُه «:لأنني رأيتك، ألسَتَ الشخص الذي سحب السائل من رثتي في مُنتصف الليل، عندما كان لديّ صعوبة في التنفّس؟.»

ارتبك بوضوح وقال: «نعم، ولكنك كنتِ في غيبوبة طوال الوقت، وعيناك كانتا مغلقتين، «!حاول صرف النظر عن الموضوع بينما تابع» هذه مُفاجأة سارة حقاً! لم أتوقّع أن أراك تستيقظين، لقد جئتُ كي أرفّ إلى عائلتك بعض الأخبار الجيدة: إنّ نتائج اختبار أداء كبدك وكليتك ظهرت، وهي تُشير إلى أنها بدأت العمل من جديد.» بدا مسروراً جداً.

قلتُ بإرهاق وأنا أشعر بالارتباك: «لكنني علمتُ ذلك.»

أكد لي الدكتور «شان» «بصبر»: «لم يكن بمقدورك معرفة ذلك.» أعطى بعض التعليمات وهو يُغادر الغرفة: «هذا غير مُتوقّع. خُذي قسطاً من الراحة.»

كانت عائلتي مُبتهجة، وبدت أكثر بهجة ممّا رأيتها منذ زمن. شكروا

الطبيب بحرارة على الأخبار السارة عندما خرج.

بعد أن ذهب الطبيب «شان»، «سألتُ زوجي»: لماذا اندهش أنني عرفته؟ رأيتُه يُعالجني. ألم يكن هو الطبيب الذي أخبرك أنّ أعضائي توقفت عن العمل، وأني لن أنجو وأني أمتلك بضع ساعات في الحياة؟»

سألني «داني»: «كيف سمعتِ ذلك؟ لم يقل ذلك في هذه الغرفة. كان هذا الحديث في الرواق على بعد أربعين قدم من هنا.»!

قلتُ: «لا أعرف كيف سمعتُ ذلك، ولا أفهم لماذا، بيد أنني عرفتُ مُسبقاً نتائج اختبار أداء أعضائي حتى قبل أن يأتي الطبيب.»

على الرغم من أنني كنتُ ما أزال مُترنحة جداً، توضّح لي أنّ شيئاً ما قد حدث لي بالتأكيد.

على مرّ الأيام التالية، كنتُ قادرة ببطء على إخبار عائلتي ما الذي حدث معي في العالم الآخر، ووصفتُ كذلك الكثير من الأشياء التي وقعت بينما كنتُ في الغيبوبة. كنتُ قادرة على نقل المحادثات التي حدثت مع عائلتي المذعورة والتي لم تحدث حولي فقط، بل خارج غرفتي في القاعة في الأسفل، وفي أماكن الانتظار في المشفى. كان بإمكانني وصف العديد من الإجراءات التي خضتها، وتعرّفتُ على الأطباء والممرضات الذين قاموا بها، لدهشة الجميع من حولي.

أخبرتُ طبيبة الأورام وعائلتي كيف واجهتُ صعوبة في التنفس، وبدأتُ بالاختناق بسوائلني في منتصف الليل، عندما قرع زوجي جرس الإنذار. عددتُ بالتحديد كيف وصلتُ الممرضات واستدعين بمُكاملة طوارئ الطبيب الذي أتى مُسرعاً بينما اعتقد الجميع أنني أُلغِظ أنفاسي الأخيرة. وصفتُ كلّ تفصيل في هذا الحدث، بما في ذلك الوقت الذي حدثت به، ممّا فاجئ الجميع.

حتى أنني حددتُ الشخص الذي ذعر عندما اعترفتُ وأخبرتُ عائلتي: «ذلك هو المُمرض الذي قال إنّ أوردتي توقفت كلها. واسترسل أكثر وأكثر عن أنّ أطرافي

ذبلت، ولم يبقَ مني إلا العظم فقط، لذلك من الصعب إيجاد وريد من أجل بدء عملية ضخّ الدم، في الحقيقة لقد بدت نبرته وكأنّ الأمر غير مُجدٍ أن يُحاول إيجاد وريدي.»!

كان أخي مُزعجاً من هذه المعلومة واعترف فيما بعد أنه وبخ الرجل قائلاً: «لقد سمعت أُختي كلّ كلمة قلتها عندما لم تستطع إيجاد وريدها. لقد استطاعت أن تُخبر أنك كنت مستعداً للتخلي عنها.»

كان المُمرض مُندهشاً ومصدوماً: «لم يكن لديّ علم أنها كانت تسمعني! لقد كانت في غيبوبة،»! ثمّ اعتذر لي بشدة عن تبليد مشاعره.

خلال يومين من خروجي من الغيبوبة، أعلمني الأطباء أنه بسبب عودة أعضائي إلى العمل على نحو عجائبي من جديد، فقد خمد الانتفاخ الذي سببته السموم كثيراً إلى حدّ بعيد. كنتُ مُتفائلة جداً وإيجابية، وطالبتُ الأطباء بإزاحة أنبوب التغذية لأنني كنتُ مُستعدة كي أتناول الطعام وحدي. احتجّت أحدُ أطباء الأورام، مُدعيةً أنني مررت بحالة سيئة التغذية، وأنّ جسمي لا يمتصّ الغذاء. بيد أني ألححتُ لأنني كنتُ أعرف أنني مُستعدة لذلك. في النهاية، كانت أعضائي تعمل على نحو طبيعي ثانية. وافقتُ الطيبة على مضمض، قائلة إنني إن لم أكل جيداً، فسُتعاود وضع الأنبوب ثانية.

كان الأنبوب رُبّما أكثر شيء مُزعج ممّا اتصل بجسمي. لقد أُدخل من خلال أنفي ومرّر من خلال الرغامى إلى معدتي، من أجل وضع البروتين السائل من خلاله مُباشرة في نظام الهضم. لقد جعل وجود هذا الأنبوب حنجرتي تجفّ وتظماً وكان داخل أنفي مُتهيجاً وغير مرتاح. كنتُ أشعر بنفاذ صبري وأنني أُريد التخلص منه.

بعد اخراج الأنبوب، اقترح الطبيب على عائلتي أنّ أفضل طعام صلب لي هو «الكريما» المثلجة، والتي ستُلين ليس فقط السحجات في حلقي، بل سيكون من

السهل لي أن أهضمها دون جهد إضافي من أجل المضغ. لمعت عيناى من هذا الاقتراح، ذهب» داني «كي يُحضر لي عبوة من» كريما «الشوكولاتة المثلجة المفضلة لديّ.

عندما قام طبيب الأورام الآخر بفحصه الاعتيادي، لم يستطع إخفاء دهشته، وصاح بشكّ» :لقد تقلّص ورمك على نحو واضح» إلى حدّ كبير «فقط خلال ثلاثة أيام !والانتفاخ في غدّدك الدهنية كلّها قد تقلّص إلى النصف تقريباً ممّا كانت عليه.»!

في اليوم التالي، كنتُ سعيدة أنه تمّ إخراج أنبوب الهواء. فحصني الأطباء وتأكدوا أنني أتنفّس دون مُساعدة ولذلك أبعده. كنتُ أجلس في السرير، على الرغم من الحاجة إلى سند رأسي بالوسائد لأنني ضعيفة جداً وغير قادرة على حمله فترة وجيزة. كنتُ في حالة روحانية عالية. أردتُ التحدّث مع عائلتي، وكنتُ مسرورة برؤية» أنبوب «والتحدّث معه بالتحديد.

هنا أردتُ الاستماع إلى جهازى المحمول، فطلبتُ من» داني «إحضاره لي إلى المشفى. بسبب كلّ الأنابيب والأسلاك التي ما زالت موصولة بي، بالإضافة إلى الجرح من أذية جلدي في الرقبة، لم أستطع وضع المسماع. من أجل ذلك، وصل «داني «زوجاً من السمّاعات الصغيرة، ووضعهما على الطاولة جانبي كي أستطيع سماع الموسيقى.

بسبب حالتي الأثرية، أردتُ الاستماع إلى الألحان البهيجة باستمرار، على الرغم من أنني لم يكن لديّ قوة في عضلاتي كي أخرج من السرير، ناهيك عن أرقص. بيد أنني في رأسي كنتُ أرقص» الجاز «بسعادة، وساعدت الموسيقى وأضافت الفرحة إلى مزاجي المنتشي. في ذلك الوقت، لم أفهم تماماً لماذا كنتُ إيجابية جداً، شعرتُ فقط أنني عرفتُ شيئاً.

شعرتُ كأنني طفلة. أردتُ موسيقي، أردتُ تناول المثلجات والتحدّث مع

عائلي، وكنْتُ سعيدة وأضحك .لم أستطع النهوض من السرير أو التجوّل، ولكن كل شيء بدأ كاملاً بطريقة لم أختبرها من قبل.

كنتُ ما أزال في غرفة العناية المُشددة، ولذلك قرر الأطباء أنني أصبحتُ مُزعجة للمرضى حولي! فقد بدأ أفراد أسرهم بالتذمّر من الموسيقى، والضحكات، والثرثرة التي تأتي من جانب ستارتي.

قال الطبيب « شان «عندما أتى من أجل رؤيتي أثناء جولته الصباحية» :لا أعلم ماذا أفعل بك! أنا لا أعرف حتى ماذا أكتب في ملفك .إنّ حالتك مُميّزة حقاً.»!

هكذا في يومي الخامس في المشفى، تمّ نقلي إلى غرفة عادية، حيث لديّ خصوصية الاستماع إلى الموسيقى والضحك كما أشاء!

ببطء شديد فعلياً، بدأ يأتيني الفهم لما كان يحدث لي .بينما صفا ذهني بدأتُ أتذكّر تفاصيل ما حدث، وجدتُ نفسي راغبة بالبكاء على كلّ صغيرة .كان هناك مسحة من الحزن على ترك الجمال والحرية في العالم الآخر خلفي .في الوقت ذاته، ما زلتُ أجد نفسي سعيدة ومُمتنة تجاه عودتي ومُعاودة الاتصال مع عائلي .كنتُ أبكي دموع الحزن والفرح في الوقت نفسه.

شعرتُ أيضاً برابطة مع الجميع بطريقة لم أعشها سابقاً، ليس فقط مع أفراد عائلي، بل مع كلّ مُمرضة، طبيب، أو حتى عمال النظافة الذين أتوا إلى غرفتي .كان لدي تدفق من الحُبّ تجاه كلّ شخص أتى من أجل مُساعدتي أو العناية بي بأيّ طريقة .لم يكن الأمر شكلاً من التعلقات التي كنتُ أعرفها. شعرتُ وكأنني مُتصلة بهم جميعاً بعمق، وعلمتُ كلّ ما كانوا يُفكّرون ويشعرون به، وكأننا نتشارك الدماغ والتفكير ذاته.

كان سريري جانب النافذة، وبعد نقلي بفترة قصيرة إلى الغرفة، سألني أحد المُمرضين إن كنتُ أريد النهوض والنظر إلى الخارج .أدركتُ أنني لم أر العالم

الخارجي بعض الوقت، ولذلك شعرتُ بالبهجة من الأمر وقلتُ « نعم، بالتأكيد.»!

سندني الممرض، وفي اللحظة التي نظرتُ بها من النافذة، تدفقت الدموع من عيني، ولم أستطع منع نفسي من البكاء. لم يكن مُسجلاً حتى تلك اللحظة أنّ المشفى كانت في موقع على بعد عدة كتل سكنية فقط عن منزلي في « الوادي السعيد.»

كما ذكرتُ سابقاً، كنتُ أتلقى العلاج ونقل الدم في السنوات الأخيرة في مكان آخر أشبه بعيادة كبيرة من كونه مشفى مُتكاملاً، ولكن في اليوم الذي غبتُ فيه عن الوعي دخلتُ لأول مرة هذه المنشأة.

هنا كنتُ أنظر إلى الأشياء نفسها التي كنتُ أنظر إليها عندما كنتُ طفلة. بإمكانني رؤية مضمار سباق الخيول أمام المشفى، وخط السكة الحديدية الذي ركبته مع « آه فونج ! «بينما حملتُ بعينين باكيتين إلى مسرح طفولتي، شعرتُ وكأنني أصبحتُ دائرة كاملة.

يا إلهي، لا أصدق هذا، فكرتُ بدهشة. انظر إلى السكة، الحديقة، الأبنية من فترة طفولتي. يا لها من رسالة، هل حصلتُ على فرصة أُخرى! هل بإمكانني البدء من جديد.

مع أنّ المشهد كان مألوفاً بالنسبة إليّ وكان عادياً، ولكنه بدا مع ذلك جديداً تماماً. بدا كلُّ شيء جديداً ومُتناغماً وجميلاً، وكأنني أنظر إليه للمرة الأولى. كانت الألوان مُتألقة أكثر ممّا عرفتُها، وكنتُ ألاحظ كلَّ تفصيل وكأنها المرة الأولى. نظرتُ إلى الأبنية المُحيطة، وكان أحدها حيث نشأتُ، كانت الحديقة تماماً عبر الشارع الذي زرته عندما كنتُ صغيرة، السكك الحديدية، تسير العربات، يسير المشاة مع كلابهم أو يركضون كي يلحقوا مهامهم. رأيتُ كلُّ شيء بأعين جديدة، وكأنني كنتُ طفلة من جديد. كان المنظر عادياً أكثر من ذي

قبل، ومع هذا كان الأفضل منذ زمن، ورُبَّما إلى الأبد.

الفصل العاشر

دليل الشفاء

بعد بضعة أيام من خروجي من غرفة العناية المُشددة، بدأتُ بالعلاج الفيزيائي من أجل تقوية عضلاتي. في أول يوم استطعتُ فيه المشي عبر الغرفة، أخذتني المُمرضة إلى الحمام، فاستطعتُ رؤية نفسي في المرآة. عندما نظرتُ إلى انعكاس هيكل العظمي، غرق قلبي بالدموع. كانت المرة الأولى منذ خروجي من الغيبوبة التي شعرتُ فيها بالبؤس.

طلبتُ من المُمرضة أن تدعني وحدي بضع دقائق كي أحظى ببعض الخصوصية. تابعتُ التحديق إلى نفسي في المرآة. لم أعرف تقريباً الشخص الذي رأيته قبالي في المرآة، ولم أستطع تمييزه. لقد سقط مُعظم شعري في مجموعات متفرقة، وبدت عيناي كبيرتين جداً على تجويفيهما، ونتاجت عظام وجنتي، وكان لديّ ضماد على جانب رقبتني تحت أذني اليمنى، يُخفي فتحة جلدية ضخمة. تخشبتُ من رؤية صورتي، وبدأتُ بالبكاء.

بكيْتُ ليس من أجل غروري. فلم يكن مظهري الفيزيائي مُهمّاً في تلك اللحظة. بل كان لديّ الحزن العميق ذاته الذي قد يشعره أيّ أحد عندما ينظر إلى شخص في حالتي. شعرتُ بالأسى ممزوجاً مع التعاطف العميق. كان بإمكانني أن أرى في تلك الصورة، وذلك الوجه، وتلك الأعين، سنين الألم التي أوصلتني إلى حيث أنا اليوم، أقف مُقابل المرآة.

حزنتُ: كيف سمحتُ لنفسي أن تمرّ بكلّ هذه المُعاناة الجسدية؟ كيف سببتُ لنفسي كلّ هذا الألم؟

نعم، لقد شعرتُ وكأنني فعلتُ هذا لنفسي. وضعتُ يدي على المرآة،

وعندما لامستُ صورة وجهي المُخيف، قطعْتُ وعداً أنني لن أُؤذي نفسي هكذا ثانية.

كان الأطباء حذرين بالنسبة إلى شفائي، بالتحديد بسبب الحالة التي كنتُ فيها عندما دخلتُ المشفى. لقد أرادوا ضبط جرعة خلطة العلاج الكيماوي التي أعطوني إياها، والتي كنتُ في وقت من الأوقات أخاف منها كثيراً.

شاهدتُ المُمرضة وهي تدخل كي تُعطيني الدواء الكيماوي. علقت كيس الجرعة على ساعد مُعلّق. كان الكيس الذي يُغذي أوردتي مباشرة، مكتوب عليه «سُم» بأحرف حمراء كبيرة. ارتدت المُمرضات أقنعة وأكفّ لينة كيلا يُلامسوا صدفة أيّ من هذه المواد الكيماوية الخطرة. لقد بدا غريباً أنه من المقبول تماماً أن تدخل هذه الأدوية مباشرة في مجرى دمي.

عرفتُ أنني لستُ في حاجة إلى العلاج الكيماوي. كان الأطباء يُدبرون الأمر لأسبابهم الخاصة، وليس بسببي، لأنني عرفت أنني لا أقهر. لا شيء يستطيع تدميري، ولا حتى السُم المحقون مباشرة في أوردتي، الشيء الذي طالما خفتُ منه عدة سنوات! على نحو مُثير للانتباه، لم أعانِ من الآثار الجانبية العادية. كان الفريق الطبي الذي يُعالجني مُندهشاً أنني لم أعانِ من الدوار بسبب العلاج.

شعرتُ بشيء من النصر. لقد تغلّبتُ تماماً على خوفي من كلّ شيء، من الموت، السرطان، العلاج، وقد أثبت لي هذا أنّ الخوف هو الذي يُدمّرني. عرفتُ تماماً أنه لو كان هذا قبل تجربتي في العالم الآخر، لكانت مُشاهدة كلمة سم بالخط الأحمر العريض على الجرعة التي تجري في عروقي، مقرونةً مع صورة الممرضات اللواتي يلبسن ملابس واقية من أجل تجنب التلوث، قد حفّزت داخلي خوفاً كافياً كي يقتلني. إنّ التأثير النفسي وحده كان قضي عليّ، لأنني أعرف كم كنتُ مملوءة بالخوف سابقاً.

بدلاً عن ذلك، شعرتُ أنني لا أقهر. عرفتُ أنّ قرار العودة الذي اتخذته

هيمن على أيّ شيء يجري في العالم المادي.

أراد الأطباء تطبيق سلسلة من الفحوصات من أجل الحصول على صورة أكثر وضوحاً عن وضعي الحالي وضبط الجرعة الكيميائية وفقاً لذلك. وافقت على ممرض، لأنني عرفتُ أنهم على الأغلب، احتاجوا هم نتائج الفحوصات أكثر مني كدليل على شفائي، فأنا علمتُ جزئياً كيف ستكون النتائج. ستُعطيني شعوراً بالنصر وسأثبت لنفسي أنني على حق. مع ذلك، شعر الأطباء أنني ما أزال ضعيفة جداً كي أصمد في الاختبار الشامل، لذلك قرروا نشر الإجراءات على مدار أسبوعين بينما كنتُ أصبح أقوى. أصبح وزني أقل من تسعين باونداً، وكان مطلوب مني أن أرفع مستوى تغذيتي قبل أيّ فحوصات، والتي تتطلب عملية جراحية ثانوية، بينما قد تُضيف أيّ مُتطلبات شفاء إضافية جهداً على مصادري المُستنفدة أصلاً.

كانت آفاتي الجلدية ضخمة، وكانت الجروح المُنتفحة تُنظف من قبل المُمرضين وتُضمّد كلّ يوم. بسبب أنّ الآفات كانت عريضة وعميقة، شعر الأطباء أنها لن تُشفّ دون تدخل. لم يمتلك جسمي لا القوة ولا التغذية المطلوبة من أجل التعافي من الأضرار الرئيسة، ولذلك أتت جراحة إعادة البناء من أجل تقييم الوضع.

لقد أكّد الطبيب أنّ جراحي كبيرة حقيقة كي تتعافى وحدها، خصوصاً أنّ جسمي لم يكن لديه التغذية اللازمة من أجل دعم هذا الأمر. مع ذلك، شعر الطبيب أنني ما زلتُ هزيلة جداً كي يصمد جسمي أمام جراحة البناء، فطلب من المُمرضين الاستمرار بتنظيف الجروح وتغليفيها، حتى أستجمع قوّة كافية من أجل العملية. لقد كنتُ بالكاد أمتلك عضلات ولحم على عظامي.

بعد حوالي ستة أيام من خروجي من العناية المُشددة، بدأتُ أشعر أنني أقوى، وبدأتُ أتمشى صعوداً وهبوطاً في ممر المشفى فترات قصيرة من الزمن

قبل أن أشعر أنني في حاجة إلى الراحة. كان الفحص الأول الذي قرر الأطباء أنني قوية بما فيه الكفاية كي أتحملة، هو فحص عينة نخاع العظم. هذا الاجراء مؤلم جداً، ويتضمّن ادخال إبرة سميكة إلى قاعدة العمود الفقري، من أجل سحب النخاع من العظم.

من الشائع بالنسبة إلى المصابين بمرحلة متقدمة من سرطان النظام الليمفاوي، أن ينتشر السرطان إلى مَخِّ العظم، ولذلك توقّع الأطباء رؤية ذلك على نحو مُؤكّد في نتائج اختباراتي. لقد كانت نيّتهم أن يستخدموا هذه النتائج كي يُقرروا ما الدواء الذي سأستخدمه، وكيف يجب أن تكون الجرعات.

أتذكّر اليوم الذي تلقيتُ فيه النتائج. دخل الطبيب غرفتي مع كامل فريق المشفى، يبدو عليهم القلق. ثمّ تكلم: «لدينا نتائج خزعة نقي العظام، بيد أنها مُقلقة بعض الشيء.»

لأول مرة منذ أيام شعرتُ ببعض القلق: «لماذا؟ ما المُشكلة؟»

كان أفراد أسرتي في غرفة المشفى معي، وقد بدا أنهم جميعاً قلقون.

قال: «لا نستطيع إيجاد السرطان في خزعة نقي عظامك.»

سأل «داني»: «ما المُشكلة؟ ألا يعني هذا أنه ليس لديها سرطان في نقي

العظام؟»

قال الطبيب: «كلاً، هذا غير مُمكن، لديها سرطان حتماً في جسمها، لا يُمكن أن يختفي بسرعة هكذا. يجب أن نجده، وحتى ذلك الوقت، هناك مُشكلة، لأنني غير قادر على تحديد جرعة العلاج.»

من أجل ذلك، أرسل الأطباء عينة نقي العظام خاصتي إلى أحد أفضل المُختبرات المُتقدمة جداً في البلاد. بعد أربعة أيام، عادت النتائج سلبية، لم يكن هناك أثر للسرطان. شعرتُ بإحساس غامر بالنصر لدى سماع الأخبار.

كي لا يشعروا بالهزيمة، أراد الأطباء فحص عينة من عقدة ليمفاوية من أجل إيجاد السرطان. بادئ الأمر، جعلني إحساسي الجديد بنفسني أثار وأقول: «كلا، لن تُجروا المزيد من الاختبارات، لأنه جسمي، وأنا أعرف مُسبقاً أنكم لن تجدوا أيّ شيء.»!

على كل الأحوال، استمرّ الأطباء بإصرارهم، مُدكّرني عائلتي بالحالة التي كنتُ عليها عندما دخلتُ المشفى منذ أيام قليلة، فقررتُ أن أدعهم يمضون في ذلك، مع أنني أعلم جيداً أنهم لن يجدوا أيّ شيء، كما أنني أدركتُ أيضاً أنّ هذا سيُجلب لي شعوراً بالنصر كي أمتنع عن أيّ اختبار طبي يُعطونه لي.

قلتُ للطبيب: «إفعل ما تُريد، ولكن أريدك أن تعلم أنكم تقومون بذلك من أجل إقناع أنفسكم. أنا أعرف النتائج مُسبقاً.»!

منحوني بضعة أيام أخرى كي أستجمع بعض القوة من أجل خزعة العقدة الليمفاوية، التي تستلزم جراحة ثانوية. قبل الإجراءات تمّ إرسالني إلى قسم الإشعاعات. كان على أخصائي الأشعة أن يستخدم مُعدات فوق صوتية من أجل إيجاد الورم الأكبر في العقدة الليمفاوية، ويضع علامة على جلدي حيث يستطيع الجراح أن يشقّ من أجل أخذ الخزعة.

بينما استلقيتُ هناك على الطاولة في المُختبر الإشعاعي، لاحظتُ صور جسدي السابقة المأخوذة يوم دخولي المشفى، مُثبتة بدبوس على علبة مُضاءة، تُظهر أماكن تواجد الأورام. لاحظتُ أخصائي الأشعة من هذه الفحوصات أنّ رقبتي كان مُسيطر عليها بالغدد الدهنية والأورام، ولذلك سيّر الآلة الإشعاعية خلف رقبتي، وإلى أسفل عمودي الفقري. ثمّ حرّكها حول عنقي كلّهُ، ثمّ إلى الأعلى والأسفل. لاحظتُ الارتباك والانذهال على وجهه.

ثم رجعتُ إلى الصور المُعلقة على اللوح المُضاء وتفحصتها، ثم عاد حيث كنتُ أستلقي على الطاولة. سألتُ إن كان بإمكانه تصوير تحت ذراعي. قلتُ: «نعم،»

ولكنه بعد تفقد تلك المنطقة، بقي مُنذهاً. ثمَّ صوّر صدري، ظهري، جوفي.

سألتُ: «هل كلُّ شيء على ما يُرام؟.»

قال: «أنا مُتحيّر.»

بدأتُ أشعر بتلميح عمّا يجري: «لماذا؟ ما الذي يحدث؟.»

أجاب: «اعذّريني دقيقة.»

ذهب أخصائي الأشعة إلى هاتف ليس ببعيد، وسمعته يتصل مع طبيب الأورام.

سمعته يقول: «أنا لا أفهم. لديّ صور تُظهر السرطان مُسيطرًا على الجهاز اللمفاوي عند المريضة منذ أسبوعين فقط، ولكني الآن لا أجد أيّ عقدة ليمفاوية في جسدها كبيرة كفاية كي أدعوها سرطاناً.»

عبرتُ ابتسامة على وجهي، وبينما عاد إلى الطاولة، جلستُ وقلتُ: «حسنًا أعتقد أنني أستطيع الذهاب الآن.»!

أجاب: «ليس بهذه السرعة، لقد أصرّ طبيب الأورام خاصتك أن أجد الورم اللمفاوي من أجل أخذ خزعة، لأنه من غير المُمكن ألا يكون لديك سرطان في جسمك. لا يختفي السرطان هكذا. من أجل ذلك، عليّ تحديد الورم بهدوء كي نقرب منه، على رقبتك مثلاً.»

تابع بوضع الإشارات على رقبتني مع أنها لم تكبر. ثمّ تعيّنت العملية الجراحية، وأحدث الطبيب الجراح شقاً صغيراً على الجانب اليساري من عنقي من أجل إزالة عقدة ليمفاوية.

مع أنّ هذا تمّ تحت تأثير مُخدّر موضعي، كنتُ واعية تماماً. لم تُعجبني حقيقة الأحاسيس غير المُريحة التي شعرتُ بها على عنقي عندما شقّ الطبيب العقدة الليمفاوية. ما أزال أذكر رائحة لحمي المُحترق بينما كان الجراح يكوي

جرحي. فكّرتُ أنّ تركهم يفعلون ذلك لم يكن فكرة جيدة في النهاية!

على كلّ حال، أظهرت النتائج مُجدداً أنه لا أثر للسرطان.

عند هذه النقطة، بدأتُ فعلياً أعترض على الفحوصات المُستمرّة والأدوية، لأنني في داخلي كنتُ أعلم دون أدنى شك أنني شُفيتُ. كما أنني بدأتُ أشعر بعدم الراحة من احتجازي داخل المشفى. أردتُ الخروج والعودة إلى استكشاف العالم من جديد، خصوصاً أنني أعلم أنني سأكون على ما يُرام. إلا أنّ الأطباء قاوموني، وأصروا أنني في حاجة إلى مزيد من الفحوصات والأدوية. ذكروني بحالة «موجب» التي تُؤكّد وجود السرطان في جسدي عندما دخلتُ إلى المشفى.

سألتهُم: «إذا لم تستطيعوا العثور على السرطان في جسدي، لماذا ما زلتُ في حاجة إلى هذا؟.»

أجابوا: «إنّ كوننا لا نستطيع العثور على السرطان، لا يعني أنه ليس هناك. لا تنسِ أنك كنتَ ميتة عندما قدمتِ منذ بضعة أسابيع.»!

في النهاية صوّر الأطباء جسدي بأكمله بتقنية التصوير الطبقي المحوري، وعندما أظهرت النتائج أنني خالية من السرطان، وصل علاجي إلى نهايته.

أيضاً، ولزيادة دهشة الفريق الطبي، فإنّ الترتيبات التي أجروها مع طبيب الترميم كي يُعالج الآفات التي كانت في عنقي لم تُعدّ مهمّة، لأنّ الجراح شُفيت بمُفردها.

في التاسع من آذار، 2006 وبعد خمسة أسابيع من دخولي إلى المشفى، تمّ السماح لي بالذهاب إلى المنزل. كنتُ قادرة على السير دون مُساعدة، ولكن كنتُ في حاجة إلى بعض المُساعدة في صعود ونزول الأدراج. كنتُ في حالة عالية من النشاط والخفة، إلى درجة أنّ الأطباء كتبوا بالخطّ الكبير على ورقة تخرّجني من المشفى: «تُخرّج إلى منزلها كي ترتاح أكثر. لا تسوّق ولا حفلات على الأقل ستة أسابيع.»!

إلا أنني لم أفعل أيّ من ذلك! بعد أسبوع فقط في عيد ميلادي في السادس عشر من آذار، ذهبتُ إلى مطعمي المفضّل «مطبخ جيمي»، «من أجل العشاء مع عائلتي كي نحتفل بحياتي الجديدة. في الأسبوع الذي يليه، في السادس والعشرين من آذار حضرتُ عرس صديقة. كان أصدقائي الذي علموا بما مررتُ به مصدومين عندما شاهدوا أنني رقصتُ وشربتُ الشمبانيا بطرب. علمتُ أكثر من أيّ وقت سبق أنّ الحياة يجب أن تعاش بسعادة وتسليم.

الفصل الحادي عشر

سيدتي، بأي طريقة نظرت،

لا بُدَّ أن تموتي

بعد عدة أسابيع من التأكد من شفائي من السرطان، كنتُ لازلتُ في مرحلة استيعاب كلِّ ما حصل ومُحاولة فهمه. أصبحتُ مُتعودة على الناس الذين أعرفهم وهم يتفاجؤون على نحو ملحوظ عندما يرونني للمرة الأولى بعد خروجي من المشفى.

على الرغم من أنه لا أحد قالها في وجهي مُباشرة، كنتُ أعرف أن مُعظمهم ظنَّ أنني سأموت عندما رأوني آخر مرة. لم يتوقعوا رؤيتي ثانية. حاول بعضهم إخفاء دهشته عندما رأوا الصحة التي أصبحتُ عليها في هذه المدة القصيرة، إلا أن بعضهم لم يُخفِ هذا جيداً.

قالت مُدرّسة «اليوغا»: «يا إلهي، أهذه أنتِ؟»، فتحت ثغرها عندما دخلتُ عليها في صالة عملها للمرة الأولى بعد ستة أشهر: «تبدین رائعة! سمعتُ أنك تتشافين، إلا أنني لم أدرك أنك بهذه الصحة.»!

كانت «أميره» مُدرستي في «اليوغا» عدة سنوات، شخصاً محبوباً، وعندها صالة جميلة مُطلّة على الجزء الفيكتوري من مركز «هونغ كونغ» التجاري. كانت تُدرك أنني مريضة، وعندما ضعفتُ ولم أعد قادرة على القيام بالكثير من الوضعيات، كانت تتعامل معي برفق أو تجعلني أستلقي بوضعية ال-«شافاسانا» وهي تعني الاستلقاء بمُنتهي الارتخاء، كما في النوم. عندما لم أستطع القيام بأيِّ وضعيات سوى «شافاسانا»، كنتُ لازلتُ أحضر عند «أميره» لأنني

كنتُ أُحِبُّ أن أمتصَّ الطاقة الإيجابية في الصف.

أخيراً، عندما لم أستطع الخروج وأسرت في كُرسيِّ المُتحرِّك وأصبحتُ مُتصلة مع خزان الأكسجين، وكانت ترعاني مُمرضة مُقيمة في المنزل، توقفتُ عن الذهاب إلى صالة» أميره.»

هكذا، ما إن أصبحتُ قادرة على الخروج بمُفردتي، أردتُ أن أدخل في مُنتصف درسها وأفاجئها، ولقد تفاجأت بالتأكيد! «قدمتني» أميره «إلى المُتدربين في الصف، ولم يكن كلهم يعرفني. إلا أن الذين تذكروني دُهبوا. حملتُ سيدة منهم بأعين مصدومة عندما تذكّرت كم كنتُ مريضةً في آخر أيام حضوري في هذا الصف. لم تكن تظنُّ أنها ستراني من جديد، إلا أنني كنتُ هناك، وكلُّ ما استطاعت قوله هو أن هذه مُعجزة.

كلُّ مَنْ قابلته كان يُريد معرفة ما حصل. كيف تحسنتُ إلى هذه الدرجة وبهذه السرعة؟ بيد أنني وجدتُ شرح الأمر في غاية الصعوبة، وبدأتُ أدرك أنني لم أفهمه أنا أيضاً برُمته. لم أجد طريقة كي أصف ما مررتُ به بطريقة يفهمها الآخرون. لقد بدت الكلمات من أجل التعبير عن هذه التجربة وكأنها غير موجودة، وخصوصاً في اللغة الإنجليزية.

في أحد الأيام استقبلتُ بريداً من «أنوب» «فيه رابط موقع حول» تجارب الاقتراب من الموت. «كان يبحث كي يرى فيما إذا كان هناك أحداً غيري قد مرَّ بشيء مثل الذي مررتُ به، فوجد» مؤسسة أبحاث تجارب الاقتراب من الموت، والتي موقعها [www. nderf. org](http://www.nderf.org): قال في رسالته إنَّ ما مررتُ به يبدو مُشابهاً لبعض التجارب التي شارك بها الناس على هذا الموقع، وأرادني أن أُلقي نظرة.

لم أكن أعلم الكثير عن تجارب الاقتراب من الموت. سمعتُ عنها، ورُبَّما شاهدتُ عنها فيلماً وثائقياً أو اثنين على الرائي، إلا أنني لم أعرف شخصاً مرَّ بمثل هذه التجربة، وآخر ما كان يخطر في بالي هو أن أمرَّ أنا بمثل هذه التجربة!

عندما بدأت بقراءة المعلومات على الموقع الذي أرسله لي أخي، إقشعرت جسدي بينما اكتشفتُ قصصاً مُشابهة لقصتي. لم تكن التجارب تمتلك عنصر المرض الذي كان عندي، إلا أن بعض ما مرّوا به في العالم الآخر كان مُشابهاً جداً. لقد تحدّث العديد منهم عن التوسّع، الصفاء، الشعور بالوحدانية، وأنا كلنا مُتصلون. عبّروا عن شعورهم بعدم وجود أحكام، وعن وجود حُبّ غامر غير مشروط فقط. تحدّثوا عن مُقابلة أحبائهم الذين فقدوهم أو كائنات أُخرى كانت تهتمّ بهم، وكان عندهم شعور بالتفاهم والمعرفة الكونية الكلّية. لم أستطع تجاوز حقيقة أن آخرين قد شعروا بإحساس القبول والوحدة، ومعرفة أنا جميعاً محبوبون على نحو كوني شمولي. لقد شارك الكثير منهم فكرة أنه بعد تجربة الاقتراب من الموت، شعروا أن لديهم هدفاً ما، وهذا بالضبط ما شعرتُ به!

بعد قراءة بعض الحسابات، لاحظتُ شعاراً على الموقع يقول: «هل مررت بتجربة الاقتراب من الموت وتريد أن تُشارك بها؟ اضغط هنا، «فعلتُ ذلك، وظهر نموذج طويل مُفصّل، وبدأتُ أُعبئه. لم يسبق لي أن كتبتُ تجربتي، حاولتُ فقط التحدّث عنها مع الأصدقاء المُقربين وأفراد العائلة، وهذه كانت المرة الأولى التي حلّلتها بهذا التفصيل.

حيث أن هذه كانت المرة الأولى التي شرحتُ فيها لشخص غريب عن حالتي، أردتُ أن أحرص على تفصيل ما كنتُ أودُّ قوله على نحو واضح جداً. جعلتني الأسئلة أيضاً أفكّر بأجزاء من تجربتي بطريقة لم تسبق لي. ملأتُ كلّ التفاصيل عن إصابتي بالسرطان، وكلّ ما مررتُ به عندما عبرتُ ثمّ عدتُ، وأخيراً اختفاء السرطان بسُرعة كبيرة. بعد إكمال الحقول على النموذج وإضافة كلّ التفاصيل في الفراغات، ضغطتُ على زر «إرسال». «ظهرت رسالة تقول: «شكراً على إرسالك شهادتك لنا. سنتصل بك خلال الأسابيع الثلاثة القادمة كي نُخبرك

فيما إذا كانت تجربتك ستُنشر على موقعنا.»

في ذلك الوقت، كان الوقت مُتأخراً ليلاً، فذهبتُ إلى السرير مُعتقدة أنني لن أسمع عنهم فترة. على أيّ حال، عندما استيقظتُ في الصباح التالي، كانت مُفاجأة لطيفة أنني وجدتُ رسالة في صندوقي البريدي من «الدكتور جفري لونغ.»

شرح «دكتور لونغ» أنه طبيب أورام، بالإضافة لامتلاكه موقع «مؤسسة أبحاث تجارب الاقتراب من الموت» حيث عرضتُ تجربتي، ووجدت تجربتي أكثر التجارب استثنائية ممّا قرأه. أراد أن يسألني بعض الأسئلة، وبالتحديد عن حالتي الطبية، لأنّ شفائي السريع أثار فضوله جداً. قال إنني رويتُ تجربتي بوضوح جيّد، وأراد أن يعرف المزيد عن مرضي، مثل متى تمّ التشخيص، فترة مرضي، وكم استغرق السرطان من الوقت كي يتلاشى بعد تجربة الاقتراب من الموت.

أجبتُ على كلّ أسئلته بقدر استطاعتي، فاستجاب ثانية بسرعة. كان هناك ابتهاج صادق باستجابته، وقد قال إنه كان مُستمتعاً جداً بأجوبتي، وشكرني على السماح له أن يضع تجربتي على الموقع. قال إنها قد تكون مُلهمة لعشرات الآلاف من الناس عبر العالم. ثمّ وضع حسابي على الموقع مع رابط مُباشر على موقع المؤسسة في الصفحة الرئيسة لموقع تجارب الاقتراب من الموت، مُتضمنة كل الإجابات على كلّ الأسئلة المتابعة، التي ما تزال في أرشيف الموقع حتى اليوم بالصيغة الأصلية.

فيما بعد اكتشفت أن «دكتور لونغ» قد طبع ما كتبتُه كي يقرأه ويُعيد قراءته، لأنه اعتقد أنه مُتميّز، وهذا ما لم يفعله مع أيّ استبيان آخر.

في الوقت نفسه، كان صديقي «بيتر لويد»، الذي يُدير نشرة تُدعى «هوليستكهونغ كونغ»، مُندهشاً ممّا حدث لي واستأذن في طباعة قصتي.

أرسلتُ له نسخة دقيقة لما قدمته في موقع» مؤسسة أبحاث تجارب الاقتراب من الموت، «وقد ضمّن ذلك في اصداره القادم.

بعد بضعة أسابيع خلال صيف، 2006 تواصلتُ مع طبيب أورام آخر في الولايات المتحدة اسمه د». بيتركو، «الذي قال إنّ لديه مصلحة شخصية بدراسة إحالات عفوية. خلال ثلاثة أسابيع أرسل إليه شخصان مختلفان روابط تجربتي، الأول على موقع المؤسسة، والثاني في» هوليستكهونغ كونغ. «عندما استلم الدكتور الرابط الأول من المؤسسة رفضها بسبب طولها وتفصيلها الشديد، فليده الكثير من رسائل البريد الإلكتروني من أناس يقترحون له مقالات كي يقرأها. بيد أنه عندما تلقى البريد الإلكتروني الثاني، وهذه المرة على موقع» هوليستكهونغ كونغ «مع رابط قصتي مع طلب قراءة المقال وأخبروه أنه لا بُدّ سيكون مُهتمًا، فقرر أن يرى ما الأمر.

بعد قراءة قصتي أثير فضوله وتواصل مع» بيتر لويد «وسأله إن كان هناك طريقة للاتصال معي، لأنّ الموقع لم يذكر اسمي بالكامل، بل عرّف قصتي فقط تحت اسم «أنيتا السيدة القادمة من تجربة الموت، «لذلك اتصل» بيتر «معني ومع د». كو «عبر البريد الإلكتروني، وسأل الدكتور» كو «مباشرة إن كان يستطيع مكالمتي لأنّ لديه الكثير من الأسئلة.

تحدثنا على الهاتف عدة ساعات، وأعطيتُه تفاصيل تجربتي وحالتي الصحية بالتفصيل. ثمّ أرسلتُ له عبر الفاكس بعض الصفحات المتعلّقة بتاريخ الطبي، مُتضمنة تقرير الطبيب في الثاني من شباط، اليوم الذي دخلتُ فيه إلى المشفى والذي يصف حالتي وتوقعات الأطباء، مع التشخيص» ورم ليمفاوي، المرحلة. «4B

بعد قراءة بعض هذه الصفحات، كانت كلماته الأولى» :سيدتي، أيّ كانت الطريقة التي أنظر بها إلى الأمر، يجب أن تكوني ميتة.»!

كان د». كو «مفتوناً كثيراً بقضيتي، ولذلك رتبّ رحلة عمل إلى» هونغ كونغ «كي يستطيع الذهاب إلى المشفى حيث جرت تجربتي ويدرس سجلاتي الطبية.

كان منتصف تشرين الأول عندما قابلته في المشفى حيث كانت تجربتي في الاقتراب من الموت. جلسنا في الردهة وتعارفنا فترة، سألني عن تجربتي ومرضِي، وكان يُريد معرفة كلّ شيء من وجهة نظري. ثم ذهبنا إلى مكتب الإدارة وطلبتُ سجلاتي. أخرجوا الملف الضخم، الذي سماكته حوالي ثلاثة إنشات، ووضعوه على المنضدة أمامنا. أخذناه إلى المقهى، وبدأ الدكتور «كو» يدرس التفاصيل صفحة صفحة، مُخرجاً الوثائق المتعلّقة بالموضوع كي يتمّ نسخها.

شعرتُ بالسعادة العارمة والامتياز لأنّ طبيبي أورام، الأول د». لونغ «والثاني د». كو «مُهتمين جداً بقصتي. أكّد ذلك شعوري أنني عدتُّ من أجل هدف أعظم كي أنقذ الآخرين. كنتُ مُمتنة ومسرورة أنّ خوضي في كلّ ما حدث لي قد يُساعد شخصاً آخر.

سألني د». كوك «ما إذا كنتُ مُنفتحة من أجل الحديث على العموم حول ما حدث لي. اعترف أنه شكوك بطبعه، ولكنه كان مُستمتعاً جداً بما قرأه في سجلاتي في المشفى، وأراد أن يضع بحثه في حالتي من أجل الاستخدام الجيد على الفور. خطط لترتيب مؤتمر محلي بينما كان مايزال في» هونغ كونغ «كي يُشارك آخر ما توصل له من نتائج مع المُجتمع الطبي، وأرادني أيضاً أن أتحدّث. أخبرني أنه سبق وذكر حالتي أمام بضعة أشخاص من المُجتمع الطبي المحلي، وقد أعطى خلفية صغيرة حول قصتي وممانعتي قبول المُعالجة التقليدية.

شعر د». كو «أنه من الضروري بالنسبة إلى المُجتمع الطبي أن يسمع قصتي من وجهة نظري. قال إنه لم يمرّ بحالة مُشابهة من كلّ النواحي حيث كان السرطان في مرحلة مُتقدمة، ثمّ ذهب من تلقاء نفسه بهذه الدرجة السريعة.

لقد اعتقد أنه من الضروري بالنسبة إلى الناس أن يعلموا عن هذا. كنتُ مُثارة جداً من فكرة أن أسأل، وتوآقة كي أشارك ما حدث لي، فقبلتُ التحدّث في المؤتمر.

كذلك جعلتُ «د». كو «يتواصل مع أخصائي عائلتنا د». براين والكر، «الذي أكّد أنه دُهش من شفائي. كرر د». والكر «قوله إنه لم يرَ من قبل تشافٍ سريع كهذا في مرحلة مُتقدمة من السرطان. تحدّث د». كو «مع د». والكر «بعض الوقت حول ملاحظاته عن تقدّم مرضي بالسرطان على مرّ السنين، وأيد د». كو «الأمر من خلال العديد من النتائج التي توصل إليها فيزيائيون أمريكيون. ثمّ تواصل د». كو «مع الصحافة وأكّد على ضرورة تواجد مُراسل في المؤتمر كي يروي تفاصيل قصتي في جريدتنا المحلية.

فيما سيأتي مُقتطفات من مُلخص د». كو «الذي كتبه بعد بحثه في كلّ تقاريري في المشفى. لقد بعث هذا التقرير، الذي أعدتُ استنساخه بإذنه، في بريد الكتروني إلى الصحافة والمُجتمع الطبي خلال التحضير للمؤتمر. إنه يسرد تفاصيل قصتي من وجهة نظر طبيب أورام، مُعززاً تجربتي الشخصية:

أمل أن تجدوا قصة» أنيتا «مفروضة كما أراها. لقد فتح هذا اللقاء عينيّ تماماً! عندما قدمتُ إلى» هونغ كونغ «في الشهر الفائت، كانت نيتي أن أتفحص تاريخها السريري، وأثبت أو لا أثبت ادعاءاتها. بعد ارضاء نفسي بالتفاصيل الواقعية، أجد نفسي حقيقة وقد أثّر فضولي أكثر فأكثر من تجربتها الرائعة، خصوصاً الرسالة التي جلبتها عندما عادت! بينما قد تكون التفاصيل السريرية مُملة قليلاً بالنسبة إلى القارئ العمومي، أريد تزويدكم بها كمرجع كي تتمكنوا من تقييم كم كانت مريضة، وكم كان التعافي الذي حققته مُثيراً. بعد إضافة بعض الملاحظات، أمل أن نضع قصة» أنيتا «على أساس صلب أكثر:

أولاً: حساب مرتب زمنياً لمرض» أنيتا «، في صيف، 2002 لاحظتُ انتفاخاً

صلباً فوق عظمة عنقها. كان هذا إنذاراً واضحاً لطبيبها. تمّ أخذ الخزعة في نيسان تلك السنة، وتمّ الإقرار أنه سرطان الغدد الليمفاوية، في المرحلة «2A» قريب من المنتصف /صامت.»

لقد علمتم كلّ شيء عن عدم رغبتها ونفورها من الخضوع إلى العلاج التقليدي، وبحثها عن طرق بديلة مُتنوّعة. تقدّم مرضها ببطء خلال السنتين والنصف التالية. في عام 2005 بدأ يتدخل في صحتها. عقّد السرطان عقدها الليمفاوية أكثر فأكثر، وأصبح يكبر شيئاً فشيئاً. لقد كشفت أيضاً ما ندعوه «عوارض B» من التعرق الليلي، الحمى، الحكّة الجلدية، وغير ذلك مما يُشير إلى تقدم المرض. لقد تطوّر التدفق في الغشاء الجانبي» تراكم السوائل «على جانبي صدرها، وخلال عام 2005 تطلّب الأمر سحب السوائل عدة مرات عندما بدأ يتداخل في عملية التنفّس. خلال عيد ميلاد 2005 تطوّرت وجهة السير هذه بسرعة، وبدأت تسلك مُنحني نحو السقوط. كان المرض في صدرها وعنقها يرشح من خلال الجلد مُسبباً تقرحات كبيرة لا تتعافى. بسبب عدم قدرتها على تناول الطعام أو امتصاص الغذاء، بدأ وزنها يتناقص، وظهرت علامات الارهاق، والعضلات الهزيلة، وبدأت وظائف كليتيها تتعرض إلى الخطر.

في صباح الثاني من شباط وجدناها غير قادرة على النهوض من السرير؛ انتفخ وجهها، رقبتها، وذراعها الأيسر مثل البالون، وأغلقت عينيها بسبب الانتفاخ. كلّ ذلك بسبب تعرض الأوردة التي تصرف السوائل من رقبتها ورأسها إلى الخطر، من العقد الليمفاوية المتضخمة والمتلبدة. كانت تلهث كي تتنفّس بسبب انسداد في جانبيها، على الرغم من استعمال الأوكسجين الإضافي المنزلي. ولكنّ زوجها ووالدتها بسبب شعورهما بالعجز تماماً، اتصلا بطبيب العائلة من أجل المساعدة، وقد حثهم بدوره على أخذها إلى المشفى على الفور. هناك، تمّ استدعاء طبيب الأورام الذي صُدّم من شكل «آنيثا»، ثمّ بسبب الحالة الصعبة

التي تُمثلها تمّ استدعاء طبيب آخر مع العديد من المُستشارين كي يُحددوا فشل الأنظمة العضوية المُتعدد. كان الإجماع أنها لن تنجو دون تدخل، وبينما قد يكون العلاج الكيميائي ساماً جداً نظراً لفشل عمل أعضائها، ولكنه قد يكون فرصتها الأخيرة. خلال تلك الليلة، خضعت إلى العديد من الاختبارات بالمرنان والأشعة، وتمّ استخراج لترين من السوائل من صدرها، بدأت بالمرحلة الثالثة من العلاج الكيميائي، الذي يتضمن سبع مراحل، «يُقسم العلاج الكيميائي إلى ثمان مراحل على سبعة أدوية، كلّ مرحلة تستغرق ثلاثة أسابيع». ثمّ وُضعت في وحدة العناية المُركّزة. وهنا انسحبت إلى ما تصفه بتجربتها في الاقتراب من الموت.

ثانياً: تعافي» أنيتا «المُثير بعد عودتها من تجربة الاقتراب من الموت. مساء الثالث من شباط، استيقظت» أنيتا، «وقفت، وأعلنت لعائلتها أنها ستكون على ما يُرام. تحادثت مع طبيب الأورام الذي كان مُرتبكاً من قدرتها على تمييزه. في الرابع من شباط، طالبت» أنيتا «بنزع أنبوب التغذية، ووعدت أطباءها أنها ستأكل ما يُحضره لها كي تكسب بعض الوزن، وطلبت إحضار جوالها المحمول من المنزل.

في الخامس من شباط، حيت أطباءها وطلبت منهم حضور حفلة، وافقوا في النهاية على إخراجها من العناية المُركّزة في السادس من شباط.

أثناء ذلك، تعافت مُعظم الانتفاخات في وجهها، وبدأت العقد اللمفاوية الضخمة بالتلين، وأصبحت قادرة على إدارة وجهها للمرة الأولى. أتمت جرعة الأدوية للمرحلة الأولى في مُنتصف شباط. تقرر إجراء عملية جراحية من أجل: - 1 أخذ خزعة من العقد اللمفاوية في عنقها، - 2 اجراء تطعيم جلدي للتقحيات المفتوحة على رقبتها وإبطها.

لم يستطع الطبيب إيجاد أيّ عقدة لمفاوية مرضية خلال الفحص، فعين

موعداً لها من أجل الفحص بالأشعة فوق الصوتية يسبق أخذ الخزعة، وقد يُجرى الزرع الجلدي في الوقت نفسه.

فشلت ثلاثة فحوص فوق صوتية في كشف أيّ عقدة لمفاوية مرضية واضحة. في السابع والعشرين من شباط، أخذ الطبيب أخيراً خزعة واحدة من عنقها، ولم يكن هناك أيّ سرطان واضح.

تشافت تقرحات الجلد وحدها دون إجراء التطعيم.

وافق أطباء الأورام أخيراً أن تُغادر المشفى إلى البيت في التاسع من آذار، بعد مرحلتها الثانية. احتفلت بعيد ميلادها في السادس عشر من آذار في مطعم «جيمي»، «وحضرت زفافاً، رقصت وشربت في السادس والعشرين من آذار، ثمّ بدأت مرحلتها الثالثة. وتوصلوا جميعاً إلى تسوية من خلال إجراء مسح شعاعي بعد ست مراحل في الرابع والعشرين من تموز أُعطيت وثيقة السلامة الصحية، وأوقفوا المرحلتين الباقيتين.

كان شفاؤها مُميزاً بالتأكيد، بناء على تجربتي وآراء العديد من الزملاء، أنا غير قادر على عزو شفاؤها المُثير إلى العلاج الكيميائي. بناء على ما تعلّمناه عن سلوكيات الخلية السرطانية، أُخمن أنّ شيئاً غير فيزيائي، معلومات رُبّما «!قد أطفأ الجينات ومنع ظهورها، أو أرسل برنامج الموت إلى الخلية السرطانية. إنّ الآلية الدقيقة غير معروفة بالنسبة إلينا، لكنها لا تبدو نتيجة الأدوية السامة.

أعتقد أنّ لِقائي غير المُتوقع مع تجربة «أنيتا» سيضعني أمام مرحلة يجب فيها أن أتعلّم المزيد حول هذه الظاهرة، وحول طبيعة أنفسنا الحقيقية!

حضر المؤتمر أعضاء مهنة الطب، بالتحديد أساتذة من قسم الأورام في المشفى التعليمي المحلي. بالإضافة إلى عدد من الأشخاص دعوتهم بنفسني مثل «د. كو» وبعض الأساتذة الآخرين. فيما بعد، دُعينا أنا والدكاترة «كو»، «والكر» إلى مُقابلة على المذيع تشرح حالتي». مقال الصحيفة والمذيع موجود حالياً

كنتيجة مباشرة للمؤتمر ولقائي مع أعضاء الهيئة الطبية في جامعة «هونغ كونغ»، «دُعيتُ كي أكون مُستشارة في قسم الدراسات السلوكية في هذه الجامعة، حيث أتحدّث وأنصح الأساتذة في علم نفس مُواجهة السرطان والموت. طُلب مني أن أتحدّث في الكلية مع الطلاب عن القواعد الأساسية في هذا الموضوع، وقد استمتعتُ بذلك كثيراً.

جمع د». كو «تقريراً عن نتائج بحثه من ملفي الطبي، وأرفق معه أسئلته، وأرسلها إلى معاهد السرطان حول العالم. حتى غاية اليوم، لم يستطع أحدهم الإجابة على أسئلته، ولم يمرّ أحدهم بسجلات لها هذه النهاية المثيرة.

هذه بعض الظواهر غير المُفسّرة التي شاركها د». كو «معي والتي ما تزال لغزاً:

أولاً: تُظهر سجلاتي الطبية أنّ أعضائي قد توقّفت عن العمل في الوقت الذي دخلتُ فيه المشفى، مع ذلك، هناك شيء ما تسبب في إعادتها إلى العمل ثانية. كان د». كو «مفتوناً بما تسبب في شفائها، وقد لاحظ كذلك تعليقاً مكتوباً من طبيب الأورام يقول فيه: «تمّ ابلاغ عائلة المريضة، «والذي فسّره الدكتور» كو» أنّ الطبيب سجّل ملاحظة أنّ عائلتي نُبّهت إلى مسألة احتضاري.

ثانياً: أكّدت سجلاتي أنّ لديّ ورم خبيث بحجم الليمون على طول جسمي، من قاعدة جمجمتي وحول عنقي، إبطي، صدري، وحتى أسفل بطني. بيد أنه بعد بضعة أيام، كان هناك شفاء على الأقل بنسبة سبعين في المئة وتناقص في الحجم. كان بدافع من فضوله يُريد معرفة كيف يُمكن لمليارات الخلايا السرطانية أن تُغادر جسدي بسرعة عندما كانت أعضائي تنهار.

ثالثاً: كان لديّ تقرحات مفتوحة، وقد تمّ ذكرها في ملفي، وقيل إنها تحتاج إلى عملية ترميم نظراً لأنّ جسمي لا يمتلك القدرة الضرورية كي يُشفى، لأنني

كنتُ أعاني من سوء التغذية الشديد، والعضلات الهزيلة عندما دخلتُ إلى المشفى. قيل في ملاحظات الأطباء أنّ عملية إعادة البناء والترميم سيتمّ تحديدها عندما أصبح أقوى. ثمّ تعافت الجراح من تلقاء نفسها، قبل فترة من جهوزية الفريق الطبي من أجل العملية.

تعود كلّ هذه الأمور إلى السؤال الجوهري الذي أراد الدكتور «كو» وآخرون أن يفهموه حول التعافي العفوي: ما الذي نقر المفتاح، ونقل الجسم من الاحتضار إلى الشفاء؟

بالنسبة إلى وضعي الخاص، أنا أعرف الإجابة، لكنه ليس الشيء الذي يُوجد في الدواء.

الفصل الثاني عشر

رؤية الحياة بأعين جديدة

في الأشهر الأولى بعد خروجي من المشفى شعرتُ بالنشاط والخفة وكنْتُ أُحلقُ عالياً. بدا كلُّ شيء وكلُّ شخص جميلاً، وكان هناك شيئاً من السحر والأعجوبة في أكثر المواد والأحداث دنيوية. خُذ أثاث غرفة معيشتي على سبيل المثال، والذي كان معنا سنوات عديدة دون أن يبدو مُميزاً بأيِّ شكل. بعد العودة إلى البيت، رأيتُ الجمال في مصنوعات الخشب التي لم ألاحظها سابقاً أبداً، وكنْتُ قادرة على الإحساس بالجهد المبذول في التصميم. تعجّبت من قدرتي على تشغيل سيارتي ثانية، الأمر الذي لم أستطع القيام به في الأشهر التسعة الأخيرة خلال مُعاناتي مع السرطان. كنْتُ في حالة من الرهبة من قدرتي على مُزامنة يديّ، عينيّ، رجليّ كي أقود في الطرقات. كنْتُ مُندهشة من الجسم البشري والحياة في حدِّ ذاتها.

مع مرور الأشهر، بدأتُ أشعر أنني في حاجة إلى فعل شيء جديد في حياتي. بينما كنْتُ أفكّر بما أريد أن أفعله، شعرتُ أنني أغرق. لم أعرف أين أبدأ في جمع القطع. لم يكن العالم كما كان عليه قبل أن أغادره. لقد أمضيتُ السنوات الأربع الماضية أتعامل مع المرض. أثناء ذلك الوقت، كان كلُّ تركيزي على المرض. أمضيتُ سنوات أقرأ، أدرس، أتعلّم كلُّ شيء يُمكنني فعله حيال السرطان. لقد دار كلُّ هدي في حول مرضي ومُحاولة الشفاء منه. بطريقة ما، بدأتُ أتأقلم أكثر مع كوني شخصاً مريضاً بالسرطان أكثر من تأقلمي مع الحياة. الآن انتهى كلُّ شيء. ما الذي سأفعله فيما تبقى من حياتي؟

قبل التشخيص كنْتُ مُستقلة على نحو كبير، بينما في الوقت الذي مرضتُ

فيه، كنتُ مُتكلة كثيراً على» داني «وبقية أفراد أسرتي .عندما أصبحتُ في صحة جيدة ووقفتُ على قدمي، استعاد كل شخص دوره الخاص .عاد» داني «إلى العمل، ورجعتُ والدي وأخي بالطائرة إلى منزلهما، وتركوني أكتشف ما الذي أردتُ فعله مع نفسي وحياتي.

لم أتخيل أن أعود ثانية إلى كوني موظفة ترحيل .لقد تركتُ عملي بعد تشخيصي بالمرض بفترة قصيرة، بل إنني قابلتُ بديلي .لم أكن أعمل في السنوات الأربع الأخيرة، بينما كنتُ مُستغرقة بالتعامل مع السرطان .لقد بدا التفكير بالعودة إلى العمل الآن مُختلفاً، وأدركتُ أنني كنتُ مُختلفة.

شعرتُ وكأنني لن أستطيع الارتباط بأيِّ أحد ممّن حولي، أو بدقة أكثر، لم يستطع الآخرون الارتباط معي، لوفكرتُ في العودة إلى العمل .لم أكن أستطيع اكتشاف ماذا أريد فعله، فلم يعد أيُّ شيء صحيح بعد الآن .شعرتُ وكأنني لا أتأقلم مع أناس هذا الكوكب وقيمهم .تغيّرت أولوياتي، ووجدتُ أنني لم أعد مُهتمة بالعمل في المكتب، كي أكتب التقارير لأيِّ أحد، أو أكسب النقود لذاتها. لم أعد أهتمّ بشبكة العمل، ولا الخروج مع الأصدقاء بعد العمل من أجل الاسترخاء، ولا التعامل مع ساعات الزحمة في الصباح أو المساء، ولا السفر إلى العمل في المدينة .هكذا لأول مرة منذ تجربة الاقتراب من الموت، شعرتُ بالضياء والوحدة.

أصبح ارتباطي بمُحادثات حول الأحداث اليومية أكثر صعوبة .أصبحتُ مساحة اهتمامي أقصر، ووجدتُ تفكيري يتجول في ظلال مختلفة، حتى أثناء الحديث مع الأصدقاء .فقدتُ الاهتمام كلياً بما كان يجري في العالم السياسي والأخبار، بل بما كان يفعله أصدقاؤني .مع ذلك ينصبُّ انتباهي على غروب الشمس في الأفق، عندما أجلس على الشاطئ أستمتع بكوز المثلجات، كما لو أنني كنتُ أختبر حُسن وجمال هذا العالم للمرة الأولى .لقد كان جمال توهج

غروب الشمس البرتقالي المنعكس على الماء، وأنا أشعر بالرمال الرطبة تحت أقدامي وبين أصابعي، يملئني بالرهبة بطريقة لم تكن من قبل. لقد جعلني الطعم المغري للشوكولاتة المثلجة البلجيكية على براعم تذوقي، أشعر وكأنني أتناول البوظة للمرة الأولى!

رأيتُ المقدّس في كلّ شيء، كلّ حيوان وحشرة. تطوّر عندي اهتمام أكبر بالعالم الطبيعي لم يكن سابقاً، حتى أنني لم أعد أستطيع قتل الناموس الذي يزنّ حولي. لقد كانت أمطاً من الحياة لا بُدّ أن تُحترم، فلها هدف، وعلى الرغم من أنني لا أعرف ما هو، ولكنني علمتُ بالتأكيد أنّ لها هدف، كما أنّ لي هدف.

في كلّ صباح كنتُ أستيقظ وأنا أريد استكشاف العالم من جديد. لقد كان كلّ يوم مغامرة جديدة. أردتُ أن أمشي، أقود السيارة، أستكشف، أجلس على التلال والرمل، وأستوعب هذه الحياة! كنتُ مهتمة جداً ببيئة المدينة، واتصلتُ معه وكأنه جديد كلياً. أمضيتُ وقتي أستكشف الأسواق، وأستمتع بمناظر المدينة والأفق الجميل لأضواء» النيون «التي تُضيء ناطحات السحاب، كنتُ مُعجبة بنظام النقل العام عالي الكفاءة، والجسور المعلقة المذهلة الممتدة على الماء، كي تربط الجزر المتعددة التي تصنع» هونغ كونغ. «كلّ هذا أشعرتني بالرهبة.

كانت لذة كلّ يوم تجعلني أشعر وكأنني وُلدتُ للتوّ، وكأنني دخلتُ إلى العالم وأنا كبيرة بالغة، وكأنني وُلدتُ للمرة الأولى في الثالث من شباط. 2006

في الوقت نفسه وجدتُ نفسي غير قادرة على إعادة التواصل مع الكثيرين من أصدقائي القدامى الذين حاولتُ مُقابلتهم على الغداء أو شرب القهوة. كان الكلّ مُتلهفاً إلى لقائي، إلا أنّ مُعظمهم لم يفهم العمق والمدى الذي غيرتني به هذه التجربة. وجدتُ أنني أضجر وأفقد صبري في المواقف الاجتماعية. لم أقدر

على الجلوس فترات طويلة، أو المشاركة في مناقشات حول الأمور الاعتيادية الدنيوية.

شعرتُ وكأنّ الناس فقدوا قدرتهم على رؤية سحر الحياة .لم يُشاركوني إعجابي الشديد وحماسي تجاه مُحيطي، وتجاه مُجرّد كوني على قيد الحياة .لقد بدا أنهم عالقون ومُنغمسون في الرتابة اليومية، وكان تفكيرهم في الشيء التالي الذي يجب أن يقوموا به .لقد كان هذا بالضبط ما فعلته قبل تجربتي في الاقتراب من الموت .لقد انشغل الجميع بما عليه أن يفعله إلى درجة أنه نسي كيف يكون في اللحظة.

إلا أنّ أهمّ ما في الأمر كان شعوري أنّي على حافة شيء جميل يتكشف. شعرتُ أنّ هناك هدفاً أكبر من خوضي في كلّ هذا الذي مررتُ من خلاله .على الرغم من هذا الحماس الداخلي، والشعور أنّي على حافة مُغامرة عظيمة، إلا أنّي لم أكن أشعر أنه يجب عليّ أن أقوم بشيء أو أسعى إليه كي يحدث .فقط كان يجب أن أكون نفسي، بلا خوف !بهذا الشكل، كنتُ أسمح لنفسي أن أكون أداة حُبّ .فهمتُ أنّ هذا هو أفضل ما يُمكن لأيّّ منا أن يفعله أو يكونه، من أجل كوكبنا وأنفسنا.

منذ أدركتُ ذلك، لم تعدّ المشاكل تبدو كبيرة بعد الآن .شعرتُ أنّ الناس كانوا يتناولون الحياة ومشاكلهم بجدية مُبالغ فيها، وهو ما كنتُ أقوم به سابقاً، إذ كنتُ غارقة في الماضي في مآسي الآخرين، وفي مآساتي الخاصة أيضاً .إلا أنه بعد تجربة الاقتراب من الموت، شعرتُ بنعمة الحياة والحصول على فرصة ثانية كي أُعبّر عن نفسي هنا .لم أعد أُريد تضييع ولا دقيقة واحدة من المُغامرة الكبيرة. أردتُ أن أكون أنا بقدر ما أستطيع وأتذوّق كلّ دقيقة لذيدة من كوني على قيد الحياة!

حقيقةً لم أكن أُريد أن أقع في مُستنقع المشاكل الثانوية الرتيبة وأمور

كالقلق على المستقبل، المال، العمل، المنزل ومشاكله. لقد بدت كل هذه الأمور ثانوية على نحو أو آخر، وخصوصاً وقد وثقتُ بالعملية التي كنتُ أشعر أنها تتكشف أمامي.

لقد بدا من المهمّ أن نمرح ونضحك. شعرتُ بخفة جديدة كلياً، وضحكتُ بسهولة. استمتعتُ بصحبة من أراد الأمر نفسه.

كلّما خضتُ في حديث عن المرض، أو السياسة، أو الموت، كانت وجهات نظري تبدو مُختلفة جداً بسبب تجربتي، إلى درجة أنني ببساطة لم أعد قادرة على إقحام نفسي في تلك المواضيع. بدأتُ أدرك أنّ قدرتي على المُحاكمة والتمييز قد أصبحت «مُعاقة». «لم أعد قادرة على رسم فاصل واضح بين الجيد والسيء، أو الصواب والخطأ، لأنني لم أُحاكم على شيء خلال تجربة الاقتراب من الموت. كان هناك فقط التعاطف، والحُبّ غير المشروط. كنتُما أزال أشعر هكذا تجاه نفسي وكلّ مَنْ حولي.

هكذا وجدتُ نفسي مُتعاطفة مع المجرمين والإرهابيين في العالم، بالإضافة إلى ضحاياهم. فهمتُ على نحو لم يسبق لي فهمه أنه كي يقوم الناس بمثل هذه الأفعال، فلا بُدّ أن يكونوا حقيقةً مليئين بالارتباك، اليأس، الألم، كره الذات. إنّ الشخص المُدرك لذاته والسعيد لا يُمكن أبداً أن يقوم بهذه الفظائع! إنّ الناس الذين يُراعون ويدلون ذواتهم، يُصبح الاقتراب منهم فرحة، ولا يُشاركون حُبهم إلا عندما يكون بلا شروط. كي يكون المرء قادراً على مثل هذه الجرائم، لا بُدّ أن يكون مريضاً عاطفياً، في الحقيقة تماماً كمريض السرطان.

على أيّ حال، رأيتُ أنّ أولئك الذين عندهم هذا النوع من السرطان «الفكري» يُعاملون باحتقار في مُجتمعنا، مع فرصة ضعيفة جداً من أجل الحصول على أيّ مُساعدة عملية لحالتهم، الأمر الذي يُعزز تلك الحالة. عند مُعاملتهم على هذا النحو، نحن نسمح فقط أن يكبر «السرطان» في مُجتمعنا.

أستطيع أن أرى أننا لم نضع مُجتمعاً يُشجّع العلاج الفكري والفيزيائي.

كلّ هذا كان يعني أنني لم أعد قادرة على رؤية العالم في ضوء «نحن» و«هم»، «أقصد الضحايا والمُعتدين. ليس هناك» هم، «كلّنا» نحن. «كلّنا واحد، نتاج صنعتنا، نتاج كلّ أفكارنا، أفعالنا، مُعتقداتنا. حتى المُعتدون، هم ضحايا كرههم ذواتهم، وضحايا الأُم.

لم أعد أرى الموت كما يراه الآخرون، فأصبح من الصعب عليّ أن أنعي وفاة أيّ أحد. طبعاً لو تُوفي شخص قريب، كنتُ أحزن نتيجة شوقي إليه، إلا أنني لم أعد أنعي المُتوفي، لعلمي أنه انتقل إلى عالم آخر، وأنه سعيد هناك! فمن غير المُمكن أن تكون حزيناً هناك. في الوقت نفسه، علمتُ أيضاً أنّ وفاتهم كانت مثالية، وكلّ شيء سيُتكشّف على النحو المقصود له في نسيج الكون الأكبر.

بسبب وجهات نظري التي تغيّرت كلياً، أصبحتُ حذرةً من إبداء رأيي، حيث أنني لم أكن أريد أن يُساء فهمي. علمتُ أنه من الصعوبة بمكان على الآخرين أن يفهموا مبدأ مثل أنه لا يُوجد مُحاكمة بعد أن نموت، حتى بالنسبة إلى أسوأ الإرهابيين. أنا أجد التعاطف فقط معهم، والتفهم التام، والوضوح في سبب تصرفهم على هذا النحو. على مستوى دنيوي أكثر واقعية، علمتُ أيضاً أنه لن يكون هناك محكمة لي في الحياة الثانية لو اخترتُ ألا أتبع عقائد دينية أو مُعتقدات ثقافية لا تُناسبني.

هكذا، وجدتُ نفسي ببطء أبحث عن صحبة نفسي، إلا إذا كنتُ مع «داني» الذي شعرتُ بالأمان معه. علمتُ أنه لن يُحاكمني لأنه كان معي طوال رحلتي، وكان من القلة الذين فهموني، واستمع بصبر بينما تحدّثتُ عن مشاعري وأفكاري، وساعدني على إخراج وإدراك كلّ الأحاسيس الجديدة.

شعرتُ دائماً أنني في حاجة أن أتحدّث عن تجربتي، وأفهم ما حدث، وأكتشفه، فقام «داني» بتشجيعي أن أكتب كي أُخرج مشاعري. بدأتُ في الكتابة

وداومتُ عليها. كتبتُ في المنتديات والصفحات الشخصية، ووجدتُ ذلك شافياً
جداً لي وأنا أتقدم في حياتي.

الفصل الثالث عشر

العثور على مساري

لقد كان لي الآن وجهة نظر في الحياة، يُشاركني فيها القليل فقط» إن وُجد» من دائرتي الاجتماعية ذات الصلة. لم أعد أخشى شيئاً. لم أعد أخاف من المرض، الهرم، الموت، خسارة المال، أو أيّ شيء. عندما لا يحمل الموت أيّ رعب، لا يعود هناك شيء يُخيف، لأنّ الموت كان يُعتبر أسوأ احتمال يُخشى منه. إذا لم يُقلقك الأسوأ، ماذا يتبقى؟

كنتُ أجد صعوبة في الاندماج ثانية مع الحياة، لأنّ هذا العالم ما زال يبدو غير حقيقيّ بالنسبة إليّ. لقد بدا العالم الآخر حقيقياً أكثر، وكما وصفْتُ، وجدتُ نفسي أتشبث بفكرة الجدية التي كان الكلّ يأخذ بها كلّ شيء، على سبيل المثال، كم الناس يشعرون بالضغط بخصوص المال والاقتصاد، على الرغم من أنه كان عندهم أشياء جميلة أُخرى كي يتمتعوا بها ويكونوا شاكرين؟ لم أفهم كيف تجاهل الناس في سعيهم إلى المال كلّ شيء، بما في ذلك الحُبّ، العلاقات، الموهبة، الإبداع، الفردية، وغيرها، وكم أهدروا من الوقت في وظائف لا تجلب لهم المتعة. لقد بدت الطريقة التي رأى كلّ الناس بها الحياة خاطئة بالنسبة إليّ، وكانت الأولويات والقيم غير مُتوائمة بيني وبينهم، وبدا كلّ شيء وكأنه عاد إلى البداية. أدركتُ أنني لا شكّ كنتُ أفكّر بالطريقة نفسها أيضاً، إلا أنني لا أتخيّل أنني أستطيع العودة إلى ذلك أبداً.

وجدتُ نفسي أفكّر: أعلم أنني لن أعمل في وظيفة لا أستمتع بها من أجل المال فقط. لقد أصبحت شروطي من أجل العمل والقيام بالأشياء عموماً مُختلفة كثيراً الآن، وأصبحت حياتي والوقت الذي أمضيه هنا ثميناً أكثر

بالنسبة إليّ.

بعد مُشاهدتي على نحو لصيق وأنا أمرُّ بالسرطان ودنوي من الموت، وجد «داني» أنّ الأمور لم تُعدّ كعادتها بالنسبة إليه أيضاً. قبل مرضي كان يعمل في المبيعات والتسويق لدى شركة مُتعددة الجنسيات، وكان مسؤولاً عن التوزيع في «آسيا». لقد أصبح الذهاب إلى العمل الآن أمراً مُملاً ورتيباً بعد كلّ هذا الذي مررنا به معاً. لقد كبرنا وتغيّرنا وتعلّمنا الكثير الكثير!

لطالما حلم «داني» «أن يُدير عمله الخاص، وكان في تلك النقطة عندما قلتُ له أن يفعل ذلك، وشجّعته أن يعيش حلمه. قبل تجربة اقترابي من الموت، كنت سأخاف من تشجيعه، وأفكر فقط بكون هذا مُخاطرة كبيرة، ولو فشلنا، فكيف لنا أن ندعم أنفسنا؟

إلا أنّ وجهات نظري تغيّرت، وبدا تحقيق حلمه أكثر أهمية، كما من المهمّ ألا نعيش حياة ملؤها الندم. شجّعته أن يبدأ في العمل الذي طالما أراد، وهو تطوير وتقديم أدوات مُساعدة من أجل بناء المهن للطلاب والشركات.

عندما بدأت الأمور بالنجاح، أصبحت النقلة من التوظيف عند شخص، إلى أن يكون ربّ عمله أكثر سهولةً، وخصوصاً بعد أن تمّ تسريحه من العمل بسبب تغيّبه الطويل عندما كان يرعاني أثناء مرضي. في الماضي، كان هذا سيُعتبر أمراً مُزعجاً جداً، إلا أنني بعد تجربة الاقتراب من الموت، أصبح لديّ طريقة جديدة في رؤية الكون وهو يعمل بالنيابة عنا. لقد كانت فرصةً كي نقوم بشيء مُثير!

كي نقوم بهذه المُغامرة الجديدة، كان لا بُدّ لنا من تقليص نفقاتنا على نحو كبير. انتقلنا إلى منزل أصغر، واختصرنا الكثير من مصروفاتنا الشخصية. آل بنا الأمر إلى ضاحية مُتواضعة جداً في مكان بعيدٍ نسبياً عن أحياء «هونغ كونغ» الصاخبة بالحياة. كان منزلنا في قرية بعيدة أقرب إلى حدود «الصين»، حيث

عزلنا عن مجتمعنا، وقد أعطانا هذا فرصة كي نستجمع أنفسنا ونعيد تقييم حياتنا. كان تغييراً عنيفاً عما اعتدنا عليه، وقد شعرتُ كأننا بدأنا الحياة كَرَّةً ثانية مع بداية جديدة.

سابقاً كنتُ سأعتبر فقدان» داني «عمله أو الحاجة لأن نخفض نفقاتنا وننتقل إلى خارج المدينة، أمراً سلبياً وغير موائم. كان الأمر سيُسبب لي خوفاً كبيراً لأنه سيهدد أمني. إلا أن الكلمات عودي وعيشي حياتك بلا خوف! بقيت تتردد في رأسي، وأعطتني المعرفة بأن كل شيء سيكون على ما يُرام. من جميع الرسائل التي خرجتُ بها من تجربة الاقتراب من الموت: نحن كلنا واحد، نحن حبٌ في جوهرنا، نحن رائعون، وقد كانت تلك أقوى رسالة وبقيت تتردد داخلي، لأنها بدت وكأنها قادمة من أبي وأقرب صديقاتي» سوني، «وكَلِّما سمعتها في رأسي، كنتُ أسمعها بصوت أحدهما حسب الموقف. في هذه الحالة، رأيتُ الأحداث كجزء من مُغامرة أكبر تتكشف، الأمر الذي أعطاني شعوراً أنني أبدأ حياة جديدة بصفحة بيضاء.

أضف إلى ذلك، وبسبب تجربة الاقتراب من الموت، انتقلتُ من رؤية الواقع من الخارج إلى الداخل، إلى رؤيته من الداخل إلى الخارج. أعني أنني كنتُ أظنُّ أن العالم الخارجي حقيقيٌّ وأنه عليّ أن أعمل في حدوده. هذه هي تقريباً الطريقة التي يُفكر فيها مُعظم الناس. مع هذه النظرة، منحتُ قوتي إلى العالم في الخارج، وكانت الأحداث الخارجية قادرة على التحكم بي، بسلوكي، مزاجي، تفكيري. مع أن ردود الفعل العاطفية والمشاعر لم تكن أمراً حقيقياً لأنها لم تكن ملموسة، إلا أنها كانت مُجرد ردود فعل على الأحداث الخارجية. في هذا النموذج، كنتُ ضحية الظروف بدلاً من أن أكون صانعة حياتي. حتى أن المرض كان حدثاً خارجياً» حدث «لي على نحو عشوائي.

بعد تجربة الاقتراب من الموت، بدأتُ أنظر إلى نفسي على أي جزء مُقدّس

من كل أكبر .يشمل كل شيء في الكون، كل ما كان وما سيكون مُتصل .أدركتُ أنني في مركز هذا الكون، وعلمتُ أننا جميعاً نُعبّر من خلال منظورنا، حيث أنّ كل واحد منا في مركز هذه الشبكة الكونية الكبيرة.

مع مُضي الوقت، وبينما كُنّا مع «داني «بنني هذه المرحلة الجديدة من حياتنا معاً، فهمتُ هذه الحقائق على نحو أكبر .على الرغم من أنّ كل شيء موجود في هذه الشبكة من التقاطعات، وأنا جميعاً لدينا القدرة على الوصول إليها، ولكنّ عالمي في أيّ لحظة من الزمن ما هو إلا نسيج مصنوع من جميع أفكاري، أحاسيسي، تجاربي، علاقتي، مشاعري، وكلّ الأحداث حتّى هذه اللحظة. لا شيء موجود بالنسبة إليّ حتى يُحضر إلى نسيجي، وأستطيع تضخيمه أو تحجيمه من خلال توسيع تجاربي ووعيي أو تحديده .أشعر وكأنّ لي قدراً من الاختيار فيما سأسمح له بالدخول إلى مجال مُشاهدي.

عندما يأتي شيء إلى وعيي، يُصبح جزءاً من نسيجي .حسب مثال المخزن، لقد ألقى ضوء مصباحي عليه، وهذا يعني أنه أصبح جزءاً من نظام مُعتقداتي «حقيقتي.»

علمتُ أنّ هدف حياتي هو توسيع نسيجي والسماح لتجاربي أكبر وأكثر أن تدخل إلى حياتي، فوجدتُ نفسي أُحاول أن أمدد حدود «الممكن» إلى كلّ النواحي التي كنتُ أعتبرها سابقاً حدوداً .بدأتُ أشكك في الأشياء التي نعتقد كلنا أنها حقيقة، بينما هي في الحقيقة مُجرد مُعتقدات اجتماعية .نظرتُ إلى كلّ ما حكمت عليه في الماضي على أنه سلبيّ أو مُستحيل ووضعتُه موضوع التساؤل، بالأخصّ تلك المُعتقدات التي كانت تُثير مشاعر الخوف وعدم الانتماء داخلي.

سألتُ نفسي :لماذا أؤمن بهذا؟ هل هو مُجرد تكيف ثقافي واجتماعي؟ قد يكون فرض عليّ في وقت ما، ولكن هل لازال صحيحاً؟ هل يخدمني أن

أستمرّ في تصديق الكثير ممّا كبرتُ عليه، وعُلمت أن أفكّر به؟

في بعض المواقف كان الحواب» رُبّما، «إلا أنه في مُعظم الحالات كان الجواب
«لا» بالتأكيد.

لقد رُبيت على أن أُصدّق أن النساء يجب أن يكنّ خاضعات. لقد كان هناك
دائماً مستوى من الحكم تجاه أولئك الجازمات أو الحازمات أو القويات أو كان
لهنّ موقف أو مكانة عالية، لأنّ دور المرأة الرئيس هو أن تكون زوجة داعمة
وأُمّ. لم أكن أبداً في هذا المستوى.

أمضيتُ عمراً أحاكم نفسي، أقرّع نفسي كوني لا أحقق هذه التوقعات.
لطالما شعرتُ أنني غير مُلأمة، إلا أنه بعد تجربة الاقتراب من الموت، فهمتُ أنّ
هذه كانت معايير اجتماعية مُحددة موضوعة على نحو خاطئ.

كنتُ أوّمن أيضاً أنني لم أكن روحانية على نحو كافٍ، وأحتاج أن أعمل بجدّ
أكثر في هذا المجال. ثمّ اكتشفتُ أننا جميعاً روحانيون، بغضّ النظر عما نفعل
أو نُؤمن به. لا يُمكن أن نكون شيئاً آخر، لأنّ هذا ما نحن عليه: نحن كائنات
روحانية، بيد أننا فقط لا ندرك ذلك دائماً، هذا كلّ ما في الأمر.

فهمتُ أنّ السعادة الحقيقية والهناء لا يُمكن العثور عليهما إلا من خلال
محبتتي لذاتي، فأذهب إلى الداخل، وأتبع قلبي، وأفعل ما يجلب السعادة إليّ.
اكتشفتُ أنه عندما تبدو حياتي عديمة الاتجاهات وأشعر بالضياع» الأمر الذي
لازال يحدث لي، «فإنّ المعنى الحقيقي لهذا هو أنني فقدتُ الإحساس بذاتي،
ولم أعد مُتصلة مع حقيقتي وما أتيتُ إلى هنا كي أكونه. يحدث هذا عندما
أتوقّف عن الاستماع إلى صوتي الداخلي وأُعطي قواي إلى مصادر خارجية،
كالتلفاز، الدعايات، الصحف، شركات الأدوية الكبيرة، أقراني، مُعتقداتي الثقافية
والاجتماعية، وما شابه.

سابقاً عندما كنتُ أشعر بالضياع، كان أول ما أفعله هو أن أبحث خارجاً عن

إجابات. كنتُ أنظر في الكتب، وعند الأساتذة والمعلمين، على أمل أن يُزودوني بالحلّ الدائم المراوغ. هذا بالضبط أول ما فعلته عندما تمّ تشخيصي بالسرطان. إلا أنني كنت أخلص إلى الشعور بمزيد من البُعد لأنني كنتُ أهدر طاقتي ثانيةً وثانيةً.

لقد وجدتُ أنّ امتلاك نظرة» من الداخل إلى الخارج «تعني أن أكون قادرةً على الثقة المطلقة بدليلي الداخلي، وكأنّما أشعر به له أثره على الكون برمته. بكلمات أخرى، لأنني في مركز نسيجي الكوني، فإنّ» الكلّ «الواحد مُتأثر بيّ. وعليه كلّما اهتممتُ بكوني سعيدة، فسيكون الكون سعيداً. لو أحببتُ ذاتي، فسيُحبني الكلّ. لو كنتُ في سلام، فالملخوقات كلّها في سلام، وهكذا.

لو بدت الأمور صعبة، بدلاً من أن أُغيّرها فيزيائياً» كما كنتُ أفعل قبل تجربة الاقتراب من الموت، «أبدأ بتفقد عالمي الداخلي. لو كنتُ مُجهدة، أو قلقة، أو غير سعيدة، أو ما شابه، أذهب إلى الداخل وأواجه ذلك أولاً. أجلس مع نفسي، أسير في الطبيعة، أو أستمع إلى الموسيقى، إلى أن أصل إلى مكان مُتمركز أشعر فيه بالهدوء ورباطة الجأش. لاحظتُ أنه عندما أقوم بذلك، فإنّ عالمي الخارجي يتغيّر أيضاً، وتسقط الكثير من العوائق هكذا بمُفردها دون أن أفعل شيئاً.

الذي أقصده بكلمة» مُتمركز «هو الشعور أنني في مركز شبكتي الكونية، أن أكون واعيةً بموقعي. هذا هو المكان الوحيد الموجود فيه أيّ منا في الواقع، ومن المُهمّ أن نشعر بمركزنا في جوهره.

إلا أنه من وقت لآخر، كنتُ أنسى مكاني المركزي في الكون، وأعلق في كلّ المآسي، التناقضات، القلق، الألم، في العالم المادي، ولا أعود أرى نفسي واحدة من الكائنات المُتسعة الرائعة اللامتناهية التي هي حقيقة نحن.

لحُسن الحظ، أدرك في تلك الأوقات أننا لا نفقد اتصالنا فعلياً مع المركز،

وإنما نفقد رؤيتنا له ولا نعود نشعر بالسلام والهناء الذي يأتي منه. نعلق في وهم الانفصال ولا نعود نرى أنّ السعادة والحزن يسيران يداً بيد، كالضيء والظلام، الخير والشر. إنّ احساسنا بفقد الاتصال هو ببساطة جزء من وهم الثنائية والازدواجية، الذي يجعل من الصعوبة رؤية الوحدة تتشكل من التفرقة المحسوسة. إنّ التمرکز يعني الرؤيا من خلال ذلك، ثمّ العودة من جديد إلى الشعور بمكاننا الأزلي في مركز كل شيء، في مركز الواحد.

لازلتُ أمتلك المعرفة الغريزية أننا كلنا واحد مع الكون. هكذا، علمتُ أنني على الرغم من كوني في جسدي الفيزيائي، ولكن سواءً أدركتُ ذلك أم لا، أنا في مركز شبكة الكون الكبيرة! هذا هو نفسه إدراك روعتي واتصالي باللامتناهي.

مع تحوّل الأشهر إلى سنين، أخضعتُ كلّ هذا الإدراك إلى التجربة أكثر فأكثر. أحياناً عندما كان هناك الكثير من الأمور لفعالها وكان هناك جهد وتعب، كنت أتهمّ بإضاعة الوقت، لو أخذتُ فسحة من الوقت كي أتمركز. إلا أنني لو حاولتُ حلّ الأمور اعتماداً على المستوى الفيزيائي على نحو كامل، كنتُ أعلم أنّ الأمر سيكون بطيئاً جداً. إلى هذا اليوم يبدو الأمر وكأنه نزهة في طريق تملؤه الأحجار، إذ أنّ التعامل مع الأمور بهذه الطريقة فقط يُسبب لي الكثير من الإحباط ويزيد من مستوى إجهادي.

على أيّ حال، لقد اكتشفتُ أنه لو أخذتُ فسحة من الوقت واسترجعتُ تمركزي، بغضّ النظر عمّا يظنه من هم حولي، فالكثير من العقبات الكأداء سيختفي بمجرّد أن أعني اتصالي بالكلّ وأشعر بالهدوء والسعادة. أنا أستقبل الكثير من الوضوح في هذه الجلسات، وعندما أكون مُتمركزة فقط، تسقط الكثير من التحديات المتبقية من تلقاء نفسها. لقد وجدتُ أنّ هذه طريقة فعالة من أجل معالجة حياتي أكثر من معالجة الأمر من الخارج على نحو مُتفرّد. كانت هذه نتيجة مُباشرة لتجربة الاقتراب من الموت التي مررتُ بها،

تأتي من معرفة أنني جزء من نسيج كوني أكبر، وأني في مركز هذا النسيج، وأنه بإمكانني الاتصال مع الكون كله بمجرد أن أتجه إلى الداخل.

بعد سنين من مروري بتجربة الاقتراب من الموت، مررتُ بتغيرات في المتطلبات الخارجية أيضاً. اكتشفتُ أنني في حاجة لأن أكون قرب الطبيعة، بالأخصّ جانب البحر كي أشعر بالأفضل. على نحو مُشابه للعجائب التي شعرتُ بها في أيامي الأولى خارج المشفى، وجدتُ أنه بإمكانني الاتصال فوراً مع حالة الاقتراب من الموت من خلال النظر إلى الأمواج والاستماع إلى المحيط.

رأيتُ بابتهاج أصدقائي الذين تقربتُ منهم وأفراد عائلتي المباشرين كيف قاموا بنقلات تخصّهم. قد يبدو هذا غريباً، إلا أنه منذ تجربة الاقتراب من الموت، أخبرني الكثير من الناس أنهم يشعرون بتغيّر في الطاقة عندما يكونون قربي. يندر أن أتحدّث عن هذا أمام العموم، لأنني أؤمن أنّ مثل هذه الأشياء تأتي من داخل النفس. قد أكون أعكس فقط لهم ما كانوا مُستعدين من أجل تجربته.

بسبب تجربتي، أؤمن على نحو مُطلق أننا جميعاً لدينا القدرة على أن نشفي أنفسنا، وكذلك المساعدة على شفاء الآخرين. عندما نتصل مع المكان اللامتناهي فينا حيث نكون الكلّ الواحد، فلا يُمكن للمرض أن يبقى في الجسم. لأننا جميعاً مُتصلون، فلا سبب يمنع حالة العافية عند أحدها من أن تلمس الآخرين وترفعهم، وتُحفّز الشفاء فيهم. عندما نشفي الآخرين، نشفي في الوقت نفسه أنفسنا والكوكب، ولا فاصل بين هذا وذاك إلا في رؤوسنا عقولنا.

لقد كان في حياتي الكثير من الصعود والهبوط، وكان هناك أوقات شعرتُ فيها أنه عليّ أن أعمل الكثير كي أكون في المركز، مثل مُعالجة الأمور الدنيوية الرتيبة البيئية كالأعمال المنزلية ودفن الفواتير، ولكنني منذ تجربة الاقتراب من الموت، أجد صعوبة في التركيز على تلك التفاصيل في الأسفل. إلا أنني لستُ أبداً

بعيدة عن العثور على مكاني في الكون ثانيةً، والإحساس بهذه الكلمات في روعي: أخرجني وعيشي حياتك دون خوف!

لقد اكتشفتُ أيضاً أنه على الرغم من أنني وجدتُ أصدقاءً جدد، وخصوصاً أحد الأصدقاء الذي ساعدني فعلاً في فهم ومُعالجة تجربتي، إلا أنني أجد صعوبة في الاتصال مع أصدقائي القدامى. لم أعد اجتماعيةً كما كنتُ في الماضي، ولم أعد أستمتع بالأشياء نفسها. كان عندي الكثير من الأصدقاء، إلا أنني الآن أسمح للقليل من الناس أن يدخلوا إلى حياتي الخاصة، ومنهم الكثيرون ممن قابلتهم في مجموعة «المارين بتجربة الاقتراب من الموت» في السنوات القليلة الماضية. لقد أصبح حفنة منّا قريباً جداً من بعضه، بينما كان عند البعض الآخر تجاربهم المماثلة الخاصة.

لازلتُ مُكرّسة نفسي لأفراد عائلتي المباشرين: زوجي، أمي، أخي. لقد كانوا معي خلال محنتي وساعات احتياجي، وأشعر بالارتباط الشديد معهم. لقد أصبح من الصعب عليّ الإحساس بمثل هذا القرب مع الآخرين. أنا لا أحاول أن أكون وحيدة. لازلتُ أحاول أن أمدّ يديّ، وأُسعد فعلياً بمُساعدة الناس على الحصول على فهم أكبر، الأمر الذي أقوم به من خلال كتاباتي وعملي الحالي كمُدربة اجتماعية، وكما ستري في الفصل التالي، فإنّ السماح لنفسي بأن أكون ذاتي كان له أثر كبير في هذه المُغامرة الكبيرة.

مكتبة الكندل العربية

مكتبة الرمحي أحمد

Telegram @read4lead

الفصل الرابع عشر

الشفاء هو البداية فقط

إنّ الكتاب الذي تُمسك به هو دليل لما حدث عندما وضعتُ فعل السماح في العمل. أريد أن أشاركك بسلسلة التزامنات والموافقات التي توجب أن تحدث كي يظهر هذا الكتاب إلى الوجود.

فوراً بعد تجربة الاقتراب من الموت وشفائي، كنتُ في غاية الخفة والنشاط، وأردتُ أن أصرخ على الملأ من أسطح الأبنية بما أعرف! أردتُ أن يعرف الجميع بالذي حصل معي وأن يشعروا بما كنتُ أشعر به. إلا أنني في الوقت نفسه، شعرتُ بالخوف من مُشاركة الأمر على الملأ، ومن أخذ أيّ تصرف في اتجاه الإعلان عن قصتي أو الحصول على الاهتمام. ببساطة لم أشعر أنني جاهزة من أجل التعامل مع الاهتمام والتدقيق الذي شعرتُ أنّ القصة ستجذبه.

بما أنّ «الين» يبدو دائماً مدموجاً مع «اليانغ» في دورة الحياة، وجدتُ أنه على الرغم من اهتمامي بكيفية استقبال تجربتي، إلا أنّ شيئاً ما قال لي إنني في حاجة إلى مُشاركة الأمر مع جمهور أكبر. كانت عندي الرغبة في التحدّث عن الأمر والرغبة في الانسحاب في الوقت نفسه. علمتُ أنه في الوقت المناسب، عندما أشعر من الداخل أنني جاهزة، فإنّ الطريق إلى الاهتمام الأكبر والتعرّض إلى الناس ستتكشف بالسهولة التي شعرتُ بها خلال تجربة الاقتراب من الموت التي مررتُ بها.

في أثناء هذا الوقت، تبعثُ ببساطة الفهم الذي حصلتُ عليه من تجربتي كما وصفتُ في الفصل السابق. بقيتُ صادقة مع نفسي، وداومتُ على العيش بالطريقة التي تجعلني أكثر سعادة، وكنْتُ أتبع نعمتي كما هي. كنتُ مُتأكدة

أنّ الجاهزين أو المُحتاجين لأن يستمعوا إلى ما كنتُ سأقوله سيعثرون عليّ. بقيتُ مُنفتحة طوال الوقت على كلّ الاحتمالات بخصوص المدى الذي ستصله رسالتي. في الأساس، كنتُ دائماً في حالة من السماح فيما يخصُّ هذا الموضوع، إلاّ أنّه لاشيء على الإطلاق جعلني مُستعدة لما هو قادم.

في آذار، 2011 كنتُ في الإمارات العربية المتحدة، أزور صديقة طفولتي المُقرّبة «سونيتا» التي افتتحت للتوّ مركز تدريب شمولي هناك. لقد دعنتي كي آتي وأشارك قصتي مع الجمهور في «دبي»، و«كنتُ في حالة نفسية مُمتازة، حيث جرت الأمور على أفضل حال. لم أكن واثقة كيف سيتمّ تقبلي إلاّ أني تفاجأتُ أنّ الزيارة في الواقع، تسببت في نقلة داخلية فتحت أمامي الشعور أنني جاهزة أخيراً كي أشارك قصتي مع العالم الأكبر.

لأول مرة منذ تجربة الاقتراب من الموت، شعرتُ بتحوّل في الغرفة التي كنتُ أتحدث فيها، ومع أنّ النقلة كانت في الحقيقة عندي، إلاّ أنها أثرت في كلّ الحضور. كنتُ في رهبة من الشفاء وهو يحدث أمامي. كان الناس يحصلون على ما يحتاجون إليه من تجربتي، وقد شعر الجميع بحدوث شيء ما على نحو قويّ جداً.

أدركتُ مرة ثانية أنّ الآخرين في حاجة إلى معرفة ما مررتُ به! علمتُ أنني بدأتُ أفقد لمستي وأني لم أكن أسمح لذاتي الحقيقية أن تتدفّق. مرة ثانية، كنتُ أخبئ نفسي الحقيقية بسبب الخوف والرعب. هكذا شعرتُ هناك في «دبي» أنّي على تلامس مع نفسي المُتسعة الرائعة مرة ثانية. كنتُ جاهزة لما ستُقدمه الحياة إليّ. في تلك الغرفة، ألقىتُ كلّ مخاوفي من مُشاركة تجربتي مع العالم، على الرغم من أنه لم يكن لديّ أدنى فكرة عن الكيفية التي سيتمّ استقبالي بها. كنتُ مُستعدة من أجل قبول المجهول ووثاقة في المُبهم.

حتى تلك النقطة كنتُ أظنّ أنّ تجربة الاقتراب من الموت خاصة بي وحدي،

وعلى الرغم من أنني أحضرتُ معي رسالة كي أشاركها مع الآخرين، إلا أنّ العلاج بدأ مُفيداً لي وحدي. كان هذا جزءاً من رعيي من مُشاركتي قصتي، فلم أكن أعلم تماماً كيف سيستفيد الآخرون من تجربتي. على أيّ حال، في تلك الغرفة ذلك اليوم تغيّر شيء ما. بينما كنتُ أرى ردود فعل الآخرين والتحوّل الذي كان يحدث، أدركتُ فجأة أنّ حصولي على السرطان وشفائي كان في الحقيقة من أجل الكوكب. إذا كُنّا جميعاً الواحد، فما يحدث لي يحدث للكُلِّ، وما يحدث للكوكب يحدث لي أيضاً. فهمتُ أنّ السبب الذي مرضتُ من أجله، ثمّ اختياري كي أعود كان من أجل أن أخدم كأداة شفاء تعمل في الآخرين، وليس فقط شفاء فيزيائياً، ولكنّ الأهمّ هو الشفاء العاطفي، حيث أنّ عواطفنا هي ما يقود حقيقتنا المادية.

في السابق، كنتُ أظنّ أنّ شفائي من السرطان كان ذروة رحلتي، لقد بدا وكأنه ذروة كلّ ما حدث في حياتي ونهاية قصتي. ثمّ فهمتُ في «دبي» أنّ شفائي كان مُجرّد البداية. كان بداية فصل جديد من تكشّف أكبر، وكلّ ما كان عليّ فعله هو اتخاذ خطوة تجاه المجهول.

مرة ثانية، علمتُ أنه لا يتوجّب عليّ القيام بأيّ شيء، سيتكشف الأمر لو سمحت له أن يحدث. في تلك اللحظة، فكرتُ: هيا بنا! مهما كان الأمر، فأنا مُنفتحة له! الآن فهمت!

كان قد مضى أسبوع منذ وصولي إلى «دبي»، عندما استيقظتُ في السادس عشر من آذار وفتحتُ بريدي الإلكتروني، مُتوقعة أمنيات عيد ميلاد من أصدقائي وأفراد عائلتي. لدهشتي، كان هناك رسالة من مُساعد التحرير في دار نشر «هاي هاوس» تقول: «لقد أصبح» واين داير «من أشدّ المعجبين بكِ بعد أن قرأ عن تجربتك في الاقتراب من الموت. لو كنتِ مهتمة بكتابة كتاب عن تجربتك، فإنّ دار» هاي هاوس «مُهتمة جداً في العمل معكِ على تطوير الكتاب ونشره.»

بينما كنتُ أقرأ هذه الكلمات، لم أستطع كفكفة الدموع المتدفقة على وجنتي. يا لها من مفاجأة عيد ميلاد رائعة! يا له من تأكيد لأحاسيسي التي شعرتُ بها في اليوم السابق!

لقد كنتُ بدأتُ بكتابة كتاب، بل فكرتُ بكيفية نشره، إلا أن هول المهمة كان مُثبطاً وأكبر من قدرتي كي أنجزه. فقط قبل يوم، لم أكن مُستعدة من أجل بسط امتدادي إلى العالم الأكبر.

خلال الأشهر الماضية، سألني الكثير من الناس إذا ما كنتُ أؤلف كتاباً عن تجربتي في الاقتراب من الموت. عندما كنتُ أقول نعم، كانوا يسألونني هل عثرتُ على ناشر، وكنتُ أجيب لا.

معظمهم كان يقول: «على الرغم من أن قصتك مُذهلة، ولكن من الصعوبة حقيقة الحصول على ناشر يقرأ على الأقل مخطوطة هذه الأيام. هناك الكثير من هذه الأمور الروحانية هذه الأيام، وعلى الأغلب لن يُلقوا لقصتك بالاً. كوني مُستعدة لأن يخذلوك مرة بعد مرة.»

لقد سمعتُ أيضاً: «يجب أن يكون لديك وكيل أدبي كي تصل المسودة فقط إلى مكتب الناشر، فهم لا ينظرون حتى إلى شيء لا يأتي من خلال وكيل أدبي، و«من الافضل أن تنشري بنفسك. هذا أسهل بكثير.»!

أجبتُ كلاً من هؤلاء الأفراد: «في الحقيقة أنا لا أنوي أن أطرق أبواب الناشرين، ولن أترجى الناس كي يأخذوا كتابي. ستنتشر قصتي بالمعدل المُقدر لها أن تنتشر به، ولو كان من المُفترض أن تصل إلى الناس، فسيتضافر كل شيء في الكون كي يحدث ذلك.»

في تلك اللحظة، ذكرتُ أمام كثير من الأصدقاء أيضاً أنه من كل الخيارات الموجودة، حلمتُ أن يأتي يوم تنشر لي فيه دار «هاي»، «لأنني اعتقدتُ أنهم كانوا الأفضل في هذا النوع من الكتب، ولقد أحببتُ كل مؤلفيهم. تفقدتُ

موقعهم على الإنترنت، وعلمتُ أنهم لا يقبلون إلا المسودات التي تصلهم من خلال وكيل أدبي. لم أكن أعلم حتى كيف أبدأ في البحث عن وكيل، فتركْتُ الأمر وتابعتُ حياتي.

كما شرحتُ سابقاً، منذ تجربة الاقتراب من الموت التي مررتُ بها، شعرتُ أنّ شيئاً كبيراً سيأتي. شعرتُ أنني مُقادة ومُوجهة، حتى في تلك اللحظات التي لم تبدُ حياتي تتجه فيها إلى أيّ اتجاه مُحدد. كنتُ لازلتُ أثقُ بما شعرتُ به خلال تجربتي، وقد علمتُ أنّ كلّ شيء على ما يُرام وكما ينبغي أن يكون. لقد أكّد لي استقبال البريد من دار» هاي هاوس «للنشر أنّ ما كنتُ أشعر به كان صحيحاً تماماً.

بالطبع، أجبتُ مُباشرةً بالقول: «نعم، نعم، نعم»، «حتى أنني أخبرتُ مُساعد التحرير أنّ اليوم هو عيد ميلادي، وما أجملها من هدية!

بعد أيام، عندما عدتُ إلى منزلي في» هونغ كونغ «وصلتني رسالة من صديقتي القديمة» فيرونيكا لي «تُخبرني فيها إنها كانت تستمع إلى برنامج» واين داير «الإذاعي وهو يتحدثُ عني وعن تجرب الاقتراب من الموت التي مررتُ بها. قالت إنه تحدّث عني عدة أسابيع مُتتالية، فدخلتُ إلى موقع راديو» هاي هاوس «إلى الأرشيف، وبدأتُ أستمع. انظرُ إلى هذا، لقد كان» واين «يتحدّث عن تجربتي أسبوعاً وراء أسبوع! بالطبع كنتُ أشعر بسعادة غامرة وأنا أستمع إليه وهو يتحدثُ عني أمام مثل هذا الجمهور الكبير. بعد فترة ليست بالطويلة، أردتُ أن أفاجئ» واين «وأتصل ببرنامجها بينما كان في بثه المُباشر، وهو يستقبل المتصلين ويُجيب على أسئلتهم. بسبب فارق التوقيت، كان برنامجها يُذاع في الرابعة صباحاً بتوقيت» هونغ كونغ «. من أجل ذلك، وضعتُ مُنبهي على الساعة الثالثة والنصف، نهضتُ وضبطتُ الموجهة، وبدأتُ الاتصال. في الاتصالين الأوليين كان الخطُّ مشغولاً، ولكن لحسن حظي، أخيراً دخلتُ على

الخط، ولم تكن الساعة قد تجاوزت الرابعة بعد.

سألني الشخص الذي أجاب على الهاتف عن اسمي، ومن أين أتصل. ثم بقيت في الانتظار. عندما بدأ البرنامج حقيقة بعد المقدمات وما إلى ذلك، قالت «منتجة» واين «التي تُدعى» ديان راي: «ياإلهي انظروا، هنالك مُتصل من «هونغ كونغ»، «لماذا لا نتحدّث معه؟»، «كاد قلبي يتوقّف قليلاً عندما سمعتها تقول ذلك. لقد علمتُ فيما بعد أنه من الصعب جداً الدخول إلى برنامج «واين» الإذاعي.

حتى قبل أن اكون على الخط، قال «واين»: «ياإلهي، أعتقد أنني أعرف مَنْ يُمكن أن يكون! هل هو مَنْ أظنّ؟.»
«أجبتُ»: «مرحباً، أنا» أنيتا.

هتف بشدة: «ياإلهي، إنها» أنيتا «التي مرّت بتجربة الاقتراب من الموت! أنا أشعر بسعادة غامرة من وجودك معنا في البرنامج»! ديان «هل بإمكانك إيقاف بقية الاتصالات؟ سأمضي بقية وقت البرنامج مع هذه الإنسانية»، «ثمّ طلب مني مشاركة قصتي على الهواء.

بعد انتهاء العرض، طلب مني «واين» «أن أبقى على الخط.

تحدّثنا عن المزيد، وقد أخبرني أنّ له الشرف في كتابة مُقدمة كتابي إذا سمحتُ له بذلك.

فكّرتُ: «دعيه، أتمزحين؟ سأكون سعيدة جداً.»!

تابع «واين» «إخباري إنه قد طبع قصتي عن تجربة الاقتراب من الموت كاملة، وهي حوالي احدى وعشرين صفحة، وقد نسخ منها أربعين نسخة وقد وزّعها على كلّ شخص عرفه. لقد شارك فيها مع والدته، وقد أخذت الكثير من الراحة منها. لقد أخبرني كذلك أنه اقتبس مني عدة مرات خلال كتابه الأخير

كلّ ما استطعتُ أن أفكّر به كان: هل هذا يحدث حقاً؟» واين داير»
يقتبس مني طوال كتابه الأخير؟

ثمّ تبادلنا معلومات الاتصال، وأخبرني» واين «إنه بإمكانني مُحادثته في أيّ وقت.

غمرتني السعادة! أمضيتُ الأيام التالية أطيّر في الهواء غير قادرة على الأكل والنوم، مع شعور مُستمر بالفراشات في صدري. شعرتُ أنني على حافة شيء كبير حقيقة، وعرفتُ أنّ هذه ستكون تجربة تتحدى ترددي القوي جداً، وألا أفعل شيئاً غير أن أكون ذاتي وأستمتع بالرحلة، وأسمح للأمور بأن تحدث.

على مدار الأسابيع التالية، أُتيحت لي الكثير من الفرص كي أتحدّث مع «واين» عبر الهاتف، بينما ناقشنا الكتاب واتجاهه، وقرأ لي المُقدمة الرائعة التي كتبها، والتي أوصلتني إلى الدموع من جديد. أنا رقيقةٌ نوعاً ما تجاه هذه الأمور، خاصة عندما أرى تجربتي في الاقتراب من الموت وقد تكشفت أمامي. خلال أحد حواراتنا، أخبرني» واين «إنه عندما قرأ عن تجربتي لأول مرة، لم يطلب من دار» هاي «أن يعثروا عليّ. لقد أخبرهم أنهم يجب أن يعثروا عليّ، وأنني لو كنتُ أكتب كتاباً، يجب أن ينشروه!

بقدر ما يُمكنك أن تتخيل كنتُ مذهولة بهذه الحقيقة، وسألتُ كيف علم بتجربتي. أخبرني إنه سمع بي من خلال امرأة اسمها» ميرا كيلبي «تعيش في «نيويورك»، ثمّ عرفنا على بعض من خلال البريد الإلكتروني. بدأنا نتبادل الرسائل مع» ميرا «ونتحدّث عبر الهاتف، وأخبرتني عن كلّ تلك الأحداث العجيبة الصغيرة التي توجّب أن تحدث في الوقت المُحدد كي يعلم» واين «عن تجربتي في الاقتراب من الموت. إنه لا يتصفح الإنترنت، ولا يُحبذ تَمْضية الوقت المهم طويلاً على الحاسب في قراءة المقالات الطويلة، ولذلك لن يمرّ على قصتي هكذا

عن طريق الصدفة.

سأدع» ميرا «تُحدّثكم عن سلسلة الأحداث بكلماتها هي:

في الحادي عشر من كانون الثاني، 2011 تحدّثتُ مع صديق أخبرني أنّ «واين داير» يقود مجموعة من الناس في «أوروبا» في رحلة تُدعى «تجربة المعجزات». «تعلّق حدسي بكلمة مُعجزات. كنتُ أعلم أنّ» واين «مُصاب بسرطان الدم» اللوكيميا، «وقد جعلني الاستماع إلى هذه الكلمة أفهم على نحو أو آخر أنه جاهز من أجل مُعجزة.

أقنعتُ نفسي في البداية بالعدول عن الاتصال بـ» واين «، «إلا أنّ الشعور أنني في حاجة إلى التحدّث معه بقي يُلحّ عليّ حتى أصبح اجبارياً. طمأننتُ نفسي إنه لو كان مُقدراً لي أن أكون أداة في يد الإله، فيجب أن أترك مجالاً للمُعجزات أن تتكشف أياً كانت. بعد عدة أيام، أرسلتُ رسالة إلى» واين.»

عندما اتصل بي بعد شهر، كنتُ قد نسيّتُ الموضوع. تحدّثنا باختصار وكنّتُ على وشك إنهاء المكالمة عندما قاطعتُ وداع» واين «لي، ولدهشتي، قلتُ إنّ هناك شيئاً أُريد أن أرسله إليه، شيئاً يحتاج أن يقرأه. بعد لحظة صمت أعطاني رقم الفاكس الخاصّ به.

هذا» الشيء «كان تجربة» أنيتا «في الاقتراب من الموت، والتي وصلت إلى بريدي الإلكتروني قبل يوم من خلال قائمة من الأشخاص الذين يتبادلون الرسائل عن الموضوعات الروحانية. أشار الشخص الذي أرسل الرسالة إلى جانب القصة الذي تتحدّث فيه عن تواجد الزمن كلّهُ معاً في الوقت نفسه، الأمر الذي لفت انتباهي بسبب عملي القديم، وقد جعلني قراءة حساب» أنيتا «أشعر بهذا الإحساس الساحر بالتواجد ضمن الاهتزاز الحقيقي لروحي. في اللحظة التي أغلقتُ الهاتف مع» واين «تسلل هذا السؤال ثانيةً: لماذا؟ لماذا شعرتُ أنني أُريد مُشاركة» واين «بقصة» أنيتا «؟

كان التفسير الوحيد الذي خطر في بالي وقتها، أنها وصفت على نحو مثالي ما كنتُ أوْمن به وما كنتُ أستطيع تقديمه. من خلال إرسالي قصة «أنيتا» إليه كنتُ أقول: «أعلم أنه يُمكن أن تُشفى على الفور. هذا الاحتمال موجود، ولو اخترت أن تعرف نفسك على أنك في صحة مثالية، بإمكانني مُساعدتك في تحقيق هذا الواقع.» كنتُ سأتكلف الكثير في شرح ما قامت «أنيتا» بشرحه ببساطة وبلاغة.

أرى الآن سبباً ثانياً. أفهم أنني جزء من العملية التي تُريد إحضار كلمات «أنيتا» الملهممة إلى العالم برمته. كان التوقيت مُتزامناً على نحو مُذهل. لو وصل ذلك البريد أسرع ممّا وصل، فلم يكن ليكون في طبيعة أفكارني، وما كنتُ لأشارك «واين» به. لو تأخر، فلم يكن ليحصل على كل هذا الاهتمام.

تُتابع «ميرا»: «إنّ التزامن بين هذه الأحداث التي أتت معاً على نحو ساحر، يُدكرنا أنّ كل شيء يحدث في وقت واحد، في تلك اللحظة اللازمية، كما وجدت «أنيتا» في تجربة اقترابها من الموت.

توافقنا مع «واين» «أن نسترجع الأمر، فسافرتُ بالطائرة إلى «ماوي» كي أقابله. في الخامس عشر من نيسان، عندما ذهبتُ إلى منزل «واين»، كان يتحدث على الهاتف، وبعد أن أنهى المكالمة أخبرني أنه كان يتكلم مع دار «هاي» وأنهم سينشرون كتاب «أنيتا». «لقد أخبرني حماسه أنه جاهز من أجل حدث عجائبي خاص به. لقد كان الاجتماع معه في مُنتهى القوة، وقد شاركته إيمانه أنه قد شُفي من «اللويميا».

عدتُ إلى الرسالة التي أحضرت قصة «أنيتا» إليّ، فوجدتُ أنها أتت من شخص لا أعرفه اسمه «أوزغينزولتشفيل»، وهو مُهندس يعيش في «كوستانتانا» في «رومانيا». «عندما أخبرته عن دوره في هذا التزامن الرهيب الملهم، أخبرني إنه مسرور وسعيد أنني أخذتُ وقتي ريثما أخبرته، على الرغم من أنه لا يذكر كيف

عثر على حساب تجربة الاقتراب من الموت لـ» أنيتا .«قال إن هذا يخدم تأكيد على أننا نُؤثر في بعضنا البعض بما نفعله ونقوله، حتى لو لم نعلم بذلك، وعليه، أنهى حديثه» :من المهم أن يكون لنا موقفاً إيجابياً جيداً حقاً في كل لحظة من حياتنا، حتى لو لم نرَ أيّ سبب لفعل ذلك في البداية .«لم أستطع إلا أن أبتسم.

منذ بضعة أيام فقط، تلقيتُ بريداً الكترونياً يقترح مُشاهدة مُقابلة مُلهمة مع امرأة تدعى» أنيتا مورجاني ،«تعافت من السرطان بأعجوبة بعد تجربة الاقتراب من الموت .انفجرت موجة من الاثارة من خلالي، عندما تذكرتُ كيف اتفقتُ مع» واين «أنّ نسمح كلانا لكلمات» أنيتا «القوية عن الحبّ أن تُؤثر وتنهض بالملايين من الناس .عند تلقي ذلك البريد تأكدتُ أنّ الدورة قد اكتملت . في الوقت ذاته، ساعدت كلمات» أنيتا «في خلق الشفاء عند» واين .«

من خلال سماحي للروح أن تتحرّك من خلالي، أصبحتُ أداة في أيدي الإله بطرق لم أكن أتخيّلها أبداً.

إنّ قصة» ميرا «تُعزز في المقام الأول أننا جميعاً» كلّ فرد «فريدون من نوعنا، وأوجه لا غنى عنها في الكون المطلق .كلّ منا جزء لا يتجزأ في النسيج الأعظم المُتكشف الذي يعمل باستمرار من أجل شفاء الكوكب .واجبنا الوحيد هو أن نكون صادقين مع أنفسنا دائماً وأن نسمح للأمور بأن تحدث .

عندما أنظر إلى الوراثة إلى مسار حياتي، أرى بوضوح الشمس على نحو إيجابي كلّ خطوة عبر مساري خلال كلا التجربتين» قبل وبعد تجربتي في الاقتراب من الموت ،«وأرى أنّ ما نظرتُ إليه سلبياً، كان من أجل مصلحتي على الإطلاق، وقد أرشدني إلى حيث أنا الآن .من الواضح جداً أيضاً أنّ الكون يُعطيني فقط ما أنا مُستعدة له، وعندما أكون مُستعدة فقط .لقد خفف شعور الخوف من العملية، وعندما أزيح ذلك القلق، تلقيتُ التأكيد من الكون في الحال من خلال

بريد» هاي هاوس .«هل أسمح لما أريد وبأبي كمية أن يأتي إلى حياتي، أم لا!
إنّ الكتاب الذي تقرأه الآن، من وجهة نظري، هو الإثبات الأحدث لهذا. لولا
البيئة التي نشأتُ بها، والطريقة التي رأيتُ بها نفسي وتفاعلتُ من خلالها مع
تجربة كلّ الأحداث في حياتي، كان من الممكن جداً ألا أصاب بالسرطان، ودون
السرطان، لم يكن هناك تجربة الاقتراب من الموت، وهذا يعني أنه لا رؤية
مُميزة أتشاركها مع العالم. لو أُلغيت أيّ من هذه الخطوات، لكانت النتائج
مُختلفة تماماً. بينما أوّمن بقوة أنه لم يكن ضرورياً أن أصل إلى الحالة المُتطرفة
واقترب من الموت كي أشفى ويكون لديّ هدف في الحياة، إلا أنني أستطيع أن
أرى أنّ طريقي الشخصي قد قادني إلى هذه النقطة. كلّ شيء يحدث، عندما
نكون جاهزين من أجل حدوثه.

لقد تعلّمتُ الآن حقيقة أنني عندما أصبح مُتمركزة، وأدرك مكاني في قلب
الكون وأشعر بعظمتي وصلتي مع كلّ ذلك، يُصبح الوقت والمكان غير ذوي
أهمية. إذا سبق وكنّت في سبات عميق وتورّطت في حلم مُعقد بلغ ذروته
عندما رنّ جرس الهاتف أو المنزل، واستيقظت فجأة كي تجد جرس الهاتف أو
المنزل يرنّ حقيقة، فلا بُدّ أنك شعرت بحالة اللازم. حتى لو كان الحلم بدأ
قبل فترة طويلة نسبية قبل استيقاظك، إلا أنّ كلّ الحالة في حلمك تبدو وكأنّها
تدور حول لحظتك الأخيرة.

هذا ما تبدو عليه الحياة عندما تُدرك حقيقة أنك واحد مع كلّ شيء. يفقد
الوقت والزمن كلّ الأهمية. على سبيل المثال، تلقيتُ البريد الإلكتروني من «هاي
هاوس» في اللحظة المُناسبة لي، وبالتزامن مع هذا كانت هناك أحداث كاملة
تتكشّف على جانب» واين داير، «والتي بلغت ذروتها عند تلقي الرسالة!

أريد أن أقول أيضاً، إنه بعد تجربتي في الاقتراب من الموت، أصبحت الأمور
أسهل بكثير. لم أعد أخاف الموت، السرطان، الحوادث، أو أيّ من عشرات الأمور

التي كانت تُقلقني، ما عدا التوسّع في العالم الأعظم! لقد تعلّمتُ أن أثق بحكمة ذاتي المطلقة. أعرف أنني قوية، رائعة، محبوبة دون شروط، أحبُّ بقوة، كما هو أيّ شخصٍ آخر.

تتدفق هذه الطاقة خلالي، حولي، على نحو غامض لا يُمكن تمييزه مني. إنها في الحقيقة، مَنْ وما أنا، والوثوق بها هو ببساطة الوثوق بذاتي. إنّ السماح لهذه الطاقة بقيادتي، وأن تحميني، وتُعطيني كلّ ما أحتاج إليه من أجل سعادتي المطلقة وأن أكون في أحسن حال، يتمّ ببساطة من خلال كوني أنا. أحتاج فقط أن أكون الحُبّ العظيم الذي أنا عليه، وأسمح للأحداث والظروف في حياتي كي تعمل بالطريقة التي أعرف أنها تخدم مصلحتي على المدى البعيد.

لقد حررتُ نفسي من إطلاق الأحكام المُسبقة وامتلاّت بالثقة أنّ كلّ شيء جيد. إنّ كوني نفسي يسمح لكامل روعتي الفريدة أن تجذبني في الاتجاهات الأكثر فائدة بالنسبة إليّ وإلى الآخرين. هذا حقيقة هو الشيء الوحيد الذي عليّ فعله. ضمن ذلك الإطار، يأتي كلّ شيء إلى حياتي حقيقة دون عناء، بالطرق الأكثر سحراً، والأبعد عن التوقع، كي تُظهر كلّ يوم القوة والحُبّ الذي أنا عليه حقاً.

الجزء الثالث
ماذا بدأت أفهم

الفصل الخامس عشر

لماذا مرضتُ وتعافيتُ

خلال تجربة الاقتراب من الموت، شعرتُ بكثير من الصفاء إلى درجة أن أكثر سؤال سألوني إياه عندما كنتُ أتشارك قصتي: إذًا، ما سبب اصابتك بالسرطان؟ من المفهوم أن الكثير من الناس مهتمون بالجواب!

قبل أن أناقش هذا، أريد أن أُنذر من الأخطار الكامنة في هذا الموضوع. أحد هذه المخاطر هو أن ما أقوله يُمكن أن يُسمع وكأنَّ هؤلاء الذين لا يُشفون من السرطان، ومن الأمراض الأخرى «أقلَّ» بطريقة ما من أولئك الذي تشافوا، وهذا ليس صحيحاً.

قد يكون الأمر مُحبطاً لو بدا ما أقوله بسيطاً، خصوصاً لو كنتَ أنت أو مَنْ تعرف تُعاني من المرض. هذه إحدى أول مشاكل اللغة، أحياناً تُؤذي الكلمات أكثر ممَّا تفيد. أودُّ أن أوكد على فكرة أن أيَّ شخص مازال لديه سرطان أو لم يُشَفَّ هو شخص رائع بكلِّ معنى الكلمة، وسبب مرضهم يكمن في رحلتهم الشخصية وعلى الأغلب مُرتبط مع هدفهم الشخصي. أرى الآن أن مرضي كان جزءاً من سبب وجودي هنا، ولو اخترتُ أن أعيش أو أموت، فلن أكون أقلَّ روعة.

أعلم أن البعض سيُعارض ما أقوله عن الشفاء، ولا مُشكلة في ذلك أبداً. أنا فقط أُعبرُ عما شعرتُ أنه حدث داخلي في ذلك الوقت، على أمل ان تُساعد كلماتي إنساناً آخر.

كما قلتُ، أكثر الأسئلة التي يسألني الناس إياها هي لماذا أعتقد أنني أُصبتُ بالسرطان. أستطيع تلخيص الجواب بكلمة واحدة: الخوف. من ماذا كنتُ

خائفة؟ تقريباً من كل شيء، بما في ذلك الفشل، ألا أكون محبوبة، أن أخذل الناس، ألا أكون في المستوى المطلوب. كنتُ أخشى المرض، والسرطان بالتحديد، والعلاج من السرطان. كنتُ أخشى الحياة، وكنتُ مذعورة من الموت. إنَّ الخوف أمر في غاية الدقة، ويُمكن أن يتسلل بالتدريج دون أن نشعر. عندما أنظر إلى الماضي، أرى أنَّ الكثير منا قد علّم من الصغر أن يخاف، على الرغم من أنني لا أوّمن أننا وُلدنا كذلك.

أحد الأشياء التي أعتقد بها هي أننا سلفاً من مُضي حياتنا مُحاولين أن نكونه، إلا أننا لا نُدرك ذلك! نأتي إلى الحياة مُدركين روعتنا. لا أعلم لماذا، إلا أنَّ العالم يبدو وكأنه يحثُّ ذلك بينما نكبر.

يبدأ هذا بشكل بسيط، من خلال قلق صغير أننا غير محبوبين، أو لسنا جيدين بالدرجة الكافية، رُبّما نبدو مُختلفين عن أقراننا، رُبّما نحن من عرق آخر، طويلون جداً، قصيرون جداً، سمينون جداً، نحيفون جداً. نُريد الكثير كي نندمج. لا أذكر أبداً أنه تمَّ تشجيعي كي أكون أنا على حقيقتي، أو أكون صادقة من نفسي، أو تمَّ تطميني أنه لا ضرر من أن أكون مُختلفة. كل ما أذكره هو صوت تافه من الاستنكار سمعته على الدوام في رأسي.

لقد كنتُ مُبهجة للناس وأخشى الرفض، بغضّ النظر عن الجوهر. حاولتُ التغطية على الماضي كي أتجنب تفكير الناس بي على أنني مريضة، وعبر السنين فقدتُ نفسي في هذه العملية. لقد انفصلتُ تماماً عمّا كنتُ عليه أو ما أردته، لأنّ كل ما فعلته كان مُصمماً كي ينال رضا الجميع ما عداي أنا. في الحقيقة، في السنوات التي أدت إلى اصابتي بالسرطان، لو سألني أيُّ أحد ماذا أُريد في الحياة، لقلتُ له إنني لا أعرف حقاً. كنتُ مُلتفة بالتوقعات الثقافية، محاولة أن أكون الشخص الذي كنتُ أتوقعه، ذلك لأنني لم أعرف ما هو المُهمّ بالنسبة إليّ.

بعد أن تمَّ تشخيص اصابة صديقتي العزيزة «سوني «وصهر» داني»

بالسرطان، بدأ يتطورّ عندي خوف كبير من المرض. فكّرتُ أنه طالما أصابهم فقد يصيب أيّ أحدٍ آخر، ولذلك بدأتُ بفعل كلّ شيءٍ كفيلٍ بإبعادي عن المرض. بيد أني على أيّ حال كلّما قرأتُ عن الوقاية أكثر، شعرتُ بالخوف أكثر. بدا لي أنّ كلّ شيءٍ يُسبب السرطان. قرأتُ عن مُسببات المرض في البيئة والطعام والأشياء المُسرطنة: موجات مُسخنات الطعام» المايكروويف، «استخدام الأواني البلاستيكية في حفظ الطعام، تناول المواد الحافظة، استخدام الهواتف النقالة، كلّها تُسبب السرطان على ما يبدو، وفي القائمة المزيد والمزيد.

لم أكن أخشى المرض فحسب، بل كنتُ أخشى المُعالجة أيضاً من خلال العلاج الكيميائي، وهذا فاقمَ خوفي.

وجدتُ نفسي ببطء مذعورة من الموت والحياة. لقد بدا وكأنني حُبستُ في قفصٍ مخاوفي. كانت تجربتي في الحياة تصغر شيئاً فشيئاً، لأنه بالنسبة إليّ، كان العالم مكاناً مُهدداً. ثمّ تمّ تشخيص اصابتي بالسرطان.

على الرغم من أنه بدا أنني أُصارع مرضي، بيد أني اعتقدتُ أنّ السرطان حكم بالإعدام. ذهبتُ في اتجاه القيام بفعل كلّ شيءٍ أستطيع فعله، ولكن في تفكيري، كنتُ أعتقد أنني سأنجو، وكنتُ خائفة جداً من الموت.

الحقيقة التي طالما قالها الباحثون الذين «يُحاولون العثور على علاج للسرطان» أُوحت لي أنه لا يوجد حلّ معروف. لقد بدا هذا حقيقة مقبولة، على الأقل في العالم الطبي الاصطلاحي. إنّ اخباري بأنّ الدواء التقليدي هو الحلّ الوحيد، على الرغم من أنّ النظام كان مُسلماً أنه لا علاج، كان كفيلاً ببتّ الرعب داخلي إلى الأعماق. كانت كلمة سرطان في حدّ ذاتها كافية كي تتسبب بإحداث الخوف، وقد صادقت معرفة العيوب العلمية على شعوري أنني سأموت.

كنتُ ما أزال أُحاول فعل ما بوسعي، ولكنّ المرض بدا يتقدّم ويُصبح أسوأ. لقد سعيّتُ إلى العلاجات البديلة، مع أنّ مُعظم الذين عرفتهم نصحوني عكس

ذلك، لأنني شعرتُ أنني مع العلاج التقليدي قد قُضي عليّ منذ البداية. عوضاً عن ذلك، أخذتُ كلَّ الشروط في عين الاعتبار، وكما ذكرتُ سابقاً، تركتُ عملي وكرستُ أربع سنوات من أجل هذه العملية.

جربتُ العلاج بالإيمان، الصلاة، التأمل، جلسات العلاج بالطاقة. قرأتُ كلَّ كتاب وقع تحت يديّ حول السرطان، كي أتعلم كلَّ علاقة تضمنية ميالة إلى المرض. عملتُ على العلاج النفسي بالتسامح، وسامحتُ كلَّ مَنْ أعرفه، ثمّ سامحتهم ثانية. سافرتُ عبر «الهند» و«الصين»، وقابلتُ الرهبان البوذيين، ومُدرّبي «اليوغا» الهنود، والأساتذة المُستنيرين، وكلّي أمل في أن يُساعدوني على إيجاد إجابات تُؤدّي إلى الشفاء. حاولتُ أن أكون نباتية، أتأمل على قمة جبل، أقوم بتمارين «اليوغا»، «علاجات» الأيروفيدا، «موازنة مراكز الطاقة» «الشاكرات»، «العلاج بطبّ الأعشاب الصيني، وتمارين التنفّس» تشي كونغ.»

على الرغم من كلِّ هذا، استمرَّ السرطان عندي يتطوّر نحو الأسوأ. كان دماغي في حالة ارتباك كاملة، بينما كنتُ أفقد نفسي أكثر فأكثر بين وسائل العلاج المُختلفة، مُحاولة القيام بكلِّ شيء من أجل البقاء على قيد الحياة على الأقل، ولكنّ صحتي كانت تتدهور باستمرار. كما وصفتُ سابقاً، توقّف جسدي في النهاية عن امتصاص المواد المُغذية، وهزلت عضلاتي حتى أنني لم أعد قادرة على المشي. أصبح الكرسي المُتحرك الشكل الوحيد لحركتي. تعلّق رأسي على رقبتني ككرة لعب «البولينغ» كبيرة الحجم، ولم أستطع التنفّس دون أسطوانة الأوكسجين المحمول الذي لم يُغادرني قط. عندما كنتُ أنام، كان زوجي يبقى مُستيقظاً طوال الليل كي يتأكّد فقط أنني ما أزال أتنفّس. ساعدتُ أمي بالاعتناء بي لأنني لم أستطع الاعتناء بنفسني. كان الأمر صعباً علينا جميعاً، وكنتُ أستطيع الشعور بألمهم بالإضافة إلى ألمي.

لا يُمكنني وصف الرعب الشديد الذي كنتُ أمرُّ به يوماً بعد يوم، بينما

استمرّ جسدي بالتدهور. كنتُ أتعلّق بالحياة بأظافري. حضرتُ جلسات الشفاء الروحي حيث أُخبرتُ أنّ هذا هو خيارِي، وسمعتُ أيضاً أنّ العالم عبارة عن وهم.

أصبحتُ مُحبّطة وخائفة أكثر، أتساءل: لماذا قد أختار هذا؟ كيف أختار على نحو مُختلف؟ إذا كان هذا وهماً فلماذا يبدو حقيقياً جداً؟ لو أنّ الإله يستمع إلى كلّ الصلوات، لماذا لا يستمع إلى صلواتي؟ كنتُ أُحاول بجد القيام بكلّ التسامح، التطهير، الشفاء، الصلاة، والتأمل الذي أستطيع القيام به. لكنني لم أستطع فهم لماذا يحدث هذا لي.

عندما أصبح الصمود في النهاية صعباً جداً بعد الآن، استسلمتُ، وتحررتُ داخلياً على نحو كامل. بعد أن أتلف السرطان جسدي أكثر من أربعة أعوام، كنتُ ضعيفة جداً كي أتماسك، ولذلك استسلمتُ. كنتُ مُتعبة. عرفتُ أنّ الخطوة القادمة ستكون الموت، وقد وصلتُ في النهاية إلى مرحلة الترحيب به. أيّ شيء سيكون أفضل من هذا.

عندما دخلتُ في الغيبوبة وبدأتُ أعضائي تتوقّف عن العمل، عرفتُ ألا شيء أسوأ ممّا ممرنا به أنا وعائلتي. هكذا بدأتُ أنغمس في الموت.

سمح لي العالم الذي عرفته عندما توقّف جسدي عن العمل أن أرى روعتي غير مُشوهة بالخوف. أصبحتُ مُدركة للقوة الأكبر التي دنوتُ منها.

عندما تخلّيتُ عن تعلّقي بالحياة المادية، لم أشعر أنني أحتاج إلى فعل أيّ شيء بالتحديد من أجل دخول العالم الآخر، كالصلاة، التراتيل والأناشيد، ترداد كلمات «المانترا»، «التسامح، أو أيّ تقنية أُخرى. كان التقدّم أقرب إلى فعل لا شيء مُطلقاً. لقد بدا وكأنه يقول إلى «لا أحد «بالتحديد»: حسناً، ليس لديّ المزيد كي أقدمه. أنا أستسلم. خذني. افعل بي ما تشاء. امضِ على طريقتك.»

بينما كنتُ في تلك الحالة من الوضوح في العالم الآخر، فهمتُ بغريزتي أنني

كنتُ أحتضر بسبب كلِّ مخاوفي . لم أكن أختبر نفسي الحقيقية، لأنَّ همومي كانت تمنعني من فعل ذلك . فهمتُ أنَّ السرطان لم يكن عقاباً أو أيِّ شيء من ذلك . إنها طاقتي فقط تظهر كسرطان، لأنَّ مخاوفي لم تكن تسمح لي بالتعبير عن نفسي كقوة عظيمة من المفترض لها أن تكون .

في تلك الحالة الصريحة المتمددة، أدركتُ كم عاملتُ نفسي بخشونة، وكم حكمتُ عليها طوال حياتي . لم يكن هناك مَنْ يُعاقبني . فهمت في النهاية أنني أنا التي لم أكن أسامح وليس الآخرين . أنا كنتُ أحكم على نفسي وقد تخليتُ عنها، ولم أُحبها على نحو كافٍ . لم يكن الأمر يتعلّق بأيِّ أحد آخر . رأيتُ نفسي طفلة الكون الجميلة . حقيقة أنني موجودة جعلتني أستحقُّ الحبَّ اللامشروط . أدركتُ أنني لم أحتج إلى فعل أيِّ شيء كي أستحقُّ هذا، لا صلاة، ولا توسل، ولا أيِّ شيء آخر . رأيتُ أنني لم أُحبُّ نفسي قط، ولم أُقدّر قيمتها، ولم أرَ جمال روحي . على الرغم من أنَّ الروعة غير المشروطة كانت هناك دائماً من أجلي، بدا وكأنَّ الحياة المادية قد فلترتها بطريقة ما أو حتى نحتتها .

لقد جعلني هذا الفهم أدرك أنه لم يكن هناك شيء أخاف منه . رأيتُ ما دنوتُ منه، الأمر الذي نفعه جميعنا، وهكذا اتخذتُ اختياراً قوياً : أن أعود من الغيبوبة . ذلك القرار الذي اتخذته من حالة اليقظة كان القوة الدافعة الوحيدة الأقوى في عودتي . عندما استيقظتُ ثانية في جسدي، علمتُ أن كلَّ خلية ستتجاوب مع قرار العودة، وعلمتُ أنني سأكون على ما يُرام .

عند عودتي إلى جسدي فيزيائياً في المشفى، فهمتُ أن كلَّ شيء بعد ذلك : كلَّ الاختبارات، أخذ الخزعات، الأدوية، قد تمّت من أجل إرضاء كلِّ مَنْ حولي . على الرغم من أن الكثير منها كان مؤملاً، علمتُ أنني سأكون بخير . لقد قررت روعتي، نفسي المطلقة، الاستمرار بالحياة والتعبير من خلال هذا الجسم، ولذلك لن يُؤثر أيُّ شيء في هذا العالم على قراري .

أريد التوضيح أنّ شفائي لم يُولد من الانتقال في حالة تفكيري أو مُعتقداتي، بل من خلال السماح لروحي الحقيقية أن تُشعّ من خلالي. سألني الكثيرون إذا كان هناك شيء مثل التفكير الإيجابي تسبب في شفائي، وكانت الإجابة لا. إنّ الحالة التي كنتُ فيها خلال تجربتي في الاقتراب من الموت كانت طريقة تتجاوز التفكير، وقد تعافيتُ لأنّ أفكاري الهدامة ابتعدت عن طريقي تماماً. لم أكن في حالة تفكير، ولكن في حالة كينونة. كانت الحالة وعياً نقياً، وهو ما أدعوه الروعة! هذه الحالة من الانسجام تفوّقت على الازدواجية. كنتُ قادرة على التواصل مع حقيقتي، الجزء الخالد مني، المُطلق الذي يشمل الكلّ. لم يكن هذا حتماً حالة التفكير بالأمر.

أنا لا أويد أننا لو كنا» نعتقد «بطريقة مُعينة، فسُنلغي المرض أو نخلق حياة مثالية. فهذا سيكون مُفرطاً بالبساطة. بدلاً من ذلك، أُرکز أكثر على الوعي الشخصي المُختلف، فالترسخ في المُعتقدات التي لم تعد تخدمنا، قد يُبقينا مُقيدين في حالة الازدواجية، ويضعنا في حالة مُستمرة من الحكم، أي أنّ الشيء الذي نُصادق عليه يُعتبر» جيداً «أو» إيجابياً، «وما لا نُؤمن به ليس كذلك.

يضعنا هذا أيضاً في موقف الحاجة إلى الدفاع عن مُعتقداتنا عندما لا يُوافق الآخرون. وعندما نوظف الكثير من طاقتنا في الدفاع، نُصبح ممانعين لترك الأمور تمضي على طبيعتها، حتى عندما لم تُعد الأفكار تخدمنا. هذا عندما تبدأ مُعتقداتنا بامتلاكنا عوضاً عن العكس.

من جهة أُخرى، فإنّ امتلاك الوعي يعني إدراك ما يُوجد فقط وما هو مُمكن دون مُحاكمة. لا يحتاج الوعي إلى الدفاع. إنه يتّسع وينمو وقد يشمل الكلّ ويُقربنا إلى حالة الوجدانية، وهنا تحدث المُعجزات. على النقيض، تسمح المُعتقدات فقط لما نراه موثقاً بينما تُبعد كلّ شيء آخر.

لم تكن معتقداتي هي التي سببت شفائي. كانت تجربة الاقتراب من الموت

حالة من الوعي الصرف، وحالة من التجرد التام من كل مبادئ السابقة وعقائدي، وقد سمح هذا لجسدي أن يُعيد» تشغيل «نفسه .بكلمات أُخرى، لقد كان غياب الإيمان مطلوباً من أجل شفائي.

في اللحظة التي استسلمتُ فيها تماماً إلى رغبتني القوية في البقاء على قيد الحياة، اختبرتُ معنى الموت، وفي الموت أدركتُ أنه لم يحن وقتي .عندما كنتُ راغبة بترك ما أردتُ، تلقيتُ ما هو لي حقاً .لقد أدركتُ أنّ اللاحق دائماً سيكون الهدية الأعظم.

خلال تجربة الاقتراب من الموت، تعلّمتُ أنّ المفاهيم المحمولة بتعصب تعمل ضدي حقاً .طالما احتجتُ العمل في الخارج فإنّ مُعتقداتي تحدُّ من تجربتي لأنها تُبقيني في عالم ما أعلمه فقط، وما أعرفه محدودٌ جداً .إذا قيّدتُ نفسي فيما أنا قادرة على فهمه وتصوّره، فأنا أُحجم امكانياتي والأشياء التي أسمح لها أن تدخل إلى حياتي .على أيّ حال، إذا استطعتُ أن أقبل أنّ فهمي غير كامل، وقدرتُ أن أكون مُرتاحة مع مبدأ الريبة، فهذا سيجعني مُنفتحة على عالم آخر من الإمكانيات اللامتناهية.

لقد وجدتُ لاحقاً بعد تجربتي في الاقتراب من الموت، أنني في أقوى حالاتي عندما أسمح للأمور أن تأخذ مجراها، وعندما فصلتُ بين مُعتقداتي وجهودي، وتركتُ نفسي مُنفتحة على كلّ الإمكانيات .يظهر هذا أيضاً عندما أكون قادرة على اختبار أكبر قدر من الوضوح الداخلي والتزامن .إنّ إحساسي بفعل الاحتياج إلى اليقين يُعيقني عن تجربة مستويات أعظم من الوعي .على النقيض، يكون العلاج والشفاء في عملية التخلي وإدراك كلّ الروابط لأيّ معتقد أو نتيجة .يكمّن الانقسام في أنه كي أتعافى حقيقة، يجب أن أتخلّى عن الحاجة إلى الشفاء، وأستمتع فقط وأثق في الرحلة التي هي الحياة.

لقد كان من المُهمّ بالنسبة إليّ أنني أبعد بكثير من ماديتي وجسدي، وأنني

شيء أعظم بلا حدود .مرة ثانية، أودُّ القول ثانية إنّ الأمراض ليست خطأنا! والتفكير بأنها كذلك قد يكون مُحبطاً لأيّ شخص مريض .أقول إنّما ديتنا تتجاوب مع وعينا، أطفالنا، الحيوانات، وكلّ ما يُحيط بنا يفعل ذلك أيضاً. يستطيع وعينا أن يُغيّر شروط الكوكب على نحو أكبر ممّا نستطيع ادراكه، وهذا لأننا جميعاً مُترابطون، ولا أستطيع التعبير عن هذا كفاية!

بالنسبة إليّ، فإنّ الخطوة الأولى إلى الإدراك الواعي هو أن نفهم كيف قصّدت الطبيعة أن تكون الأشياء .إنها تعني إدراك أجسادنا وما يُحيط بنا وقدرتنا على احترام جوهر الأشياء دون الحاجة لرؤيتها مُختلفة، وهذا يشمل أنفسنا .يجب أن نفهم عظمة كيف قصد الكون أن نكون دون الحاجة إلى التغيير .لستُ مُضطرة إلى مُحاولة الترقّي إلى توقعات الآخرين من الكمال، ثمّ أشعر أنني غير مُلائمة عندما أفضل فشلاً ذريعاً.

أنا في أوج قوتي عندما أسمح لنفسي أن تكون من قصّدت الحياة أن أكونه، ولهذا حدث شفائي فقط عندما توقّفت تماماً كلّ أفعالي الواعية وسيطرت قوة الحياة .بكلمات أُخرى، أنا في أوج قوتي عندما أعمل مع الحياة أكثر مني ضدها.

لقد كان من الجيد بالنسبة إليّ التحدّث عن الشفاء بعد أن مررتُ به، أو أن أقول لكم ثقوا فقط واتركوا الأمور تأخذ مجراها، تاركين تدفق الحياة يُهيمن، مع أنكم عندما تمضون خلال فترة عسيرة حقيقة، فمن الصعب فعل أو حتى معرفة من أين تبدوون .مع ذلك، أعتقد أنّ الإجابة أسهل ممّا يبدو عليه الأمر، وهي من أفضل الأسرار الخفية في وقتنا الحالي :أهمية حبّ الذات .قد تتجهّم أو تترد من الفكرة، بيد أنني لا أستطيع التأكيد بما يكفي عن أهمية زرع وتربية الحُبّ العميق تجاه نفسك.

أنا لا أتذكّر أبداً أنني شجعتُ على تدليل نفسي، بل في الحقيقة، لم يحدث أبداً أنني قمتُ بذلك .من الشائع أنّ ذلك مُرتبط مع الأنانية .بيد أنّ تجربتي في

الاقتراب من الموت سمحت لي أن أدرك أن هذا هو مفتاح شفائي.

كلنا مترابطون في نسيج الحياة. كل منا هدية لمن حوله، إذ نساعد بعضنا على أن نكون نحن، ونحيك معاً صورة مُتقنة. عندما كنتُ في حالة الاقتراب من الموت، أصبح كل شيء واضحاً بالنسبة إليّ لأنني فهمتُ أنني كي أكون أنا يعني أن أكون الحُبّ. هذا هو الدرس الذي أنقذ حياتي.

ما يزال العديد منا يعتقد أنه يجب علينا العمل كي نكون محبوبين، ولكنّ هذا يعني العيش بازدواجية، لأنّ هناك المُعطي والآخذ، بينما إدراك أننا نحن الحُبّ يتجاوز هذا. إنه يعني فهم ألا فاصل بينك وبينني، وعندما أدرك أنني الحُبّ، فأنا أعلم أنك كذلك أيضاً. لو اهتممتُ بنفسني، فأنا تلقائياً أشعر بالمثل تجاهك!

في حالتي عند الاقتراب من الموت، أدركتُ أن الكون بأسره مُكوّن من الحُبّ غير المشروط، وأنني تعبيرٌ عنه. كلّ ذرة، جزيء، وأدقُّ من ذلك بكثير، كلّ ذلك مصنوع من الحُبّ. لا يُمكن أن أكون غير ذلك، لأنّ هذا جوهرني وطبيعة الكون بأسره. حتى الأشياء التي تبدو سلبية كلّها جزء من الطيف اللانهائي من الحُبّ غير المشروط. في الحقيقة، إنّ الطاقة الكونية لقوة الحياة هي الحُبّ، وأنا مؤلفة من الطاقة الكونية! لقد جعلني إدراك هذا أفهم أنه لا يتوجّب عليّ محاولة أن أصبح شخصاً آخر كي أكون ذات قيمة. أنا كلّ ذلك ولكن بقدر استطاعتي.

بالمثل، عندما نعلم أننا الحُبّ، لا نحتاج إلى العمل كي نكون مُحبين للآخرين. بدلاً عن ذلك، علينا فقط أن نكون صادقين مع أنفسنا، ونُصبح أدوات لطاقة الحُبّ، التي تُلامس كلّ مَنْ نحتكّ به.

أن أكون الحُبّ يعني أيضاً أن أكون مُدركة لأهمية تنشئة روحي، وأهتمّ باحتياجاتي الخاصة، وألا أضع نفسي في المؤخرة كلّ الوقت. يسمح لي هذا أن أكون صادقة مع نفسي في كلّ الأوقات، وأُعامل نفسي باحترام تامّ ولطف. يُتيح

لي هذا أيضاً مُشاهدة ما يُفسّر على أنها أخطاء وعيوب دون مُحاكمة، وأن أرى الفرص فقط كي أُجرب وأتعلّم مع الحُبّ غير المشروط.

يسألني الناس ما إذا كان هناك شيء كبير مثل حُبّ الذات. يسألون أين الحدّ الفاصل، وأين يُصبح حُبّ الذات أنانية أو غروراً؟ بالنسبة إليّ، لا يُمكن هذا. ولا يوجد حدّ فاصل.

تأتي الأنانية من نقص حُبّ الذات. يُعاني كوكبنا من هذا، كما نُعاني نحن، جنباً إلى جنب مع الكثير من انعدام الأمن، اصدار الأحكام، والتكيّف على نمط معين. كي أهتمّ بأحدهم حقيقة بلا شروط، يجب أن أشعر بتلك الطريقة تجاه نفسي. لا يُمكنني أن أُعطي ما ليس لديّ. عندما أقول إنني أحترم غيري أكثر من نفسي، فهذا شيء غير حقيقي وهو يعني أنني أقوم بالتمثيل.

عندما أكون الحُبّ، لا أُستنزف، ولا أحتاج أن يتصرّف الناس معي بطريقة مُعينة كي أشعر بالاهتمام، أو أشارك روعتي معهم. إنهم يحصلون تلقائياً على حُبّي نتيجة كوني ذاتي الحقيقية. عندما لا أُصدر أحكاماً على نفسي، أشعر بالطريقة ذاتها تجاه الآخرين.

في ضوء هذا، تعلّمتُ أنه من المُهمّ ألا أكون قاسية جداً على نفسي عندما أمرُّ بالتحديات. في أغلب الأوقات، ليست المُشكلة هي سبب الصراع الظاهر. بل المُشكلة الحقيقية في أحكامي ضدّ نفسي. عندما أتوقّف عن كوني عدوي الأسوأ، وأبدأ في حُبّ نفسي أكثر، يُصبح لديّ تلقائياً خلاف أقلّمع العالم حولي، وأُصبح مُتسامحة أكثر ومُتفهمة.

عندما يكون كلانا مُدرّكين لعظمتنا، لا نشعر بالحاجة إلى السيطرة على الآخرين، ولن نسمح لأنفسنا أن يُسيطر علينا. عندما استيقظتُ في نفسي المطلقة، اندهشتُ من فهم أنّ حياتي قد تختلف على نحو مُثير فقط من خلال إدراك «أنا الحُبّ»، «وقد كنتُ كذلك دائماً. ليس عليّ القيام بأيّ شيء كي أستحقّ

ذلك. إنّ فهم هذا يعني أنني أعمل بطاقة قوة الحياة، بينما التمثيل أنني محبة يعمل عكس هذه الطاقة.

إنّ إدراك «أنا الحُب» كان أكثر الدروس التي تعلمتها أهمية، فقد سمح لي بالتخلي عن كلّ مخاوفي، وهذا هو المفتاح الذي أنقذ حياتي.

الفصل السادس عشر

النفوس المٌطلقة

والطاقة الكونية

أثناء تجربتي في الاقتراب من الموت، شعرتُ وكأنني مُرتبطة مع العالم بأسره وكلّ ما يحويه داخله، وبدا أنّ الكون حيٌّ، نشيط، واعي. لقد وجدتُ أنّ كلّ فكرة، عاطفة، أو فعل قمتُ به أثناء تجربة الجسد الفيزيائي كان له الأثر على كلّ شيء. في الحقيقة، في ذلك العالم من الوجدانية، بدا وكأنّ الكون بأسره هو امتداد لي. بالطبع، لقد غيرَ هذا الإدراك، الطريقة التي أنظر بها إلى الأشياء على نحو كبير. نحن جميعاً نُشارك في خلق هذا العالم وفي خلق حياتنا داخله من خلال عواطفنا، أفكارنا، أفعالنا.

ليست اللغة أداة مُلائمة للتعبير عن شيء لا يُمكن النظر إليه باستخدام حواسنا الخمس، ومن التحدي إيجاد الكلمات الصحيحة للتعبير عن فهمي لما حدث أثناء التجربة. على أيّ حال، سأقوم بما في وسعي في هذا الفصل كي أشارك بوضوح قدر استطاعتي ما أشعره تجاه هذا العالم، كيف نمضي خلاله، وكيف يتغيّر إلى الأفضل.

أولاً، من المُهمّ أن تفهم أنّ تجربتي في الاقتراب من الموت لم تكن كأني حدث آخر مررتُ به. لم تكن البداية واضحة ولا النهاية. كانت أشبه بباب فتُح مرة واحدة، ولم يُقفل بعد ذلك. إنه بداية التقدم، الاستمرار والتطوّر، الفهم الأعمق والإمكانات الجديدة التي لا تنتهي.

لأنّ الكلمات أداة فقيرة في التعبير عن هذا النوع من الظواهر، فما أكتبه

هنا يُفيد فقط في إثارة المشاعر المناسبة داخلك .حتى بعد أن شاركتُ في هذا، سيستمرُّ فهمي بالنمو والتوسُّع .إنَّ الكلمات المأخوذة حرفياً والتي نتمسَّك بها على أنها حقيقة مُطلقة قد تُبقينا راكدين وعالقين، مُتمسكين بالمفاهيم والنظريات القديمة.

أنا أعلم الآن أنَّ كلَّ شيءٍ أحتاجه موجود مُسبقاً داخلي، وسهل المنال تماماً إذا سمحتُ لنفسي بالانفتاح على ما أشعر أنه حقيقي بالنسبة إليّ، والأمر ذاته حقيقي بالنسبة إليك.

قبل تجربة الاقتراب من الموت، رُبَّما بسبب ثقافتِي، تعودتُ على الاعتقاد أنَّ هدف الحياة هو الوصول إلى السعادة المُطلقة» نيرفانا، «أي أن تتطور إلى ما وراء دورة التقمُّص في الولادة والموت، مُحاولاً ألا تعود إلى الجسد .لو أنني نشأتُ مغمورة تماماً بالثقافة الغربية، رُبَّما حاولتُ الوصول إلى الجنة .هذا حقاً هدف شائع بعض الشيء بغضُّ النظر عن الثقافة، فالعيش بطريقة كهذه يضمن الحصول على آخرة مثالية.

بيد أنه بعد تجربتي في الاقتراب من الموت، أشعر بالأمر على نحو مُختلف .مع أنني أعلم أنني سأستمر في الحياة بعد هذا المُستوى، إلا أنني لم أعد أخاف من الموت الجسدي بعد الآن، وفقدتُ رغبتِي بأن أكون في أيِّ مكان عدا المكان الموجودة فيه الآن .أصبحتُ أكثر معرفة وتركيزاً على رؤية الكمال في الحياة في هذه اللحظة، أكثر من التركيز على العالم الآخر.

إنَّ تجربتي في الاقتراب من الموت لا تدعم فكرة التقمُّص، لأنَّ التقمُّص أصلاً بالمفهوم التقليدي يُؤمن بتعاقب حيوات الانسان التي تجري على نحو مُتعاقب الواحدة تلو الآخر .لقد أدركتُ أنَّ الوقت لا يتحرَّك بطريقة خطية مُنظمة ثابتة، ما لم نستخدم مُرشِّح جسمنا المادي وتفكيرنا .عندما لا نعود محدودين بحواسنا الأرضية، فكلُّ لحظة تُوجد في آن معاً .توصَّلتُ إلى التفكير أنَّ مفهوم

التقمص هو فقط تأويل، وطريقة كي يفهم تفكيرنا كل ما يحدث حالاً.

نُفكر في معنى « يمرُّ الوقت ،» «بيد أنه خلال تجربتي في الاقتراب من الموت، بدا وكأنَّ الوقت شيء موجود، ونحن نتحرَّك خلاله. هذا يعني ليس فقط أنَّ كلَّ نقاط الوقت تُوجد في آن معاً، بل أيضاً في العالم الآخر، بإمكاننا أن نكون أسرع، أبطء، أو نمشي إلى الوراء وإلى الجوانب.

في المستوى المادي، من المُحتمل أن تحدِّنا أعضاء حواسنا. تأخذ أعيننا ما تراه في هذه اللحظة، وكذلك تسمع آذاننا بالطريقة نفسها. يستطيع التفكير التواجد فقط في لحظة واحدة، ثمَّ يُشكِّل من هذه اللحظات سلسلة تُشكِّل تقدماً خطياً ثابتاً. بيد أننا عندما نمتدُّ خارج أجسادنا، نعبر كلَّ الزمان والمكان بوعي، فلا نكون الرؤية، السمع، اللمسة، التذوق، الشمِّ. نحن ووعي خالص.

مررتُ بهذا بينما كنتُ في حالة الاقتراب من الموت. كنتُ أدرك أنَّ أخي على متن الطائرة قادماً من أجل رؤيتي، وكنتُ أعي مُحادثة الأطباء خارج غرفتي في الأسفل عند الرواق. لقد فهمتُ العديد من جوانب حياتي المُستقبلية، وكأنها تُعرض، بالإضافة لما قد يحدث لو لم أعد إلى الحياة. لقد أظهر لي هذا أنَّ المكان والزمان والمادة الصلبة لا تتواجد دائماً كما نُفكر عنها عادة. أثناء تجربتي في الاقتراب من الموت، شعرتُ أنَّ بإمكانني التركيز على أيِّ نقطة في الوقت الذي أحتاج الدخول إليه.

بسبب ذلك، أعتقد أنه عندما يملك أحدهم تلميحات لما تمَّ تفسيره سابقاً على أنه « الحياة الماضية ،» «فهم يدخلون حقاً وجوداً مُتماثلاً أو مُتزامناً، لأنَّ كلَّ الوقت يتواجد في الحال. لأننا مُترابطين، من المُمكن احراز حالات من الوعي حيث تتسرب تلميحات لحقيقة الآخرين من خلال لحظتنا الحالية، وتدخل وعينا وكأنها ذكريات.

لقد جعلني منظوري الجديد أتعجَّب حول تركيزنا وهدفنا، لو كان التجسد

والوقت في ذاته غير موجودين حسب ما نشأ بعضنا وهو يعتقد. ماذا لو كانت أهدافنا كلها معكوسة؟ ماذا لو كان الفردوس أو السعادة المطلقة حقاً هنا بالمعنى الفيزيائي، وليس هناك في الآخرة؟

أشعر أننا نختار أن نتجسد في الجسد المادي كي نُعبّر عن الحُبِّ، الشغف، والمجموعة الكاملة لمشاعر البشر التي لا تتوافر مُتفرقة في حالة الوعي الصرف والوحدانية. ماذا لو كانت الحياة على هذا الكوكب هي العرض الرئيس حيث يتواجد الفعل، وأين نُريد أن نكون؟

هذا الواقع هو مكان التعبير. يبدو كأننا لسنا هنا كي نتعلّم أو نحصد التجارب من أجل الآخرة. لا يبدو في هذا الكثير من الأهداف لأننا لا نحتاج أيّ منها هناك. بالأحرى، نحن هنا كي نختبر ونطوّر هذا الكون المادي وحياتنا الخاصة فيه. لقد اتخذتُ قراري بالعودة عندما أدركتُ أنّ الحياة هنا كانت الحالة المُفضّلة لديّ في هذا الوقت. لسنا مُضطرين أن ننتظر حتى نموت كي نختبر السعادة المطلقة» نيرفانا. «تتواجد عظمتنا الحقيقية الآن!

إنّ السبب في كون البشر غير حصينين وخائفين من هذا الموضوع هو أننا نُكوّن أفكارنا عن الآخرة وآلهتنا بالمنطق البشري، ونُعلّق على هذه الأفكار تلك الخصائص المادية والقيم المغلوطة نفسها التي مُلكها مثل الخوف، العقوبة، الانتقام، واصدار الأحكام. بعد ذلك، نُسلّط كلّ قوتنا وطاقتنا على ما نُنشئه.

إذا كان كلّ الوقت والتجربة تتواجد الآن، ونحن نتحرّك ببساطة خلالها بينما نُجسد عظمتنا في العالم المادي، فليس لدينا ما نخشاه. لسنا مُضطرين أن نعيش قلقين ممّا سيأتي بعد. بإمكاننا تمييز الطاقة التي نحن في الأصل جزء منها، ويمكننا أن نكون الحُبِّ في كلّ مظهر من حياتنا.

من سوء الحظ أننا نبحث باستمرار خارج أنفسنا عن إجابات: في الدين، الطب، الدراسات العلمية، الكتب، وعند الآخرين. نحن نعتقد أنّ الحقيقة

هناك في مكان ما، ما تزال مُحيّرة. إلا أنه عند القيام بذلك، نزداد فقط ضياعاً، وكأننا نبتعد عمّا هو حقيقتنا. إنّ الكون كلّه داخلنا. أجوبتي داخلي، وأجوبتك داخلك أيضاً. كلّ ما يبدو أنه يحدث في الخارج يحدث كي يقدر زناد شيء داخلنا، ويوسّعنا ويعود بنا إلى حقيقتنا.

غالباً ما أستخدم عبارة النفس المُطلقة «اللانهاية» بدلاً من مُصطلحات مثل النفس العليا» الأعلى، «الروح. كي أكون أكثر وضوحاً، أعلم أنني أُشير إلى ذلك الجزء داخلي الذي كان واعياً خلال تجربة قربي من الموت وهو ليس الجسد فقط، وإنّما الجزء الذي يشعر أنني واحد مع أيّ شيء. كنتُ أندمج مع الوعي الصافي ككائن مُطلق لانهاية رائع، وأشعر بوضوح بالسبب من كوني موجودة داخل هذا الجسد والحياة في هذا الزمن. هذا هو أيضاً ذلك الجزء مني الذي فهم أنّ وهم الانفصال ينشأ من خلال التماهي بقوة مع المظهر الخارجي.

أنا أوّمن أننا عندما نُغادر أجسادنا المادية، فإنّ ذواتنا المُطلقة كلّها مُتصلة ومُترابطة. في حالة الوعي الصرف، نكون كلّنا واحداً. لقد شعر كثير من الناس بهذه الوحدة من خلال تجارب الروحانية العالية أو عند وجودهم في الطبيعة. عندما نعمل مع الحيوانات أو يكون لدينا حيوانات أليفة، فإننا نشعر بذلك أيضاً. نشعر أحياناً بالانسجام والتوافق، وبالإدراك ما فوق الحسي الاعتيادي، وظواهر أُخرى مُشابهة نتيجة كوننا واحداً مع كلّ المخلوقات، بيد أنه نتيجة كون مُعظم الناس غير مُدركين لذلك، لا يحدث هذا على نحو ملحوظ.

في الحقيقة أنا لستُ جسدي ولا عرقي ولا ديني ولا أيّ مُعتقدات أُخرى، ولا أيّ شخص آخر كذلك. النفس الحقيقية مُطلقة وأكثر قوة، وهي كيان كامل مُتكامل لا يُمكن أن يُكسر أو يُخرّب بأيّ شكل. تحتوي نفسي المُطلقة سلفاً على كلّ الموارد التي أحتاجها كي أسير على هداية في الحياة، لأنني واحد مُتوحد مع الطاقة الكونية. في الحقيقة أنا الطاقة الكونية.

خلال تجربة اقترابي من الموت، لم يكن هناك أي شيء خارج وعي الأكبر لأنني كنتُ واحدة مع كل طاقة الكون. لقد بدا وكأنني أحتوي على الكليّة. في تلك الحالة، كان هناك وضوح تامّ وأصبح كل شيء معروفاً. لقد بدا وكأنني أصبحتُ كل شيء، وأنني موجودة في كل شيء.

إنّ القدرة على رؤية روعتي، وإدراك أني والكون واحد والشيء ذاته قد تسببا في شفائي. لقد أصبحتُ واعية أنه لا وجود لخلق خارجي مُستقل عني، لأنّ كلمة خارجي تُوحى بالتفرقة والثنائية. إنّ العيش بهذا الوعي أتاح لي الاستمرار بالتعامل مع العالم المادي بقوة، وحبّ، وشجاعة.

كي أشرح ذلك من منظور آخر، على الرغم من أنني كنتُ أستخدم اصطلاح الطاقة الكونية، أعلم أنني أستطيع أن أقول فقط وبالسهولة نفسها: «تشي»، «برانا»، «كي». «هذه الكلمات تعني» طاقة قوة الحياة «باللغة الماندارينية، الهندية، اليابانية على التوالي. هذه هي» تشي «في تمارين التنفس الطاقية» تاي تشي»، «تشي جونج»، «وهي» كي «في العلاج باللمس» ريكي. «باختصار، إنها مصدر الحياة، وهي تجري خلال كل مخلوق حيّ. في الواقع، إنها تملأ الكون ولا يُمكن تفريقها عنه.

لا تُصدر الطاقة» تشي «أيّ أحكام، ولا تُفرّق. إنها تتدفّق خلالنا سواء كُنّا مُعلمين روحانيين، أو يرقّة بحرية. من المفيد التفكير بهذا، لأنه بمجرد وصف الطاقة بكلمة مُختلفة مثل المصدر، الإله، «كريشنا»، «بودا»، «أو أيّ كان، فمن الصعوبة على البعض منا أن يرى ما وراء الاسم. هذه المُصطلحات تعني أشياء مُختلفة عند الناس المُختلفين، كما يبدو أنها تفرض شكلاً على المُطلق اللانهائي. عادة ما يكون هناك توقعات مُعينة مُرافقة لهذه العناوين، والكثير منها يُبقينا مُحترزين في الازدواجية بحيث نرى هذه الطاقة كياناً مُستقلاً عنا.

بيد أنّ الطاقة الكونية كحالة وعينا الصافي تحتاج أن تبقى غير محدودة،

ودون شكل كي تُصبح واحدة معنا، وتصنع الشفاء، السحر، المعجزات.

خلال تجربة اقترابي من الموت، شعرتُ على نحو قويّ أننا جميعاً مُتصلون مع هذه الطاقة الكونية، وأنا جميعاً واحد معها. كلُّ واحد منا لديه طاقة الحياة هذه الرائعة الساحرة تجري في كلِّ خلية. إنها ليست كياناً خارجياً، بل هي حالة من الكينونة، وظاهرة داخلية. إنها في الداخل، وفي الخارج، وحوالينا، بغضّ النظر عن العرق، الدين، الثقافة، المُعتقد، الذي ننتمي إليه. كلُّنا مُتصلون معها فقط لأننا أحياء، في الحقيقة، نحن هذا التيار والتدفق الكوني. ليس هناك داع أن نفعل شيئاً، أو نكون شيئاً، أو نُثبت شيئاً كي نصل إليها. نحن كلُّنا مخلوقات رائعة قوية، وكلُّنا لديه الاتصال معها لأننا وهي واحد والشيء نفسه. الشيء الوحيد الذي يمنعني من أن أدرك هذه الطاقة هو دماغي، وأقصد أفكاري، وبالتحديد أفكاري المحدودة عن نفسي. هذا الإدراك العميق الذي ذكرته سابقاً، والذي أخذني إلى تجربة الاقتراب من الموت كان في الحقيقة تخلي دماغي الكامل، آخذاً معه مُعتقداتي المحدودة عن نفسي، وسامحاً للطاقة الكونية أن تأخذ مكانها. ما إن ابتعد دماغي عن الطريق، فُتحت البوابات على مصراعها. بدلاً من أن أُقاتل ضدّ طبيعة الكون كي أُشفى، سمحتُ لطاقة «تشي» أن تتدفق كما تحلو لها.

من الصعوبة في البداية أن تُميز ما يقودنا ويحفّزنا. بيد أن الفارق يكمن في أنّ الدماغ حول الفعل، والروح أكثر حول الكينونة. إنّ ذواتنا المطلقة اللانهائية هي جوهرنا، وهي حقيقتنا، كما وصفتُ في الفصل الأخير عندما شرحتُ أهمية أن نكون الحُبّ. إنّ الدماغ هو مُجرّد أداة للملاحة في هذه الحياة، يعرف كيف تصنع مالاً كافياً، وتضع طعاماً على الطاولة، وتدفع الأجرة، بينما تُريد الروح أن تُعبّر عن نفسها.

النفس المطلقة هي حيث نجد فطرتنا وحدسنا. لو كُنّا نشترى منزلاً،

سَيُضَيِّقُ الدماغ الخيارات من خلال اختيار موقع مُحدد، وتحديد مُوازنة وهكذا. إلا أنّ القرار الأخير حول المكان الذي سنعيش فيه يكون من إحساس داخلي فينا. ببساطة نحصل على شعور جيد حول مكان معين، دون سبب منطقي لتفسيره. هذه هي النفس المُطلقة.

أحياناً تُنسبنا حياتنا المُعقدة أننا مُتصلون مع الطاقة الكونية، وأنه لدينا هذه القدرات الفطرية. نتوقّف عن الاستماع إلى أنفسنا، ونبدأ بإعطاء طاقتنا إلى قوى خارجية كالمُدراء والمُعلمين والأصدقاء. إنّ حجب أحاسيسنا يُعطلّ وعينا بروعة أنفسنا، لأنّ العواطف هي أبواب إلى الروح. بيد أننا كائنات مُعقدة، ونُحاول التحكّم بكيفية نشعر.

عندما نعيش من دماغنا على نحو كامل فترة من الوقت، نفقد اتصالنا مع ذاتنا المُطلقة، ثمّ نبدأ بالشعور بالضياع. يحدث هذا عندما نكون طوال الوقت في الفعل بدلاً من أن نكون. يعني الأخير أننا نعيش من روحنا وهي حالة من السماح تعني أننا نسمح لأنفسنا أن تكون ما نحن عليه دون مُحاكمة. أن نكون لا يعني ألا نفعل شيئاً. إنها تعني فقط أن تكون أفعالنا نابعة من اتباعنا لعواطفنا ومشاعرنا بينما نبقى حاضرين في اللحظة الحالية. بينما الفعل في المُقابل مُركّز على المُستقبل، ويصنع سلسلة من المهام تأخذنا من هنا إلى هناك من أجل الحصول على نتيجة مُعينة، بغضّ النظر عن حالتنا العاطفية الحالية.

لقد اكتشفتُ أنه من أجل أن أُحدد ما إذا كانت أفعالي نابعة من «الفعل» أو من «الكينونة»، «أحتاج فقط أن أنظر إلى العاطفة وراء قراراتي اليومية. هل هو الخوف أم الحُب؟ لو كان كلّ ما أفعله كلّ يوم تُحرّكه العاطفة والتلذذ بالحياة، فأنا في «الكينونة»، ولو كانت أفعالي ناتجة عن الخوف، فأنا في نمط «أفعل».

عندما نشعر أننا مُبتعدون عن مسارنا، نظنّ أنّ خطباً قد ألمّ بنا، يجب أن

نفعل شيئاً أو نحصل على شيء كي نُصح أنفسنا، فنذهب إلى الخارج باحثين عن الإجابات، وننظر إلى الآخرين على أمل أن يُصلحوا حالنا. قد نشعر بالتحسن فترة، إلا أنه لا يدوم طويلاً، وينتهي بنا الأمر إلى الشعور على نحو أسوأ. على أيّ حال، عندما ننسجم حقيقة مع ما أرادت لنا الحياة أن نكونه، ونتوافق مع العواطف التي تحثنا، نتصل مع روح روعتنا. نشعر بالصفاء عندما نسمح لهذا الاتصال ونستردّ قوتنا، وتبدأ حياتنا بالعمل.

عندما نأتي من الكينونة التي هن نحن، بإمكاننا أن نختار التعلّم من المعلمين، الأساتذة، الكتب، الفلسفات الروحية. نصبح على وعي بروعتنا الداخلية وحقيقتنا، بدلاً من أن نعتقد أنّ غيرنا عنده القوة ونحن لا. في الواقع، عندما نُدرك روعتنا، ونعيش على طبيعتنا الحقيقية وهي الحُبّ، فسنجلب على نحو مُتزامن الأستاذ الصحيح، أو الكتاب، أو الفلسفة الروحية في الوقت المناسب!

لسوء الحظ، فإنّ عدم إدراكنا بروعتنا قد يكون له آثار أكثر من إحساسنا ببساطة بالضياع، على الرغم من أنها جميعاً من الجوهر نفسه. خلال تجربة اقترابي من الموت، بدا لي أنّ كلّ الأحكام، الكره، الغيرة، الخوف، تنبع من أناس لا يُدركون عظمتهم الحقيقية. إنّ نقص إدراكنا بكمالنا يُبقي عندنا الشعور بالصغر وقلة الأهمية، وهذا يسير عكس التدفق الطبيعي لطاقة الحياة، التي نحن عليها حقيقة. نحن نسير ضدّ أنفسنا.

أنا أرى أنه لو تشجّعنا كي نُعبّر عن حقيقة أنفسنا، فسُنصبح جميعاً مخلوقات مُحبّة، وسيجلب كلّ منا تميّزه وأصالته وتفردّه إلى العالم. تأتي المشاكل والصراعات نتيجة جهلنا بأنفسنا وعدم قدرتنا على إظهار جمالنا الداخلي. لقد صنعنا الكثير من الأحكام عمّا هو» مثالي، «الأمر الذي يُؤدي إلى الشكّ والتنافس. ما إن يبدأ الشعور بأننا لسنا جيدين كفايةً، حتى نبدأ بالتمثيل. بيد

أنه لو أدرك كل واحد منا روعته وشعر بالرضا عن نفسه، فإن هذا هو الشيء الوحيد» كما يبدو لي «الذي يجب أن نتشاركه معاً حينها، وهو طبيعتنا الفريدة التي نُعبّر عنها ظاهرياً بطريقة مُحبّة تعكس اهتمامنا الداخلي.

يتبع ذلك أنّ المشاكل التي نراها في العالم ليست من اصدار الأحكام، أو الكراهية تجاه الآخرين، بل تجاه أنفسنا. تماماً كما كان مفتاح شفائي هو حُبِّي لِنفسي دون شروط، والذي أزال الخوف، فإن مفتاح العالم الأفضل هو أن يهتم الجميع بأنفسهم بالطريقة نفسها، ويُدركوا قيمتهم الحقيقية. لو توقّفنا عن مُحاكمة أنفسنا، ستتناقص الحاجة عندنا تلقائياً إلى اتهام غيرنا، وسنبداً بملاحظة كمالهم الحقيقي. إنّ الكون موجود داخلنا، وما نمرُّ به خارجياً هو انعكاس فقط.

أنا أعتقد حقيقة أنه لا أحد سيء في الجوهر، وهذا الشرُّ ما هو إلا نتاج مخاوفنا، تماماً كما كان السرطان الذي أُصبتُ به. من منظور الروعة، حتى المجرمين هم ضحايا حدودهم، ومخاوفهم، آلامهم. لو كان عندهم وعي حقيقيّ يبدوون به، فما كانوا ليتسببوا بأيّ أذى. عندما تتمتع بعقلية مُختلفة، على سبيل المثال، تكون في حالة من الثقة الكاملة بدلاً من الصراع، يُمكن أن تقلب أفسد الناس، كما قلبتُ حالة المرض الشديدة التي كنتُ فيها بسبب السرطان.

بسبب أنّ مُعظم الناس لا يعيشون في حالة معرفة النفس الصافية تلك، يجب أن تُوضع القوانين والأحكام والمكافآت والعقوبات كي تقي الناس من أن يؤذوا بعضهم. لو علم كلُّ أحد بروعته، فلن يقودنا الخوف، ولن نحتاج إلى الأنظمة، أو السجون، أو المشافي.

لو أدرك كلُّ واحد فينا فجأة كماله الحقيقي وروعته وعظمته، ومرّ كلُّ واحد على هذا الكوكب بتجربته الروحانية الخاصة التي حوّلتها، فإنّ عالمنا الظاهر سيتحوّل كي يعكس هذه الحالة الجديدة. سيكون الناس أكثر قوةً

واعتماداً على أنفسهم، وأقلّ خوفاً، وأقلّ تنافساً، الأمر الذي يُؤدّي إلى المزيد من التسامح المتبادل. ستتنخفض مُعدلات الجرائم على نحو كبير، وتكون أنظمتنا المناعية أقوى بسبب الإجهاد والخوف الأقل، وتقلّ الأمراض. ستتغير الأولويات لأننا لن نكون مُقادين بالطمع، وهو وجه آخر للخوف. سيكبر الأطفال كي يُصبحوا» كينونة الحُبّ، «ويكونوا أقوى، وأكثر صحة وثقة. سيعيشون على كوكب يدعم طريقة الحياة هذه بدلاً من أن يكون مكاناً يُعاديها.

على الرغم من هذه النظرة، لا أشعر بالرغبة في تغيير أحد، ناهيك عن العالم، فخروجي إلى العالم مع نية تغييره يعني أنني أحكم عليه بأنه على خطأ، وعليه يجب أن أُغيره كي يُطابق نظرتي الخاصة ومفاهيمي. بدلاً من ذلك، كلّ شيء على ما يجب أن يكون عليه في هذه اللحظة في الزمن. أعلم أن عملي الوحيد هو أن أكون. وظيفتي هنا هي أن أكون نفسي، وهو تعبير عن الحُبّ الذي أنا عليه، وأن أرى الكمال في نفسي، وفي الآخرين، وفي العالم حولي، بينما أستمّر في العيش في هذا المستوى الفيزيائي. هذا كلّ ما يحتاج كلّ واحد منا أن يكونه.

أنا أفهم الدور الذي يلعبه كلّ فرد من عائلتي والدائرة الأكبر من الناس، في حياتي وحياتهم. لو لم أكن صادقة مع نفسي، فلن يقدر الآخرون حولي أن يكونوا أنفسهم أيضاً. فقط من خلال كوني نفسي الفريدة أسمح لغيري أن يتفاعلوا معي على مُستوى ذواتهم اللامتناهية.

طالما كان عندي هذا الوعي، أشعر بالتوحد مع طاقة الكون وهي تتدفّق خلال حياتي، وتتكشف بطرق مُعجزة ومُتزامنة. أُصبح مشحونة بدلاً من أن أكون مُستنزفة، وأرتفع مع الكينونة بدلاً من أن أنخفض بالفعل، أعمل مع طاقة الكون بدلاً من أن أكون ضدها. بينما أستمّر على هذا النحو، تأخذ حياتي جودة» الزن، «وأكون موجودة إلى درجة أن كلّ شيء يُصبح مثالياً يقوده

الشعور. هذا ليس سهلاً دائماً، إلا أنه بالتأكيد جعل الحياة أكثر مرحاً! أنا مازلتُ دون شك مشروعاً قيد الإنجاز، إلا أن كل ما يجب عليّ فعله تقريباً، هو أن أكون فقط الحُب الذي أنا عليه، وأكون منأنا. سينتظم كوني الخارجي في مكانه نتيجة ذلك، والشيء نفسه صحيحٌ على مستوى أكبر.

تماماً كما يصنع كل واحد منا حياته لحظة بلحظة من خلال أفكاره وعواطفه، كذلك أيضاً نُقرر مُجتمعين ما هو مُمكن بشرياً وما هو غير مُمكن. نحن نعتقد أنّ أخلاقنا وقيمنا مُطلقة، إلا أنها في الواقع مجموعة من الأفكار والمعتقدات قُمنّا بتبنيها عبر الوقت على أنها صحيحة. إنها من بناء أدمغتنا ونتاج ثقافتنا، تماماً كالتوقعات المؤسسة على النوع والجنس التي شكّلت حياتي في سنوات عمري الأولى، ولأني أوّمن أنّ هذه القيم صحيحة تماماً، فقد أثرت عليّ حينها. بالمُجمل، يعكس الواقع الذي صنعناه عدم وعينا. لو كانت أفكار كل واحد منا ومُعتقداته مُختلفة، لكان كوكبنا مُختلفاً.

يبدو لي أنّ هذا العالم هو دائماً ذروة كل الأفكار والمُعتقدات المُجتمعة حيث هي الآن. نحن نتوسّع فقط بالمُعدل الذي نستطيع تناوله في أيّ نقطة، مُنفردين أو مُجتمعين. لازلنا بالضبط نحكم على مُرتكبي الجرائم، على أنهم مُجرمون يجب أن يُدانوا، ليس فقط في هذه الحياة، بل في الحياة الآخرة كذلك! لم نقدر إلى الآن قادرين على رؤيتهم ضحايا الخوف، ونتاج الواقع الذي قُمنّا بمجموعنا ببنائه.

لو تمكّن كل واحد منا أن ينظر في عيني أسوأ أعدائه وأن يرى عينيه معكوستين فيهما، فسزى تحولاً حقيقياً في الجنس البشري. تدريجياً، بإمكان كل واحد منا أن يُركّز على صناعة واقع لأنفسنا مبنياً على حقيقتنا الشخصية، بدلاً من أن نتبع على نحو أعمى ما تمّ إعداده بناء على أفكارنا الجمعية ومُعتقداتنا. من خلال توسيعنا لوعينا على مستوى فردي، سنُحدث تغييراً مؤثراً على مُستوى

كلّ واحد منا هو بمثابة خيط واحد في نسيج ضخم مُحاك على شكل مُعقد مُلون. قد نكون حبلاً واحداً، إلا أننا جميعاً جزء لا يتجزأ من الصورة النهائية. نحن نُؤثر على حياة الآخرين فقط من خلال اختيارنا أن نكون أنفسنا الحقيقية. إنّ التزامن وتعهدهنا الحقيقي تجاه الآخرين، وهدفنا الوحيد، هو التعبير عن تمايزنا وأصالتنا، وأن نُتيح للآخرين القيام بالمثل.

إنّ إدراك هذا الضوء، وتلك الطاقة الكونية الرائعة داخلنا والتي هي نحن، يُغيّرنا كأفراد لأننا مُنفتحون وجاهزون. بهذه الطريقة، يحدث تغيير أبطء وأعمق في العالم. في الفصل التالي سأخوض على نحو أكثر فيما أصبحتُ أفهمه حول العيش على هذا الصعيد.

الفصل السابع عشر

أن تسمح وأن تكون أنت

أعلم أنني قلت هذا من قبل، إلا أنه يحتمل التكرار: أنا الآن أعيش حياتي من مُنطلق الفرح بدلاً من الخوف. هذا هو الفارق البسيط الوحيد بين ما كنتُ عليه قبل تجربة الاقتراب من الموت وما أنا عليه اليوم.

قبل هذا، دون أن أدرك، كان كل ما فعلته من أجل تجنب الألم أو إسعاد أناس آخرين. علقْتُ بالأعمال، المُطاردة، البحث، الإنجاز، وكان آخر شيء آخذه في الحسبان هو نفسي. كانت حياتي مُقادة بالخوف: ألا أرضي الآخرين، أن أفضل، أن أكون أنانية، ألا أكون جيدة بالدرجة الكافية. كنتُ دائماً أفضل خفقي رأسي). مراجعة الأصل)

منذ تجربة الاقتراب من الموت، لم أشعر أنني عدتُ كي أنجز أي شيء. لقد عدتُ فقط كي أكون. بسبب هذا، كل ما أفعله يأتي من الحُب. لم أعد أقلق من مُحاولاتي تصويب الأمور أو من الامتثال إلى القوانين أو المبادئ. أنا فقط أتبع قلبي وأعلم أنني لا يُمكن أن أُخطئ عندما أفعل ذلك. من المُثير للسخرية أن الأمر قد آل إلى أنني أُسعد أناساً الآن أكثر ممّا كنتُ أفعل في نفسي القديمة، مُجرد أنني أكثر سعادةً وأكثر تحرراً!

كان لهذا أثر كبير على صحتي أيضاً. بما أنني الآن أرى نفسي كائناً غير محدود، يعتني الجسد بنفسه لأنه انعكاس فقط لما يحدث في روعي. يرفع حُب النفس غير المشروط من طاقتي على نحو هائل، ويعمل الكون الشيء نفسه معي.

يعكس العالم الخارجي ما نشعر به حيال أنفسنا. عند ترك أي حكم سلبي

على النفس، نسمح لعاملنا بالتحوّل، وبينما يفعل ذلك، سنكون قادرين على الشعور بالثقة أكثر فأكثر. كلّما كُنّا قادرين على الثقة أكثر، استطعنا ترك محاولة السيطرة على النتائج. عندما نُحاول التحرك مع هذا التدفق بدلاً من الالتزام العقائدي بمذاهب الآخرين، أو المُعتقدات التي امتلكنها في السابق ولم تُعدّ تنفعنا، نعكس بدقة أكثر مَنْ وماذا نحن حقيقة.

كما وصفتُ مُسبقاً، حتى تجربتي في الاقتراب من الموت، كنتُ أبحث دائماً عن دليل يُرشدني، سواء كان من خلال السعي إلى الحصول على موافقة من زملائي أو رؤسائي، أو من خلال التطلع ببساطة إلى الإجابة من الآخرين. لقد اتبعتُ الآراء والمشورة، التعاليم، القوانين التي تمّ وضعها من قبل البعض، سواء شعروا بالخير تجاهي أم لا. في كثير من الأحيان، كنتُ أتمسّك بالطقوس والتعاليم انطلاقاً من الخوف فقط في حالة كانت على حق وكان لديها معلومات لأعرفها.

أثناء تجربتي في الاقتراب من الموت، اكتشفتُ أنني فقدتُ نفسي من خلال الاستماع إلى كلّ هذه الأصوات الخارجية، وأني أقوم بأفعال «تحتسباً» يعني أنني أفعلها خوفاً. أمّا في هذه الأيام، فأنا لا أتبع أيّ منهج، ترتيب، طقس، مبدأ، أو مذهب. في الحقيقة، أحد أعظم قوانيني أنه يجب ألا يكون هنالك قوانين سريعة أو صعبة أبداً! انتبه فقط لما تشعر أنه صحيحٌ حالياً. بالنسبة إليّ، الحياة تجربة روحية، وأنا أتغيّر وأتطوّر كلّ الوقت.

لو كنا كائنات طاقة غير مُفصلين عن قوة الحياة الكونية، فلا نحتاج إلى أيّ نظام خارجي كي يتخذ عنا قرارات أو يُخبرنا كيف ترتفع طاقتنا أو تنخفض. كلُّنا فريدون من نوعنا، ولا أحد يستطيع وضع قوانين عمّا هو صحيح بالنسبة إلينا. على الأرجح، هذا ما تفعله الكثير من المناهج الروحية المنظمة ويبدو أنّ الدين كذلك يفعل. عندما تُوضع الهيكلية، يُتوقع من الجميع أن يتبعوا العقيدة ذاتها.

أولئك الذين يختارون ألا يفعلوا ذلك يُحكم عليهم بسلبية، وهذا هو كيف ولماذا تخلق الأديان المنظمة الانقسام والصراع بدلاً من الوحدة التي يحاولون إقامتها من خلال هذه القوانين. إنَّ اتباع مسار ديني لا يعفينا بالضرورة من العيش في حياة يملؤها الخوف أو حتى خداع الآخرين، بينما اتباع الطريق الروحي الشخصي، رُبَّما يعني اتباع التلقين من كيانات الداخلي الخاص وتزويد روحنا المطلقة الموجودة في جوهرنا.

من الواضح أنَّ الأنظمة المنشأة قابلة للخطأ عندما تتعارض مع الثقافة، فالأنظمة الهندية والصينية الروحية والعلاجية تتعاكس مع بعضها تماماً. يُؤمن الهندوس أنَّ تناول لحم الحيوانات خطيئة، بينما يُؤمن الصينيون أنه من غير الصحي ألا تتناول اللحم. بالمثل، لدى الهنود نظام يدعى «فاستو» يتضمن الهدف ذاته الموجود في «فينغ شوي»، ولكنه في صراع مباشر مع القوانين الصينية.

اعتدتُ أن أضيع كثيراً في كلِّ سُلطة تُصادق على شيء يتعارض مع كلِّ ما سواه. إنَّ عدم معرفتي أيُّها أستخدم كان يخلق الكثير من الخوف فعلياً، أو على الأقل القلق حيال الحصول عليها على نحو صحيح.

من أجل ذلك، في النهاية أعادتني تجربتي مع الموت إلى الوراثة إلى نفسي. أعتقد أنَّ هذه هي الفكرة الأقوى بالنسبة إلى كلِّ منا: إدراك أننا هنا كي نكتشف ونُكرِّم مسارنا الشخصي الخاص. لا يهمُّ إنَّ أنكرنا العالم المادي وتأمّلنا على جبل مدة عشرين عاماً، أو أسسنا شركة عالمية بمليون دولار تُوظف آلاف الأشخاص، وتوفّر لهم سُبُل العيش. قد نحضر محفلاً دينياً أو كنيسة، أو نجلس على الشاطئ، نشرب» مارغريتا، «قد نكون مأخوذين في غروب الشمس المتألق الرائع مع مَنْ نُحبّ، وقد نمشي عبر الحديقة نستمتع بالمثلجات. في النهاية، مهما كان المسلك الذي نختاره، فهو الأصحّ بالنسبة إلينا، وليس أيّ من هذه

الخيارات أكثر أو أقل روحانية من الآخر.

أنا لا أقول أنني ضد الدين المنظم، بيد أنني أشكك في أي رسالة تُؤدي إلى الخلافات، الشقاق، النزاع، والقتل الذي يستمر في هذا العالم تحت اسم الدين، بينما في الحقيقة، كلنا واحد، وكلنا وجوه للكُل ذاته. تتنوع الكائنات البشرية حيث يُحقق البعض نجاحاً مع الدين المنظم أو المسالك الروحية، بينما يفشل آخرون. إذا كنا نعيش بطريقة تُنشئنا وتسمح لنا بالتعبير عن إبداعنا، وتدعنا نرى عظمتنا، فهذا أفضل ما يُمكننا فعله. عندما نُؤيد أيّ اختيار أو مبدأ على أنه الطريق الصحيحة فهذا سيساعد فقط على تقييدنا وتقييد ما كنا سنقوم به هنا. لسنا مُضطرين إلى القيام بفعل أيّ شيء، مثل اتباع طقوس مُعينة أو تعاليم، كي نبقى على تواصل مع عظمتنا. بإمكاننا إذا أردنا أن نفعل ذلك، إذا كان الأمر يجلب لنا المتعة، ولكنه ليس مطلباً أو حاجة. ببساطة من خلال اتباع توجيهنا الداخلي، نجد ما هو مُناسب لنا، مُتضمناً المنهج الذي كنا نبحت عنه. نحن نعلم أننا على المسار الصحيح عندما نشعر بأنفسنا في مركز حُبنا دون مُحاكمة أنفسنا أو الآخرين، ومُميّز عظمتنا الحقيقية ضمن الكليّة المطلقة.

على سبيل المثال، قد تجلب الصلاة راحة أكبر إلى بعض الناس وقت الحاجة، ومن أجل اكتشاف الذات. قد يكون للصلاة تأثيراً إيجابياً على الحال، بسبب عملية الترك والتخلي عن كلّ الأعباء. في النتيجة، قد يشعر الأشخاص الذين يُصلون بالخفة، وأكثر من ذلك، رُبما يشعرون بالترقي، الأمر الذي لا يُساهم فقط في رفاهيتهم وتحسّن أحوالهم، بل وفي أحوال الآخرين بما أننا مُترابطين جميعاً. أيّ إيجابية تجلبها لنفسك، تجلبها إلى الكل.

على أيّ حال، أنا لا أوّمن أنّ أولئك الذين يُصلون مُترابطين أكثر أو أقل من أولئك الذين لا يُصلون. جميعنا لديه طريقته الخاصة في تمييز الفراغ المُطلق داخلنا، بالنسبة إلى البعض قد تكون الصلاة هي طريقته، بالنسبة إلى آخرين،

قد تكون الموسيقى، الفنّ، البقاء في الطبيعة، السعي إلى المعرفة والتقنيات، أيّ كان الذي يجلب لنا العاطفة والإبداع وهدف الحياة .بكلمات أخرى، ليست الصلاة هي التي تجعل بعضنا أكثر وعياً لعظمتهم من غيرهم .بالأحرى، إنها تختار أن تقود حياتنا من خلال التواصل مع عواطفنا الداخلية، كي تُخرج منا جودة تعاليم» الزن «وتُعطي حياتنا المعنى والشعور بالاتحاد.

أنا شخصياً لا أشعر بالحاجة إلى الصلاة لأيّ كيان أو فضاء خارجي مُنفصل عنا، لأنني أعرف أنني واحدة مع الكون طوال الوقت .هكذا، أشعر أنّ حياتي هي صلاة في حدّ ذاتها .أجد التأمل مُفيداً جداً لأنه يُهدئ تفكيري، ويُساعدني على جلب التركيز إلى نقطة الوعي المركزية حيث أشعر باتصالي مع كلّ شيء موجود ضمن الكون .قد لا يخلق التأمل هذا الشعور بالترقي الموجود لدى الآخرين وهذا جيد .من المُهمّ القيام بما يرجع بالتأثير على المُستوى الشخصي.

إذا شعرت أنّه بإمكانك اتباع نظام ما بسهولة، أو كان الأمر مُمتعاً، فهذا رائع !ولكن في الدقيقة التي يبدأ فيها العمل الشاق، أو تشعر بالسيطرة على مشاعرك أو أفكارك، على الأرجح، لن ينجح الأمر كثيراً بالنسبة إليك .إنّ حالة السماح النقي تبدو مثل مكان تحدث فيه مُعظم التغيرات الإيجابية .دع نفسك تكون أنت، بغضّ النظر عمّن تكون، وعانق أيّ شيء يجعلك تشعر بالحياة.

على الرغم من أنني أوّمن بشدة أنّ أفضل شيء أقوم به لنفسي وللآخرين، هو أن أبقى نفسي أرقى بوعي، وأفعل ما يجعلني سعيدة، فقد تندهش عندما تعلم أنني لا أوّيد» التفكير الإيجابي «كوصفة مشوشة .بما أنّ كلّ شيء مُترابط في الحياة حقيقة، فإنّ إبقاء نفسي في حال الروح العالية له أثر أعلى على العالم، كما هو أيضاً ما لا أفعله ويبقى في حالة الاخماد.

من ناحية ثانية، عندما ألاحظ أفكاراً سلبية تتجه نحوي، فمن الأفضل السماح لها بالمرور مع القبول ودون محاكمة .عندما أُحاول قمعها أو اجبار

نفسى على تغيير مشاعري، كلما أبعدها، عادت مُندفعة أكثر. أنا أسمح لها فقط بالتدفق من خلالي دون محاكمة، وأجد أنّ الأفكار والعواطف ستمر. وبالنتيجة، سيتكشف المسار الصحيح بطريقة طبيعية تماماً، تاركاً إياي أكون أنا حقيقة.

إنّ العبارات الجارفة مثل «الأفكار السلبية تجذب السلبية في الحياة» ليست صحيحة بالضرورة، وقد تجعل الناس الذين يمرّون بأوقات عصيبة يشعرون على نحو أسوأ، وقد تخلق الرعب من أنهم سيجذبون المزيد من السلبية من خلال أفكارهم. إنّ استخدام هذه الفكرة دون تمييز كثيراً ما يجعل الناس الذين يمرّون بأوقات عصيبة يشعرون وكأنهم سيئون لأنهم جذبوا أحداثاً كهذه، وهذا غير صحيح. إذا صدّقنا أنّ أفكارنا السلبية تخلق مواقف غير مُحببة، قد نُصاب بجنون العظمة حول ما نُفكر به. على عكس ذلك، يتعلق الأمر بأفكارنا أقلّ من مشاعرنا، خصوصاً ما نشعر به نحو أنفسنا.

ليست القضية أنّ جذب الأشياء الإيجابية يكون ببساطة من خلال البقاء مُبتهجاً. لا أستطيع قول هذا بقوة كافية، ولكنّ مشاعرنا حيال أنفسنا هي المقياس الأكثر أهمية الذي يُقرر شروط حياتنا! بمعنى آخر، أن نكون صادقين مع أنفسنا أكثر أهمية من مُجرّد محاولة البقاء إيجابياً!

أسمح لنفسي بالشعور السلبي حيال أشياء تزعجني لأنه من الأفضل تجربة المشاعر الحقيقية على تحجيمها. مرة ثانية، الأمر مُتعلّق بالسماح لما أشعر به حقاً، أكثر من المحاربة ضده. إنّ فعل المنع في حدّ ذاته دون محاكمة هو فعل من حُبّ الذات. هذا الفعل من اللطف تجاه نفسي يخلق حياة ممتعة للإنسان أبعد بكثير من أن يتظاهر كذباً بالشعور بالتفاؤل.

في بعض الأحيان عندما نرى شخصاً مُبتهجاً حقيقة، مُنفعللاً، لطيفاً، مع أنّ حياته مُنهاره، قد نُفكر، أترى؟ أنّ تبقى «إيجابياً» أمرٌ لا يُجدي، ولكن إليك القضية: نحن لا نعلم شيئاً عن ذلك الحوار الداخلي الفردي. نحن لا نعلم ما

الذي يقوله الآخرون لأنفسهم يوماً بعد يوم، والأكثر أهمية، نحن لا نعلم إن كانوا يُحبّون ويُثمنون أنفسهم!

بسبب ما أدركته خلال تجربتي في الاقتراب من الموت، أشعر أنه من المُهم جداً ألا يكون عندي خوف ولا أحكام تجاه نفسي. عندما يُخبرني حوارى الداخلي أنني في أمان، محبوبة دون شروط، مقبولة، أشعُّ حينها بهذه الطاقة إلى الخارج وأُغيّر عالمي الخارجي وفقاً لذلك. إنَّ حياتي الظاهرية هي حقاً انعكاس حالتي الداخلية.

ليس من المُهم إن كان يومي أو أسبوعي سيئاً، وإنما المُهم أكثر كيف أشعر حيال نفسي بينما أواجه هذا اليوم أو الأسبوع. إنَّ الأمر يتعلّق بثقتي بالعملية حتى لو كنتُ أواجه وقتاً صعباً وألا أكون خائفة من الشعور بالقلق، الحزن، أو الخوف، أكثر من قمع كلِّ شيء حتى تمرّ هذه المشاعر. يتعلّق الأمر بالسماح لنفسي أن أكون مُخلصة لمن أكون. بسبب هذا، تتشتت المشاعر وتُصبح أقلُّ أكثر فأكثر في أوقات مُتفرقة.

قبل تجربتي في الاقتراب من الموت، اعتدتُ على قمع مشاعري المُزعجة كثيراً، لأنني اعتدتُ أن أؤمن أنها تجذب السلبية إلى حياتي. أضف إلى ذلك، لم أكن أريد أن أزعج الآخرين، فحاولتُ السيطرة على أفكارى واجبار نفسي على أن أكون إيجابية. بيد أني أفهم الآن أن المفتاح هو أن تحترم من تكون حقاً باستمرار، وتسمح لنفسك أن تكون في حقيقتك الخاصة.

كل جزء من الوقت فريد تماماً، وكلّما مرّت كلّ لحظة، لا يُمكن تكرارها في هذا المدى الفيزيائي. لقد تعلّمتُ أن أكون مُرتاحة مع ذلك وأن أعيش اللحظة، وأحاول قدر استطاعتي ألا آخذ معي أيّ حمولة عاطفية من لحظة إلى أُخرى. بدلاً من ذلك، أحاول أن أرى كلّ لحظة سجلاً نظيفاً يجلب معه إمكانيات جديدة. هكذا، أفعل ما يرتقي بي أو يجلب لي أقصى المُتعة والمرح في ذلك

الوقت، وبينما قد يعني ذلك الاستغراق في التأمل، فقد يعني أيضاً أن أذهب إلى التسوّق أو أتناول الحلوى، إذا شعرتُ أنّ هذا ما أرغبه.

إنّ العيش بتناغم أكثر مع مَنْ نحن حقاً، ليس فقط إرغام أنفسنا على تكرار الأفكار الإيجابية. إنها تعني حقاً أن نقوم بأشياء تجعلنا سعداء، أشياء تُثير شغفنا وتُخرج أفضل ما في دواخلنا، أشياء تجعلنا نشعر بحال جيدة، وتعني أيضاً حُبّ أنفسنا دون شروط. عندما نندفع في هذه الطريق ونشعر بالبهجة والنشاط في الحياة، نلامس روعتنا. عندما نستطيع إيجاد ذلك دواخلنا، تُصبح الأشياء مُمتعة، ونجد تزامناً يحدث حولنا.

إنّ التزامن وفكرة الجذب قد لفتا الكثير من الاهتمام في السنوات الأخيرة. إنّ فكرة الأشياء وهي تسقط في مكان ما دون جهد لأننا نجذبها أمرٌ مُغرٍ، بيد أني أفضل أن أفكرّ بعبارة السماح، أكثر من الجذب.

كما قلتُ، نحن واحدٌ مع المجتمع، هدفنا أن نكون ذواتنا العظيمة، والعالم الخارجي ما هو إلا انعكاس فقط لما في دواخلنا. لقد أتى الانكسار في حياتي من تركيزي على الظاهر، والمُقارنة التي كنتُ أقوم بها، والمنافسة التي خلقتها. اعتدتُ على الشعور أنه لا يوجد ما يكفي الجميع، ممّا سبب الجشع والتنافس. احتجتُ أن أقنع الآخرين أن يؤمنوا ويفكّروا بطريقتي، بدلاً من احتضان التفرد والاختلاف.

كلّ هذه المشاعر تأتي من نظرة أنّ الكون محدود وأنه يتناقص باستمرار، بينما هو في الحقيقة لا نهائي. إنه قادرٌ على النمو والشمول كما نستطيع نحن تماماً. يعود الأمر لنا كي نتوسّع ونسمح بقدر ما نُريد، لكن يجب فعل ذلك من الداخل إلى الخارج وليس العكس.

عندما أدرك ألا شيء خارج ذاتي المطلقة، أستطيع أن أبدأ بالتركيز على رؤية نفسي كعمل مُستمرّ من الكمال، بطريقة حركية، وليست ثابتة. يتحرّك الكمال

باستمرار مثل الرسم المتغير مُختلف الألوان، يتحوّل من صورة مُتقنة إلى أُخرى. بالنسبة إليّ، يعني هذا رؤية الجمال في الرحلة وفي الأخطاء الظاهرة بينما تنقلني إلى مُستوى آخر من الفهم. هديني أن أشعر جيداً حيال نفسي كي أصل إلى نقطة الثقة، وفي تلك الحالة، أترك كلّ النتائج. عندما بدأتُ بمُراقبة انعدام العيوب لديّ، بدأتُ ملاحظة عالمي الخارجي يعكس ذلك. كنتُ أجذب الأفضل بالنسبة إليّ، والذي هو أيضاً أفضل ما يُمكنني فعله تجاه الكون.

لم يُجدِ الانطلاق وتغيير العالم نفعاً بالنسبة إليّ كما قلتُ مُسبقاً. إنه يتغذى فقط على طاقة الحُكم ذاتها التي تُسبب المُشكلات في الدرجة الأولى، بما أنها تتبع من ذاك الرأي أنّها شيءٌ خاطئاً ويجب تغييره. بدلاً من ذلك، ترك التعلق بأيّ طريقة للتصديق أو التفكير يجعلني أشعر بالتوسع أكثر، وأكاد أكون شفافة، فتستطيع الطاقة الكونية التدفق من خلالي. يحدث المزيد من الصُدف الإيجابية في حياتي عندما أكون في هذه الحالة من السماح.

نحن نجتذب دوماً النتائج الكاملة، والمثل يدعو المثل. كلما كنتُ أطف مع نفسي، عكست الأحداث الخارجية ذلك أكثر. كلما كنتُ أكثر مُحكمة وأصعب تجاه نفسي، أتت مواقف الحياة مُتناسبة مع ذلك. يُبرهن الكون أنني دائماً على صواب في الرأي تجاه نفسي!

سابقاً استخدمتُ كلمة «مُلاحقة» وكأنه يتوجّب عليّ القيام بذلك والحصول عليه وتحقيقه. على الرغم من أنّ فعل السعي وراء شيء ينبع من الخوف، إذ نخاف من عدم حصولنا على ما نُريد حقيقة. هذا السعي يُبقينا عالقين في الازدواجية، لأنّه يُركّز على الانفصال المُتأصل ما بين الصياد والفريسة. على أيّ حال، أنا الآن لم أعد أطارِد أيّ شيء، بل أسمح.

على سبيل المثال، عندما أشعر برغبة عارمة لما أريد أن تؤول إليه حياتي، أعلم أنني لو طاردتُ هذه الرغبة بشدة، فسيجعلني هذا أحارب الطاقة

الكونية. كلُّما حاولتُ بذل جهد من أجل تحقيق هذا، علمتُ أنني أفعل شيئاً خاطئاً. من جهة أُخرى لا يتطلب السماح جهداً، بل يبدو كتحرير أكثر، لأنه يعني إدراك أن كلَّ شيء واحد، ولذلك ما أريد الحصول عليه هو لي أصلاً.

تحدث عملية السماح بالثقة أولاً، ثم بكوني صادقة دائماً بالنسبة لمن أكون. بهذه الطريقة، سأجذب فقط ما هو لي حقاً، ويحدث كلُّ هذا وأنا في حالة ارتاح بها. بإمكانني التركيز على ما يُقلقني أو ما أعتقد أنني أحتاجه أو ينقصني، ولن تتحرك حياتي نحو ما أحبُّ تجريبه، بل ستبقى على ما هي عليه الآن، لأنني أعطيت انتباهي إلى مخاوفي وما يُزعجني أو ما يجعلني أشعر بالفشل، عوضاً عن توسيع مداركي بالثقة والسماح لتجارب جديدة. بإمكانني ترك الصورة تتجسّد أبطء أو أسرع، اعتماداً على سرعة ترك ما يُقلقني واسترخائي في العملية. كلُّما كنتُ متعلقة أكثر بطرق مُحددة في التفكير أو النتائج، وكلُّما كنتُ أكثر خوفاً من المغامرات الجديدة، كان التطوّر أبطء، لأنني لستُ مُنفتحة على العملية. أنا لا أسمح للطاقة الكونية بالتدفق خلالي على نحو فطري.

عندما أقول كلُّ هذا، أنا لا أجلس فعلياً وأتفكّر بكلّ خيار أو إمكانية. كلُّ ما أفعله حقاً في كلِّ لحظة أن أحيأ بوعي في ذلك الفراغ، الأمر الذي يُفعل داخلياً، وليس خارجياً. في الخارج، لا يوجد ما تسعى وراءه ولا ما تجذبه. بما أن الكون في الداخل، فمهما مررتُ بتجارب داخلي، فإنّ ذلك يُؤثر في العالم كله.

بما أن نسيج كلِّ الأوقات قد تمّت حياكته مُسبقاً، فكلُّ ما قد أريد حدوثه في حياتي قد وجد مُسبقاً في ذلك المدى المُطلق غير المادي. مُهمتي فقط أن أُوسّع نفسي الدنيوية بما يكفي كي أتركها داخل هذا العالم الآخر. إذا كان هناك ما أرغبه، فلن تكون الفكرة هي الخروج والحصول عليها، بل يجب أن أُوسّع إدراكي الخاص كي أسمح للطاقة الكونية أن تجلبها في واقعي هنا.

إنّ مُطاردة ما أرغب به والسعي وراءه يُعزز الانفصال، بينما يعني السماح

إدراك أننا واحدٌ وأنَّ كلَّ شيءٍ مُترابطٌ، ولذلك ما أرغب به هو لي مُسبقاً.

الفصل الثامن عشر

أسئلة وأجوبة

في الأشهر والسنوات اللاحقة بعد تجربتي في الاقتراب من الموت، سنحت لي العديد من الفرص كي أتحدّث مع مجموعات مُتنوعة في كلّ مكان في العالم حول تجربتي. فيما يلي بعض الأسئلة والإجابات التي نتجت من هذه المُحادثات:

س: كيف تُعرِّفين «الحُبَّ غير المشروط» الذي مررت به في العالم الآخر، وكيف يختلف عن الحُبِّ الذي نعرفه في هذا الواقع المادي؟

ج: الحُبُّ في العالم الآخر مُختلف تماماً لأنه صافٍ في الجوهر. ليس لديه برنامج ولا توقعات، ولا يتصرّف من مُنطلق عاطفي، ولا يتفاعل على نحو مُختلف اعتماداً على أفعال الشخص أو مشاعره. إنه كذلك.

س: هل تشعرين أنه من المُمكن أن تُولد تلك الحالة من الحُبِّ غير المشروط هنا في هذا العالم المادي؟

ج: كلُّ منا، في جوهرنا، كائن نقّي مُسبقاً وهو حُبٌّ غير مشروط. ربّما، عندما نُعبّر عن ذلك هنا في العالم المادي، نقوم بترشيحه وتصفيته من خلال تفكيرنا، ثمّ يعكس نفسه كمشاعر إنسانية.

أفضل استعارة أفكّر بها كي أوضح هذا، هو مثال الضوء الأبيض الذي يمرُّ من خلال الموشور. الحُبُّ غير المشروط مثل الضوء الأبيض الصافي، عندما تُضيء به من خلال الموشور، ينعكس بعد الموشور على شكل جميع ألوان قوس قزح المُختلفة. هذا يُمثل عواطفنا: المتعة، الحُبِّ، القلق، الحسد، الشفقة، الكره،

التعاطف، وما إلى ذلك.

كلّ منا مثل الموشور، يُحوّل عاكساً الضوء الأبيض الصافي» الحُبّ «إلى كلّ ألوان قوس قزح المُختلفة، وكلّ تدريجات اللون» العواطف «نحتاجها بتساوي بين الكلّ. قليل من الناس، إن وجدوا، سيحكم أخلاقياً ضدّ اللون المُعطى. لن نقول» :أوه، ذاك اللون شرّ، «أو» ذلك اللون آثم، «بيد أننا نفعل هذا مع الأشخاص ومع تعابيرهم عن العواطف، فنرى بعض المشاعر خاطئة والأخرى صحيحة.

عندما نحكم على بعض مشاعرنا أنها سلبية ونُحاول إنكارها أو رفضها، نقمع جزءاً ممّن نكون. يخلق هذا حاجزاً داخلنا، ويمنعنا من تجربة كامل عظمتنا، مثل استخلاص ألوان مُحددة من الطيف بعد أن قامت الأحكام الأخلاقية ببتّر الضوء وجعله شيئاً ليس هو حقيقة.

لا يتوجّب علينا التصرف مع كلّ عاطفة، علينا فقط تقبّل أنها جزء منا نحن. إنّ إنكارها ونفيها سيكون مثل منع لون مُعيّن من الانكسار خلال الموشور. فقط من خلال قبول طيف مشاعرنا كاملاً دون مُحاكمة، نستطيع التواصل مع جوهر الحُبّ غير المشروط النقي الذي يكمن في أعماقنا.

س: برأيك قبل أن نتخذ شكلنا المادي، هل نحن مُسبقاً كائنات عظيمة نُدرك تماماً من نحن حقيقة؟ إذا كان كذلك، كيف يتمّ نحت عظمتنا، وهل يتضرر جوهر أنفسنا عندما نأتي إلى هذه الحياة؟

ج: سأخبرك بشعوري، ولكنني أعتقد أنّ هذا سيزيد من الأسئلة، ولن يكون إجابة! يبدو لي أنه ليس مُقدراً لنا أن ننسى من نحن، فالحياة ليس مُقدراً لها أن تكون صعبة. يبدو كأننا نحن جعلناها قاسية هنا بأفكارنا ومُعتقداتنا الموضوعة خطأً.

إنّ الفهم الداخلي الذي تلقّيته في ذلك العالم الآخر أتى كنوع من «البصمة،»

ولكن لو وضعتُ له صوتاً، فما كنتُ سأقوله داخلي في تلك الحالة: أوه، إذاً ليس من المفروض أن تكون الحياة صراعاً، بل من المفترض أن نتمتع بها ونمرح! أتمنى لو أنني علمتُ ذلك! أوه، لقد خلق جسدي السرطان بسبب كلِّ أفكاري الحمقاء، اصدار الأحكام على نفسي، المُعتقدات المحدودة، والتي سببت لي كلِّها الكثير من الاضطراب. يا فتى، لو علمتُ فقط أننا يجب أن نأتي إلى هنا ونشعر بالسعادة حيال أنفسنا وحياتنا، وأن نُعبّر عن أنفسنا فقط ونمرح معها!

هذا الجزء الآن يصعب كثيراً شرحه، ولكنني سأحاول. كان لديّ سؤال كهذا: لماذا شيء ضخم، مثل هذا السرطان الأخير، يحدث لي فقط جراء عدم إدراكي لعظمتي؟

في الوقت ذاته، لديّ هذا الفهم: أوه، لقد فهمتُ، إنه لم يحدث لي، لأنه في الحقيقة، أنا لم أكن أبداً ضحية. إنَّ السرطان هو فقط قوتي الخفية وطاقتي! لقد انقلب إلى الداخل ضدَّ جسمي، إلى حدِّ ما أكثر من الخارج.

لقد علمتُ أنّ المرض لم يكن عقوبة أو أيّ شيء من هذا. لقد كانت قوّة حياتي فقط تُعبّر عن نفسها على شكل مرض السرطان، لأنني لم أسمح لها بالظهور على شكل طاقة» أنيتا «القوية والعظيمة. كنتُ مُدركة أنه لديّ الخيار أن أعود إلى جسدي أو أمضي نحو الموت. لن يبقَ السرطان موجوداً بعد الآن، لأنّ الطاقة لم تُعد تُعبّر عن ذاتها بتلك الطريقة، بل ستظهر على شكل ذاتي اللانهائية.

عدتُ مع الفهم بأنّ الجنة حقيقة هي حالة وليست مكاناً، وقد وجدتُ النعيم قد تبعني إلى هنا إلى الأرض. أعلم أن هذا يبدو غريباً حقاً، لكنني أشعر أيضاً أنّ» منزلنا الحقيقي «هو فقط طريقة كي نكون وليس مجرد موقع. أنا الآن في هذه اللحظة أشعر أنني في منزلي، وليس لديّ رغبة في التواجد في أيّ مكان آخر. لا أشعر بالفارق الآن سواء كنتُ هنا أو في العالم الآخر. إنها أجزاء

مُختلفة فقط من تجربة ذاتنا الأكبر، المتسعة، المُطلقة، العظيمة. إنَّ منزلنا الحقيقي داخل كلِّ منا ويتبعنا حيثما ذهبنا.

س: بما أنني لم أَمُرَّ بتجربة الاقتراب من الموت بنفسي، هل هنالك طريقة كي أبنّي وأُحافظ على الثقة بقوة الحياة العجيبة التي تتحدثين عنها؟

ج: بالطبع، ليس من الضروري أن تمرَّ بتجربة الاقتراب من الموت كي تُدرك عظمتك.

لقد علمتني تجربتي أنّ أفضل طريقة لبناء الثقة والحفاظ عليها والشعور بالتواصل مع طاقة قوة الحياة الكونية تنبع من الداخل. إنها تبدأ بالحُبِّ والثقة بالنفس. كلُّما كنتُ قادرة على فعل هذا، شعرتُ بالتمركز أكثر في النسيج الكوني. كلُّما شعرنا بالترابط مع بعضنا أكثر، استطعنا مُلامسة الآخرين أكثر، وجعلهم قادرين على الشعور بالشيء ذاته.

س: أيّ جزء في شفائك ومُعالجتك فعّل إيمانك أو عقيدتك، وكيف تغيّرت مُعتقداتك منذ ذلك الحين؟

ج: بالطبع لم يكن مطلوباً الإيمان في أيّ شيء من أجل شفائي. بالأحرى، كان تعطيلاً كاملاً لكلِّ معتقداتي السابقة التي حملتها، مبادئ، تعاليمي التي سببت في شفاء جسدي لنفسه. في حالتي، كانت تجربة الاقتراب من الموت هي الحافز.

من وجهة نظري، إنّ الأفكار التي أتمسك بها بقوة تعمل في الحقيقة ضدي. كما أنّ امتلاك مُعتقدات صلبة يحدُّ من تجاربي في الحياة لأنها تبقيني مُغلقة ضمن ما أعرفه فقط، ومعرفتي في هذا العالم محدودة بما أعرفه من خلال حواسي المادية. من ناحية أُخرى، كوني مُرتاحة مع الشكوك، يجعلني مُنفتحة على كلِّ الإمكانيات، فالغموض مفتوح على مصراعيه تجاه الاحتمالات اللانهائية.

لقد أعاقَت الحاجة إلى اليقين امكانياتي تجاه ما هو غير متوقع. إحساس أنا لا أعرف، أو دعنا نرى ما يحدث، يسمح لنفسي المُتوسّعة أن تتزوّد بالإجابات

والحلول التي قد تُكتشف مُصادفةً وتكون مُتزامنة على نحو رهيب. عندما خطوتُ في عالم الغموض كنتُ حقيقةً في قمة قوتي. إنَّ الاستغناء عن كلِّ المُعتقدات السابقة، الجحود، التعاليم، المذاهب، وضع الكون المُطلق تحت تصرفي، وعمل كي يُعطيني أفضل النتائج المُمكنة في حياتي. هذا هو المكان حيث تلقيتُ الوضوح الأكبر داخلي. إنه حيث يحدث السحر.

إنَّ الاستغناء عن كلِّ الروابط السابقة هو احتضان الحرية، ويُظهر الثقة بقدرستي وعظمتي. هذا أيضاً شكل من أشكال الشفاء. عندما أُطلق الحاجة إلى الشفاء جسدياً، تُصبح الحياة أكثر حرية، كمالاً، ومنتعة.

س: هل تشعرين أن إيمانك بالمصدر كان عاملاً في شفائك؟

ج: في تجربتي، أصبحتُ الجوهر» المصدر، «وكان هناك صفاء تام. لم يكن هناك مصدر خارج وعيي المُتسع. لقد بدا وكأنني أشمل الكلية. كما سبق وذكرتُ، ولم أكن في حاجة إلى أيِّ إيمان من أجل شفائي، لأنه في تلك الحالة كان هناك وضوح كلي، وبدا كلُّ شيء مألوفاً. لقد أعطى الإيمان والعقيدة الطريق إلى «المعرفة». «بيد أنه خلال تجربتي بدا وكأنني أصبحتُ كلُّ شيء، تواجدتُ في كلِّ شيء، وكلُّ شيء تواجد داخلي، وأصبحتُ خالدةً ولا متناهية.

استيقظتُ بهذا الصفاء وفهمتُ. علمتُ أنني لو اخترتُ العودة، فسيُشفى جسدي. بسبب طبيعة رحلتي، كان إحساسي أنه في جوهرنا كلنا واحد. نأتي جميعنا من الوحدة إلى الانفصال، ثمَّ نعود إلى الكلِّ. أشعر أن تجربتي في الاقتراب من الموت كانت تلميحات عن الوحدةانية. أستطيع الإشارة إليها بكلمات «الإله»، «أو» الروح، «أو» البراهما، «أو» كل شيء، «لكنني أعتقد أنَّ الناس المُختلفين لديهم أفكار مُختلفة عما يعني هذا. أنا لا أدرك» الإلهي «على أنه كينونة مُستقلة عن نفسي أو عن أيِّ أحد آخر. بالنسبة إليَّ إنها حالة كينونة أكثر من كينونة مُستقلة. إنها تتجاوز الازدواجية، فأنا دوماً مُتحدة من الداخل

لا أتجزأ عنها. إنَّ تعبيرِي الفيزيائي هو فقط واجهة « الكلّ.»

س: هل هناك مكان حيث تتصل رغبتنا الشخصية ورغبة « الكلّ » بحيث نستطيع الوصول إلى ذلك المكان من الشفاء والقوة بحرية؟

ج: نعم، أحبُّ أن أعتقد ذلك. من المُمكن بالنسبة إلى الجميع الوصول إلى ذلك المكان من الشفاء والقوة بحرية. أعتقد أنها أساطيرنا المُتراكمة، والقصص التي كنا نُخبرها لأنفسنا أجيالاً كثيرة، هي مَنْ يمنعنا من فعل ذلك. أعتقد أن تراكم المُعتقدات هذا هو ما يُسبب الكثير من الانفصال والتنافر الذي نراه في العالم موجوداً داخل أجسادنا.

نحن نحمل هذه المواصفات الخفية التي تُبقينا مُنفصلين عن حقيقتنا، وتكون سبباً في جعلنا نعتقد أننا منفصلون عن الطاقة الكونية، فنبقى عالقين في الازدواجية، بعيداً عن مركز إبداعنا. نحن القوة غير المُزيفة، التي تقود أيضاً هذه الأساطير. بينما تنتقل قصصنا، تعكس حقيقتنا الفيزيائية ذلك الانتقال.

كي نرى هذا النوع من الشفاء أكثر تواتراً، نحتاج إلى تطوير علم أساطيرنا، وأن نُحوّل مُواصفاتنا إلى تلك التي تدعنا نُدرك أننا واحد مع الطاقة الكونية. هذا سيسمح لنا بالشعور بالاتصال مع مركزنا الإبداعي في كلِّ الأوقات، ويُسهل وجود الطاقة الإيجابية أكثر حولنا.

يحدث الشفاء عندما تتجمع وتلتقي نوايانا الشخصية المُبدعة عمداً مع طاقة قوة الحياة الكونية وتراها كوحدة.

س: هل شعرتِ بأيِّ إحساس من الحرية منذ تجربتك في الاقتراب من الموت، وإن حصل هذا، كيف تصفينه؟

ج: أشعر بالتححرر. أشعر أن تجربتي في الاقتراب من الموت لم تُحررني فقط من مفاهيمي التي حملتها مُسبقاً، المُعتقدات، الأفكار، ولكنها أيضاً حررتني من الحاجة إلى البحث عن أمور كهذه من جديد.

يبدو لي أننا نبحث ونتمسك بهذه المعتقدات، لأنها تجلب إلينا الطمأنينة في الأوقات المضطربة. نحن عرضة لأن نُصبح خاضعين لها، ونحتاج أن تكون صادقة كي نختبر راحة اليقين. أشعر أننا كلما رسخنا معتقداتنا حول الطبيعة المحدودة للحقيقة، أصبحنا حقاً نُخلد ماذا يقولون.

لقد أعطتني تجربتي لمحة عما يبدو التحرر من الحاجة إلى اليقين الجسدي والنفسي. بعبارة أخرى، كان مُمكنًا بالنسبة إليّ أن أشعر بالكمال حتى في ظلّ الغموض. إنّ الحفاظ على هذا المستوى من التحرر العقلي هو الحرية الحقيقية بالنسبة إليّ.

س: هل تعتقدين أنك كنتِ ستختارين العودة إلى هذه الحياة لو عرفتِ أنّ سوء صحتك سيستمر؟

ج: بسبب حالة الصفاء التي كنتُ فيها، أظنّ أنني سأعود مع الفهم لماذا شعرتُ بالانجذاب إلى العودة والتعبير من خلال جسد مريض، ومع الأمل أنّ المعرفة ستُلغى أو تُنقص من مُعاناتي الداخلية، حتى ولم يتلاشى المرض البدني. كان من المُمكن الشعور بالهدف من امتلاك حياة مع جسد عليل. أعتقد أنّ كلّ شخص لديه هدف، بغضّ النظر عن وضعه البدني.

س: تأتي رسالتك بصوت عالٍ وواضح أننا يجب أن نكون نحن! لكن ماذا عن المُجرمين والقتلة؟ هل يجب أن يكونوا من هم عليه الآن؟ بالإضافة إلى ذلك، قلتِ أنه لا يُوجد أحكام في الطرف الآخر. هل هذا يعني أننا يُمكن أن نفلت بالجريمة؟!

ج: ليس هناك حتماً إدانة في ذلك العالم، لأنه لا يُوجد ما يُدان، نحن كلنا شعور نقي.

لا يُحبُّ الكثير من الناس أن يسمع أنه لا يُوجد مُحاكمة بعد أن نموت. من المُريح الاعتقاد أنّ الناس سيُحاسبون على أخطائهم، بيد أنّ العقوبة، المُكافأة،

الإدانة، وأمثال ذلك شيء» هنا «وليس» هناك. «من أجل ذلك، لدينا قوانين، قواعد، وأنظمة.

من ناحية أخرى، هناك وضوح تامّ بشأن لماذا نحن على ما نحن عليه، ولماذا نفعل أيّ شيء فعله، بغضّ النظر عن مدى لا أخلاقيته في الحياة. أعتقد أنّ أولئك الذين يؤذون الآخرين يقومون بذلك فقط من أُلهم، ومن إحساسهم بالتقيّد والانفصال. إنّ ارتكاب أفعال رديئة مثل الاغتصاب والقتل تجعلهم بعيدين تماماً عن لمحات عظمتهم.

أتصوّر أنهم تعساء بشدة دواخلهم حتى يُسببوا الكثير من الألم للآخرين، لذلك في الواقع، يحتاجون أقصى الشفقة، وليس المُحاكمة والمُعاناة الأكبر في الآخرة.

أنا فعلاً لا أعتقد أنّ المُجرمين والقتلة هم» قتلة ومجرمون. «أعتقد أننا نتجه إلى التدمير فقط عندما نفقد طريقنا وندجرف بعيداً عن معرفة حقيقة مَنْ نحن فعلياً. لقد فقد المجرمون مركزهم، وما يقومون به نحو الآخرين ما هو إلا انعكاس لما يشعرون به داخلهم حول أنفسهم. نُحبُّ أن نُفكّر بمنطق الجناة والضحايا، ومنطق» هم «و» نحن «، مع أنه لا يُوجد» هم «كلّهم» نحن» !

إنّ القاتل السّفاح مريض، مثل الشخص المُصاب بالسرطان. إذا كان لدينا المزيد من القتلة في العالم اليوم، فهذا يعني أنه لدينا مُجتمع مريض. إنّ احتجازهم له فوائد على المدى القصير، تماماً مثل علاج عوارض السرطان. من المُحتمل، لو لم نُحوّل ونتجاوز القضايا الجوهرية داخل المُجتمع، أن تتفاقم المُشكلة، ممّا يتطلّب منا بناء المزيد من السجون وزيادة الضغط على النظم القضائية. إنّ الجناة أكثر من مُجرّد ضحايا ظروفهم. إنهم العوارض الجسدية للقضايا الكامنة فينا نحن ككل.

أنا لا أتغاضى عن أفعالهم. أنا أحاول فقط القول إنّ معرفة عظمتي الخاصة قد غيرتني. أعتقد لو كان كلّ شخص قادراً على التواصل مع حقيقتهم ومعرفة عظمتهم، فلن يختاروا الإيذاء. الشخص السعيد والمُحِبّ الذي يشعر أنه غير منفصل عن الوجدانية يعلم أنه بإيذاء الآخرين يُؤذي نفسه.

س: هل تقولين إنّ المُجرم» ولنقل القاتل «سيذهب إلى المكان نفسه ويبقى دون مُحاسبة كالقديسين؟

ج: نعم، هذا ما أقوله.

في تلك الحالة، نحن نفهم أن كلّ ما قمنا به، مهما كان يبدو سلبياً، قد أتى فعلياً من الخوف، الألم، ووجّهات النظر المحدودة. هناك الكثير ممّا نقوم أو نشعر به لأننا لا نملك طريقة أخرى. على أيّ حال، عندما نكون في العالم الآخر، تُصبح قيودنا المادية واضحة بالنسبة إلينا، ونُصبح قادرين على فهم لماذا قمنا بأشياء مُعينة، ونشعر فقط بالشفقة.

يبدو كأنّ أولئك الذين نُصنفهم على أنهم» جناة «هم أيضاً ضحايا بسبب قيودهم، ألمهم، خوفهم. عندما ندرك هذا، نشعر فقط بالاتصال مع كلّ شيء ومع الجميع. لقد فهمتُ أننا في العالم الآخر كلنا واحد، وكلنا مُتساوون.

لو عرف الجميع هذا، لما احتجنا إلى القوانين والسجون. بيد أننا هنا لا نفهم ذلك، ونُفكر بأسلوب» نحن «و» هم «، ممّا يجعلنا نعمل من مُنطلق الخوف، وبناء على ذلك، لدينا مُحكمة، قوانين، سجون، وعقوبة. في هذا العالم وفي هذا الوقت، نحتاجهم من أجل حمايتنا الشخصية، ولكن من الناحية الأخرى، لا يُوجد شيء كالعقوبة، لأننا عندما نتواجد هناك، نُصبح مُدركين أننا جميعاً مُترابطون.

س: لو كنا نخلق واقعنا، هل تعتقدين أنّ الناس ستُعاقب على ما تفعله من خلال قانون» الكارما «السببنتيجة»؟

ج: كما ذكرتُ سابقاً، لا يُوجد عقوبة في تجربة الاقتراب من الموت. لقد رأيتُ «الكارما» على أنها مفهوم توازن أكثر من أن تكون السبب والنتيجة. على سبيل المثال، ما كنتُ لأستخدم عبارة «الكارما السيئة»، «لأنني لا أؤمن أن هناك شيء كهذا. أنا أعتقد ببساطة أننا نحتاج إلى كل نواحي الحياة كي نخلق الكلّ.

كما أنني لا أُصدّق أيضاً بعد الآن أننا نعيش حياتنا بالتتابع مع الوقت الخطي، الذي هو إطار يمتلكه الكثير عن أفكارهم حول «الكارما». «هذا ما ترعرعتُ وأنا أعتقد به أيضاً.

على أيّ حال، في تجربة الاقتراب من الموت، أدركتُ أن كل لحظة في حياتنا: الماضي، الحاضر، المُستقبل، المعروف، غير المعروف، وما فوق معرفة البشر، كلها تتواجد في آن معاً، كما لو أننا خارج ما ندعوه الوقت. أدركتُ أنني كنتُ كل شيء أحاول القيام به، وأعتقد أن ذلك أمرٌ حقيقي بالنسبة إلى الجميع. كل الأشياء التي تُميّزها على أنها إيجابية، سلبية، جيدة، أو سيئة هي ببساطة أجزاء من الكلّ المُتوازن الكامل.

س: لقد سمعتُ الناس يتحدثون عن أهمية التسامح، هل وجدتِ أن عليك القيام بالكثير من التسامح في العالم الآخر؟

ج: في حالة تجربة الاقتراب من الموت، من الواضح تماماً أن مفهوم التسامح بمُجملة يأخذ معنى مُختلفاً تماماً. أدركتُ أنها نفسي التي لم أُسامحها، وليس الآخرين. لم يكن هناك مُحاكمة سلبية لأيّ شيء قمتُ به خطأ كما يبدو، شعرتُ بالتفهم فقط لما قمتُ به.

أدركتُ أيضاً أنه داخل ذلك العالم المُطلق، لا تُوجد أحكام، ولا حاجة لأن أُسامح نفسي أو أيّ أحد آخر. كلنا كاملون، وأطفال رائعون للكون، وقد وُجدنا من الحُبّ النقي. إنَّ الحُبّ غير المشروط هو حقنا الموروث، وليس الحُكم أو الإدانة، ولا نحتاج إلى فعل أيّ شيء كي نستحق ذلك. هذا هو ما نحن ومَن نحن

تُولد الحاجة إلى الصفح والمُسامحة من رؤية الأشياء السيئة والجيدة، ولكن عندما لا يُوجد مُحَاكمة، لن نجد شيئاً نصفح أو نَعفو عنه. ضمن النسيج الكوني نحن نُبدع كلّ الأفكار، الكلمات، الأعمال الضرورية من أجل إبداع الكلّ العظيم المُطلق. مثل طيف الضوء الذي ذكرته سابقاً، كلّ الألوان ضرورية من أجل التباين وجلب الحياة إلى الوجود. ما الذي قد نصفح عنه؟

في هذه النقطة، استبدلتُ التسامح مع التعاطف، الحُبّ غير المشروط، الشفقة تجاه نفسي وتجاه الآخرين. بدلاً من اصدار الأحكام، وخلق الحاجة إلى المُسامحة، لديّ الآن الاهتمام فقط والاحترام الكبير تجاه الدور مُتعدد الجوانب الذي يلعبه كلّ منا في كينونة الخليقة.

س: ألا يجعل حُبّ الذات الناس أنانيين ومغرورين؟

ج: عندما نفهم أنّ كلّ منا في قلب الكون المُطلق، يُصبح تَمركزنا في الكلّ أعلى وأعظم، ونرى القيمة في حُبّ الذات. لا يُمكننا تقديم ما لا نملكه.

لقد علّموني في ثقافتني أن أضع الآخرين أولاً ثمّ نفسي في الآخر، أو لا أضعها في الاعتبار أبداً. لم أتعلّم أن أُحبّ نفسي أو أُقدّر مَنْ وماذا أنا، وكانت النتيجة، أنه لديّ القليل مما أُقدّمه إلى الآخرين. فقط عندما نملأ كأسنا الخاص بتقدير واحترام ذواتنا، يُصبح لدينا شيء نُقدّمه. فقط عندما نُحِبُّ أنفسنا بلا شروط، ونتقبّل أنفسنا كمخلوقات عظيمة مع الكثير من الاحترام والشفقة، يُمكن أن نأمل بتقديم الشيء ذاته إلى أيّ شخص آخر. يأتي تدليل النفس أولاً، ويكون الاهتمام بالآخرين هو النتيجة الحتمية.

تأتي الأنانية من حُبّ الذات القليل جداً، وليس الكثير منه، في محاولة لتعويض النقص لدينا. ليس هناك شيء مثل الاهتمام بالنفس كثيراً، تماماً كما لا يُوجد شيء مثل المودة الأصيلة تجاه الآخرين. يُعاني عالمنا من القليل جداً من

حُبّ الذات والكثير من اصدار الأحكام، انعدام الأمن، الخوف، عدم الثقة. لو اهتممنا جميعاً بأنفسنا أكثر، ستختفي معظم هذه العلل.

أن أقول» أنا أحبك «عندما لا يكون لدي شعور مُماثل تجاه نفسي، فهذا القول مُزيف، وغير حقيقي. إنَّ العاطفة تجاه الذات والآخرين هو الأمر نفسه، فنحن جميعاً واحد، وكلُّنا مُترابطون. إنَّ وعينا لألوهيتنا الخاصة يُساعدنا على رؤية روعتنا واستحقاقنا للحُبِّ دون شروط. عندما نفهم هذا ذات مرة، ونُقدِّم الشيء ذاته إلى الجميع، يُصبح الأمر أسهل بكثير.

س: مُعظم الناس على الطريق الروحي يعتقدون أنَّ الأنا المُزيفة تُعيق النمو الروحي، وأنه علينا أن نُسقط الأنا. لماذا لا تدعين إلى هذا؟

ج: لأنك إذا أنكرت الأنا، فإنها ستصدِّك بقسوة أكثر. كلُّما رفضتَ شيئاً ما، كافح أكثر من أجل بقائه. بيد أنك عندما تستطيع أن تُحبَّ أنك كلياً دون قيد أو شرط، وتتقبلها كجزء من كيفية تعبيرك في هذه الحياة، فلن تبقى المُشكلة معها. إنها لن تُعرقل نموك، بل على العكس من ذلك، ستكون شيئاً ثميناً.

لقد وُلدنا جميعاً مع الأنا، وهي جزء طبيعي من ماهيتنا هنا، ولا نُصبح دونها تماماً إلا في حال الوفاة. يخلق القتال ضد الأنا أثناء الحياة المزيد من الأحكام الذاتية فقط. بالإضافة إلى ذلك، عندما نُحبَّ الأنا لدينا دون قيد أو شرط نستطيع قبول الجميع. هنا يتوقَّف الأمر عن كونه قضية، ويُسعُّ تواضعك، روعتك، عظمتك حقيقة من خلال ذلك.

س: ما رأيك في الخدمة وخدمة الآخرين؟

ج: عندما تأتي الخدمة من مركز وجودنا، تكون الشكل الأعلى من حُبِّ الذات. نحن نعرف أنَّ هذا هو الحال عندما نشعر بالفرح أثناء خدمتهم. بل نشعر حتى بالخفة والمرح! هذا يرتقي بكلينا على حدِّ سواء نحن والمُتلقي ويُساعد على رفع تقدير الذات عند المُتلقي.

لو كُنَّا نُؤدِّي الأمر انطلاقاً من الالتزام أو الشعور بالواجب، فسيكون خطيراً وثقيلاً، ويُمكن أن يكون هدرًا للطاقة، ولن يعود علينا بأيّ خير، ولن يكون بتلك العظمة بالنسبة إلى المُتلقي أيضاً، لا سيما إذا كان يشعر أننا نتصرّف بدافع من الالتزام، فقد يجعله ذلك يشعر بالازدراء وانعدام القيمة.

بالإضافة إلى ذلك، عندما يأتي شيء من مركز كينونتنا، لا يعود عملاً، بل يُصبح ما نحن عليه، ولا نحتاج إلى التفكير في ذلك أو العمل عليه، بل نُصبح أداة للخدمة كي نظهر على هذا الكوكب. هذا هو الفارق بين الكينونة في الخدمة وأداء الخدمة.

هذا المستوى المُتصل يأتي مع إدراك أنه لا انفصال بين الذات والكون. إنه معرفة أنّ ما أقوم به من أجل الكلّ، أفعله أيضاً من أجل النفس، والعكس بالعكس، وهذه حقاً حالة بهيجة ومُمتعة كي نكون فيها.

س: بينما أنظر حولي، يبدو لي الكثير من الحقد، النزاعات، العداة الصريح، الذي يأتي من كلّ مَنْ يُصرون على أنّ واقعهم، أو وجهة نظرهم هي الصحيحة. بيد أنّ تجربتك وتجربة الآخرين في الاقتراب من الموت تُشير إلى أنّ ما كُنَّا نعتبره واقعاً ليس أكثر أو أقلّ واقعية من نوع من أنواع الحُلم. هكذا في الأساس، يتجادل الناس حول الوهم الأكثر فعالية. هل يُمكنك تفصيل ذلك؟

ج: بإمكانني الحديث ثانية فقط عن تجربتي. بالنسبة إليّ، شعرتُ كما لو أنني عندما «مُتُّ»، «قد استيقظتُ من حُلم». ولم يبدو أنني ذهبتُ إلى أيّ مكان، بيد أنني استيقظتُ ولديّ الإدراك الحسي الفائق، والقدرة على الرؤية من كلّ الاتجاهات، والتوليف بين عناصر متعددة على نحو كامل، والتصور المُتزامن بين الحواس. حيث بإمكانني أن أرى، أسمع، أشعر، وأعرف كلّ ما يتعلق بي! كنتُ أعيش الماضي الخاص بي، والحاضر، والمُستقبل في الوقت نفسه. عرفتُ كذلك ما

يجري وراء الجدران والفضاء عندما كان الأمر يتعلّق بي، مثل صور مُحادثات الأطباء وأخي على متن الطائرة، وهكذا.

أنا أشبه بالشخص الأعمى الذي يرى لأول مرة. لم يذهب هذا الشخص إلى أيّ مكان، ولكنّ وضوح ما يبدو عليه العالم في الحقيقة» على عكس ما كان يعتقد «سيكون مُدهشاً! سيفهم فجأة أشياء مثل اللون والظل، بعد أن كانت هذه الأشياء أبعد من فهمه للفكرة.

في هذا الصدد، بالنسبة إليّ، كانت هناك المعرفة كيف أننا جميعاً مُترابطون، وكيف أشعر بالتأثير على الكون، لأنّ الكلّ داخلي. حسب ما أفهم، إذا كنتُ سعيدة، سيكون الكون سعيداً. إذا أحببتُ نفسي، سيُحبنى الجميع أيضاً وهكذا. بعد العودة، وعلى الرغم من أنني فقدتُ بعض أحاسيسي الزائدة التي امتلكتُها أثناء تجربة الاقتراب من الموت، لم يتركني الفهم، الوضوح، الشعور بالحُبّ. ارتبطتُ النقاط بالفعل، ولم أكن أستطيع أن أعود إلى التفكير بالطريقة التي اعتدتها. تخيل أن يعود الأعمى إلى فقدان بصره. في كلّ مرة يتخذ فيها طريقه في العالم، فهو يعلم كيف يبدو حقاً، حتى لو لم يرَ ذلك. هكذا شعوري الآن.

أما بالنسبة لكون هذا المدى غير حقيقي، فأنا أشعر أنّ كلّ منا قد كوّن واقعه اعتماداً على ما نعتقد أنّ الكون يُشبهه. في تلك الحالة من اليقظة، شعرتُ كما لو أنّ هذا الوجود ثلاثي الأبعاد هو مُجرّد ذروة أفكارٍ. عندما ذهبْتُ إلى العالم الآخر، استيقظتُ حقيقةً في مكان أكثر واقعية، وكان الأمر يُشبه استيقاظنا من حُلْم إلى واقعنا اليومي!

س: ماهي أفكارك حول الدين؟ ألاحظ أنك نادراً، بل لم تتحدّث أبداً عنه عند الحديث عن حياتك خلال تجربة الاقتراب من الموت.

ج: هذا لأنّ الموت يتجاوز الدين، الذي قُمنا بإنشائه من أجل مُساعدتنا على

العيش، أو مُساعدتنا في فهم الموت. عندما واجهتُ العالم الآخر، حاولتُ جعله ينسجم مع الدين، بغض النظر عن أيّ دين، ولكنه بدا فعلياً أنّ العالم الآخر يُنقص من أهمية الدين.

هنا كسبب آخر في أنني لا أتحدث حقيقة عن الدين، وهو أنّه قابل للخلاف، وهذه ليست غايتي أبداً. أنا أفضل أن أكون شمولية. لقد اختبرت كوننا الواحد، وأعلم أننا عندما نموت، سنذهب جميعاً إلى المكان نفسه. بالنسبة إليّ، لا يهمّ ما إذا كنتَ تعتقد في «يسوع»، «بوذا»، «شيفا»، أو لا أحد ممّن ذكرتهم. ما يهمّ هو كيف تشعر حيال نفسك في الوقت الراهن، لأن هذا ما يُحدد سلوكك في الحياة هنا. ليس هناك وقت إلا في اللحظة الراهنة، لذلك من المهمّ أن تكون نفسك وتعيش حقيقتك. إنّ العلماء الشغوفين الذين يعيشون روعتهم، قيمتهم بالنسبة إلى البشرية مثل قيمة قاعة مليئة بأمثال الأمّ» تيريزا.»

س: أحد البيانات الأكثر إثارة للاهتمام التي قلتها حول ما فهمته من تجربتك له آثار عميقة، مُتعددة الأوجه، وبعيدة المدى. أنا أرى على نحو مُختلف أننا نتمكّن من تغيير تجاربنا الماضية على نحو فعّال لحظة بلحظة بينما تتكشف حياتنا في المستقبل. هل أقرأ الكثير ممّا تُعبّر عن، وهل هذا قريب ممّا تفهمين؟

ج: لقد فسرتَ ذلك تماماً كما كنتُ أعني. أشعر أنّ اللحظة الراهنة هي النقطة الوحيدة في الوقت التي لدينا من أجل خلق واقعنا. الرجاء ملاحظة أنني لم أقل عمداً «خلق مستقبلنا». «يبدو الماضي والمستقبل سلسين بالنسبة إليّ، وهكذا كنتُ قادرةً على تغيير نتائج الاختبار اعتماداً على ما إذا رجعتُ إلى حياة الأرض أملا.

أوافق على أنّ هذا أمر مهمّ بسبب مضمونه. بالنسبة إليّ، لاتزال الأمور تتكشف كلّ يوم، وقد أصبح هذا الوعي أكبر من تجربة الاقتراب من الموت في

حدّ ذاتها.

س: في تجربة الاقتراب من الموت قلتِ «: يبدأ المرض في الطاقة أولاً، ثمّ يظهر في الجسم» هل لديك أيّ إدراك عن كيفية إنجاز هذا وما الذي يحضّ المرض كي يتشكّل في المقام الأول؟

ج: خلال تجربة اقترابي من الموت، شعرتُ وكأنّ جسدي بشكله المادي لم يكن موجوداً. كنتُ مُجرّد طاقة صافية، ربّما يُمكن تفسيرها على أنها الروح. لقد كان الأمر أكبر كثيراً من الجسد، وأُحِبُّ أن أستخدم كلمة العظمة، لأنّ ذلك كان شعوري في تلك الحالة. لقد بدا وكأنّ امتلاك نفس مادية هو استدراك. كانت كتلة الطاقة اللامتناهية هذه هي أناي الحقيقية، وكان الجسد مُجرّد مقياس «باروميتر» يُظهر كم من طاقة الحياة هذه كانت» تتدفق خلال «أو يتمّ التعبير عنها. شعرتُ وكأنّ الحياة في العالم الآخر كانت ثلاثية الأبعاد، وأنّ كتلة طاقتي هي الحقيقية.

من هذا المنطلق، أشعر أنه عندما نقول أنّ أناساً لهم مُستوى «ترددات» أعلى، فرّبّما نقصد أنهم يسمحون للمزيد من عظمتهم وروعتهم الأصلية أن تعبر وتتدفق من خلالهم، ولذلك، فإنّ قراءة» الباروميتر «الخاص بهم عالية فعلاً! بناء على ذلك، فإنّ طاقتهم الإيجابية ووجودهم الفيزيائي قوي. على كلّ الأحوال، لم يبدُ في ذلك العالم أنّ أحداً أقوى أو أضعف، فالكُلّ كان رائعاً. بيد أنّ المقدار أو الكمية التي تظهر من خلال أجسادنا في هذا البعد هو خيارنا.

س: هل تقصدين أنّ قوة شفائك قد أتت إليك داخلياً وليس من مصدر خارجي؟

ج: لم يكن داخلياً ولا خارجياً، أو أستطيع أن أقول كلاهما. ما إن توقفتُ عن التعبير انطلاقاً من حالة الازدواجية، حتى أدركتُ أنه لا يوجد تفريق بين الداخل والخارج. لقد أصبحتُ مصدر كلّ الأشياء، وأصبح المصدر أنا. إذا كنتُ

تُشير إلى أنه هل أعتقد أنّ» أناي المزيفة «أو الذات الفيزيائية كانت وراء شفائي، فالجواب لا. لقد انبثق التعبير من خلال ذاتي اللانهائية، وعلمي أنني لست مُنفصلة عن المصدر أو عن أيّ شيء.

س: ما رأيك بأنماط وأساليب العلاج المُختلفة، الغربية والشرقية؟

ج: أعتقد أنّ الكثير من أنماط العلاج ونماذجه مُفيدة، وأودُّ أن أوضح أيضاً أنني لا أعتقد أنه من الضروري المرور بتجربة الاقتراب من الموت كي يتمّ الشفاء.

قبل تجربة اقترابي من الموت، كلّ ما فعلته كان ينبع من الخوف، حتى عندما كان الأمر يتعلّق الأمر بالتشافي. كانت بنيتي النفسية تسعى إلى تلك الأشياء لأنني كنتُ خائفة من تبعاته عند القيام به.

بيد أنه عندما يذهب الخوف، ونأتي من مُنطلق الثقة، تأخذ نماذج العلاج فرصاً أكثر للنجاح. خلال رحلتي القصيرة إلى» الهند، «تحسّنت صحتي لأنني كنتُ بعيدة عن جوّ الخوف. لقد كنتُ في ثقافة تدعم منظوراً عن السرطان مُختلفاً تماماً وأكثر إيجابية. في» هونغ كونغ «ذات السمة الغربية، كان مُعظم الذين قابلتهم عندهم خوف كبير من السرطان ومرروا ذلك إليّ. إلا أنه في» الهند، «حصلتُ على منظور مُختلف، أعطاني الأمل، وقد وضعتُ ثقتي فيه، وشعرتُ بآثار الشفاء على صحتي بسرعة كبيرة.

س: قلتِ أنّ سرطانك بدا وكأنه يتعافى عندما ذهبتِ إلى» الهند» ومارستِ علاجات» الأيروفيدا، «إلا أنه عندما عدتِ إلى» هونغ كونغ، «عاد المرض. هل لديك أيّ أفكار حول لماذا بدا السرطان وكأنه اختفي في» الهند، «ثمّ عاد في» هونغ كونغ «؟

سأكرر كلامي، أعتقد أنّ» الأيروفيدا «ناسبتني في» الهند «لأنه لم يكن هناك أيّ صراع. كان كلّ من حولي يؤمن بالشيء نفسه، وما كنتُ أقوم به كان منطقياً

عند الجميع .لم أكن مُرتبكة .شعرتُ للمرة الأولى أنني على الطريق الصحيحة. كان هناك أيضاً الكثير من الدعم من أطباء» الأيروفيدا ،«والزُّهاد في الزوايا، وغيرهم الذين دعموني جميعهم بالطريقة نفسها.

كانت الخيارات هنا في» هونغ كونغ ،«لا تنتهي، فهي مدينة مُتعددة الثقافات، وكانت كلُّ طرق العلاج المُختلفة تتعارض مع بعضها !لم يكن العلاج الغربي التقليدي خيارى الأول أبداً، إلا أنه لو لم يتمَّ حربي تجاه طرائق أُخرى لكنّْتُ اخترته .من وجهة نظري الشخصية، كان ذلك آخر ما أردتُه.

أعتقد أنني لو وُلدتُ وترعرعتُ في قلب» الصين ،«فإنَّ العلاج الصيني التقليدي سينجح معي أيضاً، بل رُبَّما لا أُصاب بالمرض من أساسه !هل تعلم أنه في الثقافة الصينية، غالباً ما يُكنى السرطان على أنه» مرض أبناء الغرب «؟ هل تعلم أنّ نسبة حدوث السرطان في» الصين «و» اليابان «وحتى في» الهند ،«أقلُّ بكثير منه في الدول الغربية؟

يعتقد بعض الناس أنّ الأمر بسبب الغذاء، إلا أنني أعتقد أنّ هذا جزء من الموضوع فقط .إنَّ الأمر الآخر والعامل الأهمُّ رُبَّما هو طريقة التفكير، وإيمان الغرب بالسرطان، والخوف منه، وحمّلات» التوعية «المُستمرة !يُركِّز الطبُّ الغربي الاعتيادي على الكشف عن السرطان، وتعتمد مُعظم تقنياته على استكشاف المرض بدلاً من أن تُعزز السلامة الفيزيائية العامة والتوازن.

س :ما الاختلافات التي لاحظتها بين طرق العلاج الشرقية والغربية؟
لقد جعلت المُراوحة بين الطريقتين حالتي النفسية تُراوح بين الخوف والأمل.

ركز الأطباء الغربيون على السرطان فقط، وجعلوني أشعر وكأنَّ شيئاً خارجياً يُهاجم جسدي ويجب التخلُّص منه .بكلمات أُخرى، السرطان هو العدو ويجب أن نُهاجمه .كان تشخيصهم دائماً يُدخل الخوف في النفس.

أما الأطباء الشرقيون من اتجاهي «الأروفيديا» والطب الصيني التقليدي، فقد نظروا إلى سلامتي على نحو كُليّ. لقد رأوا مرضي على أنه طريقة جسدي في الشفاء من اختلال توازنه، وليس الفيزيائي فقط، ولكن العاطفي والفكري أيضاً، ورأوا أنّ السرطان حليفي. هذه الأساليب كانت مُريحة، وأعطتني أملاً أكثر.

بعد تجربة اقترابي من الموت، أصبح من الأسهل عليّ أن أرى كيف أنّ السرطان في حدّ ذاته لم يكن العدو أو المرض، وعرفتُ ما كان يُحاول أن يُخبرني به، وفي حالتي، كان بالفعل الطريقة التي يُحاول فيها جسدي شفائي. بالنسبة إليّ، فإنّ النظر إلى السرطان على أنه عدو يجب إبادته لم يُخلصني من المشاكل الأساسية التي سببته في المقام الأول. لقد تمّ تناول شيء أعمق خلال تجربة اقترابي من الموت، مما حفّز على اختفاء خلايا السرطان.

س: يبدو كأنك تقولين إنّ مناهج الشفاء كلّها تركز على الثقافات، ولا يُوجد تفوّق جوهري لأحدها على الآخر عندما يصل الأمر إلى السرطان. هل أفهمك على نحو صحيح؟

ج: نعم. هذا هو أساساً ما أقوله، بناءً على تجربتي. تذكّر أنه من وجهة نظري، فإنّ الكثير من الأمراض المُعاصرة هي في الحقيقة أمراض فكرية وروحية تظهر في الجسد، والعلاج الذي يتناول التفكير والروح يمتلك فرصة في إحداث تغيير مؤثر أكبر من منهج العلاج الذي يتعامل مع الجسد فقط. إنّ أيّ طريقة مدعومة بكلّ إخلاص من الثقافة المُحيطة ستكون أكثر تأثيراً من تلك غير المدعومة، خصيصاً عندما تكون تلك الطريقة تُخاطب تفكير المريض وروحه.

س: منذ تجربتك الخاصة، ما أفكارك حول السرطان والدواء؟ هل تعتقدين أننا نقرب أكثر من العثور على علاج للسرطان؟

ج: من وجهة نظر شخصية، وببساطة بسبب تجربتي الخاصة، أعتقد أنّ حالات مُعينة مثل حالتي هي مرض خاص بالتفكير والروح، وليس بالجسد،

والظهور الفيزيائي ما هو إلا عرض لشيء أكثر عمقاً. لا أؤمن أنّ علاج هذه الحالات يكمن في الأدوية، لأنّ العلماء يبحثون في كلّ الأماكن الخاطئة، فهم يدرسون فقط العوارض وليس السبب، ثمّ يصنعون العقاقير لإخفاء الأعراض. قد يتمكنوا من إدارة الأعراض، إلا أنني لا أعتقد أنهم سيعثرون على «علاج.»

بناءً على ما فهمته من مرضي الشخصي وتجربة اقترابي من الموت، يبدو لي كأنّ هناك حقل غني جداً من الاستفسارات التي تُحيط بالمرض. إلا أنني مع الأسف لم أرَ أيّ بحث حقيقي مُموّل على نحو جيد لما أراه أنه الأسباب السرطان الحقيقية، بينما تُنفق بلايين الدولارات على طرق تعتمد على العقاقير. لطالما تساءلتُ هل من الأسهل صناعة المال من بيع الأدوية أم من خلال دعم إحساس البشر بروعتهم وعظمتهم!

أنا أعتقد أنّ سرطاني كان مُرتبطاً بهويتي الشخصية، وقد بدا الأمر وكأنه طريقة جسدي كي يُخبرني أنّ روعي حزينه من أجل فقدانها قيمتها، وهويتها. لو علمت حقيقة مَنْ أكون، لما أُصبتُ بالسرطان!

س: ما رأيكِ بالمال من منظور جهة الحياة الآخرة؟ يعتقد البعض أنّ المال هو مصدر الكثير من المشاكل والشورور في هذا العالم، ما رأيكِ؟

ج: ليس للمال في حدّ ذاته أيّ قوة إلا ما نختار نحن أن نعطيه إياها، والأمر نفسه يخصّ كلّ شيء في هذا البُعد. أيّ شيء يُمكن استخدامه في الخير أو الشرّ، إلا أنه في حدّ ذاته حيادي، وفي يدنا الخيار أن نُعطيه القوة. نحن نضع مُحاكمتنا الإيجابية والسلبية على المال، الدين، العرق، وهكذا، ونصنع مُعتقدات مُحددة حولها، ونُعطيها شحنة عاطفية، ثمّ يُصبح لديك وضع يجعل الناس يُصبحون إمّا أقوى، أو يُقاتلون من أجل الدفاع.

أنا لا أقول إنّ هذا أمر سيء، بل ربّما يكون أمراً رئيساً من أجل الوجود في هذا العالم. نعيش فيما يبدو عالم ازدواجية ظاهرة، نُقرر فيه على الدوام ما هو

سيءٌ وما هو جيد، الإيجابي والسلبي. لدينا عواطف نضعها في مُعتقدات، بما في ذلك العواطف المُتعلقة بالمال. لقد كان من المُمكن أن نُعطي الشحنات العاطفية تلك إلى شيء آخر، أو سلعة أُخرى، أو نظام تبادل، وسيحمل هذا القوة نفسها التي يحملها المال الآن.

إلا أن الموت يتجاوز الثنائية، ويتجاوز الدين والعرق والثقافة وكل قيمنا ومُعتقداتنا. نحن لسنا أيّ من تلك الأشياء، بيد إننا بالكاد نُعبّر من خلالها في هذا الوقت. نحن شيء أعظم من هذا بكثير.

س: يُريد الكثيرون ممّن يودّون شفاء أنفسهم أن يعلموا كيف يُمكنهم أن يقوموا بأشياء مثل «الثقة بشفائك الذاتي»، «ترك الأمور تمضي تلقائياً والسماح للشفاء»، «الوصول إلى مكانك في الشفاء». هل يُمكن استخدام هذه العبارات المُبتذلة من الشخص العادي؟ يحتاج الناس الذين يُريدون شفاء أجسادهم أن يعرفوا كيف يفعلون مثل تلك الأشياء عملياً.

ج: لا أحبُّ أن أُدافع عن منهاج أو تعليمات أو أيّ شيء نحو ذلك، لأنني لو فعلتُ، فإنني أصنع عقيدة جديدة فقط، والنقطة الرئيسة هي التحرر من كل ذلك. أنا أقترح ألا ننظر إلى المرض أو أعراضه على أنها شيء يجب التخلّص منه «وعلى أنه عدو». هذا رد فعل مبني على الخوف. بالنسبة إليّ، فإنّ ظهور هذه الأعراض هو طريقة جسدي وهو يُحاول شفائي. أعلم أنه لو حاولتُ إزالة المرض بطريقة عدائية، فسيؤول بي الأمر إلى العكس، وسأثير العداوة فيه وأضع نفسي ضمناً أعمق في حالة التفكير المرضية.

هذا لا يعني بالضرورة ألا تذهب إلى الطبيب. أنا أُشير على نحو مُجرد إلى الطريقة التي أرى فيها المرض وظهوره الفيزيائي على الجسد. الفكرة هي ألا تقلق، وألا تجعل أيامك تدور حول هدف وحيد هو التخلّص من المرض. في الواقع تحصل على نتائج أفضل بكثير عندما تُلهي نفسك وتبقى مشغولاً

بنشاطات تُحقِّقك على نحو إيجابي وخلق.

قدر استطاعتي، سأحاول تحرير نفسي من الحاجة إلى أن تكون صحتي في وضع مُعيّن كي أجد السعادة، سأصنع فقط السعادة في اللحظة وكأنني أصبحت مُعافاة. إنّ العيش في الحاضر يعني عدم حمل أيّ أمتعة عاطفية من جزء من الزمن إلى الجزء الذي يليه. كلّ لحظة فريدة ولا يُمكن تكرارها. إنه خيارنا أن نحمل مخاوفنا معنا، وأن نعلق في المرض.

لا يجب أن تكون أستاذاً روحانياً أو أيّ شيء. فقط قُمْ باستثمار كلّ دقيقة، عِشها بكلّ أبعادها، واصنع ما يُسعدك، سواءً كان لديك شهراً تعيشه أو مئة عام.

س: إنّ النظريات مُشوِّقة، ماذا عن نصيحة عملية؟ كيف تُحافظين على صحة جيدة الآن، ماذا تأكلين وماذا تتجنبين في حمية غذائك؟

ج: حسناً، لقد تغيّرت حميتي منذ تجربة الاقتراب من الموت، إلا أن الأمر ليس بالطريقة التي تتخيلها! لقد كنتُ قبل مرضي مهووسة بما آكل، وكنتُ نباتية صارمة، وأتناول الطعام العضوي فقط، وأتبع نظام «الماكروبيوتك»، وأتناول الفيتامينات، وعصير القمح. كنتُ أعتقد أنّ كلّ شيء يُسبب السرطان، من تسخين الطعام بجهاز «المايكروويف» إلى المواد الحافظة. كنت آكل على نحو صحيّ، إلا أنني فعلتُ ذلك من خوفي.

الآن أنا آكل ما أشتهيه. أستمتع بالشوكولاتة والمشروبات الجيدة بحسب رغبتني من وقت لآخر. المهمّ أن أحرص على أن أمضي وقتاً جميلاً مع الطعام والحياة! أعتقد أنه من المهمّ أن نكون سعداء أكثر من أيّ شيء آخر.

ليس مُمتعاً ألا تأكل كلّما يُدعى «الطعام الجيد» خوفاً من أن تمرض وتشقى بذلك، إذ أنّ القلق يُسبب مجموعة مُختلفة من المشاكل. في الواقع، أجسادنا مرنة أكثر ممّا نظنّ، خصوصاً عندما نكون سعداء وغير مضغوطين.

عندما أختار أن آكل طعاماً صحيحاً، أفعل ذلك بدافع من الحُبِّ بدلاً من الخوف. هذا هو أسلوبِي في كلِّ نواحي الحياة، وأدعوك كي تعيش بالطريقة نفسها.

س: لو كان هناك رسالة أو درس من تجربة الاقتراب من الموت التي مررتِ بها ترغبين أن يعلمها كلُّ الناس ويفهموها، شيء تتمنين لو تصرخين به من أسطح المباني، ماذا سيكون؟

ج: أريدك أن تعلم أنّ كل جزء منك رائع وعظيم، أنك المزيفة، تفكيرك، جسدك، روحك. إنها مَنْ تكون: نتاج جميل من خلق هذا الكون. كلُّ وجه فيك رائع. لا شيء يجب أن يُترك كي يمضي، ولا شيء نُسامحه، ولا شيء نُحققه. أنت سلفاً كلُّ ما تحتاج أن تكونه. قد يبدو الأمر في غاية التعقيد، إلا أنه ليس كذلك. لو جعلتك الديانة تشعر أنك أقلّ من معبوداتك، فإمّا أنك أسأت فهمها، أو أنها لم تُفلح في تعليمك الحقيقة. لو جعلك المُعلّم تشعر أنك لست مُستنيراً «بعد»، «وأنه يجب عليك أن» تتعلّم «أكثر، و» تترك «و» تتخلى «قبل أن تصل إلى هناك، فهو لا يقوم بعمل جيد في تعليمك مَنْ تكون حقيقة، أو أنك أسأت فهمه.

ذكَر جميع المقربين منك أن يكونوا أنفسهم، وأخبرهم أنك تُحبهم كما هم! إنهم مثاليون كما أنت مثالي. لا يُوجد ما لا يُحبّ. تنبع مُعظم المُعاناة من الشعور أنك «أقل»، «مع أنك لست أقلّ من شيء أو من أحد! أنت كامل.

الشيء الوحيد الذي يجب أن تعلمه هو أنك سلفاً مَنْ تبحث أن تكونه. فقط عبّر عن تميّزك بلا خوف وبكلِّ حماسة ومرح! هذا سبب أنك صُنعت على النحو الذي أنت عليه، ومن أجل هذا أنت هنا في العالم المادي.

قبل أن أنهي، أودُّ أن أتركك مع بعض الكلمات الأخيرة. تذكّر دائماً ألا تتخلى عن قوتك وطاقتك، بل بدلاً من ذلك إتصل مع روعتك وعظمتك الخاصة. عندما يصل الأمر إلى العثور على الطريق الصحيحة، هناك جواب مُختلف بالنسبة إلى كل شخص. الحلّ الشامل الوحيد عندي هو أن تُحبّ نفسك دون شروط، وأن تكون ذاتك دون خوف! هذا هو أهمّ درس تعلمته من تجربة اقترابي من الموت. أنا أشعر بصدق أنني لو كنتُ أعلم هذا على نحو مستمر، لم أكن أبداً لأمرض بالسرطان أساساً.

عندما نكون صادقين مع أنفسنا، نُصبح أدوات الحقيقة من أجل هذا الكوكب. لأننا جميعاً مُتصلون، نلمس حياة كلِّ مَنْ هم حولنا، والذين يُؤثرون بدورهم على غيرهم. إنّ التزامنا الوحيد هو أن نكون الحُبّ الذي هو نحن، وأن نسمح لأجوبتنا كي تأتي من الداخل بالطريقة الأنسب لنا.

أخيراً، لا أستطيع التأكيد بما فيه الكفاية على أهمية أن تستمتع بنفسك، وألا تأخذ نفسك أو الحياة بجدية مُبالغ فيها. أحد أخطاء الكثير من الأنظمة الروحانية التقليدية هو أنها تجعلنا نأخذ الحياة على نحو جديّ جداً. على الرغم من أنك تعلم أنني أمقتُ صناعة العقائد، إلا أنني لو كنتُ سأصنع مجموعة من المبادئ للطريق الروحي من أجل الشفاء، فسيكون أول شيء على قائمتي هو أن تحرص على أن تضحك أكثر ما تستطيع في كلِّ يوم، ويُفضل أن تضحك على نفسك. سيكون هذا أفضل وفوق أيِّ صلاة، تأمل، إنشاد، أو إصلاح النظام الغذائي» الحمية. «لن تكون المشاكل اليومية كبيرة عندما تراها من خلال الفكاهة والحُبّ.

في عصر تقنية المعلومات الذي نعيش فيه، يتساقط علينا وابل الأخبار بسرعة الضوء. نحن نعيش في عصر الضغط العالي والخوف، وفي خضم محاولاتنا حماية أنفسنا من كل ما نتخيله» هناك «يتربص بنا، نسينا أن نستمتع بأنفسنا، ونهتّم بما هو داخلنا.

إنّ حياتنا هي صلاتنا، وهي هديتنا إلى هذا الكون، والذكريات التي نتركها خلفنا عندما نُغادر هذا العالم يوماً ستُصبح إرثاً لأحبائنا. نحن نُدين لأنفسنا ولكلّ مَنْ هم حولنا بأن نكون سعداء، وأن ننشر هذه السعادة والفرح حولنا. لو استطعنا أن نخوض الحياة مُسلحين بالفكاهة وبإدراكنا أننا الحُبّ، فسنكون أول الواصلين. أضف إلى الخلطة علبه من الشوكولاتة الجيدة وسيكون لدينا في الحقيقة وصفة ناجحة!

أتمنى أن تستمتع وأنت تُدرك روعتك وعظمتك، وتُعبّر عن نفسك دون خوف في هذا العالم.

ناماستيه) !مراجعة الاصل)

«أنيتا مورجاني»

شكر وتقدير

بالنسبة إليّ، قد يكون هذا أهمُّ جزء في الكتاب.

هنا أستطيع التعبير عن عرفاني تجاه الجميع الذين بطريقة أو بأخرى، تمموا هذا العمل كي يظهر. بعضهم شارك في ظهوره، وآخرين شاركوا على نحو غير مباشر، بيد أنهم جميعاً لعبوا دوراً رئيساً في رحلتي من هناك إلى هنا.

ماذا عساي أقول للدكتور» واينداير «؟: إنَّ سخاءكم الروحي يجعلني دائماً عاجزة اللسان، وهذا لا يحدث كثيراً! أنا أعلم أنَّ الكون تعاون على جلبنا سوياً في الوقت الملائم حتى قبل أن نُدرك ذلك. أنت جزء جوهرى في رحلتي، ولم يكن في وسعي إنجاز هذا دونك. لقد عنى لي نصحك ولطفك الكثير طوال الطريق، وليس من الغريب أنَّ العالم مُلهم بك. شكراً، شكراً، شكراً، من أعماق قلبي على فتح الباب لي كي أشارك قصتي مع العالم، وجعلك حياتي سحرية للغاية، ولكن أكثر شيء: شكراً لكونك أنت. أنا أحبُّك جداً عزيزي!

إلى صديقي المفضل وأخي الروحي» ريو كروز: «مهما قلتُ تعبيراً عن الامتنان سيبدو مُبتدلاً ولن يقترب إلى مستوى ما أشعر به حيال صداقتنا. خلال هذه السنين، كان لك تأثير تكاملي على حياتي، وكنت تُساعدني كي أتلاءم مع عالم لم يكن جاهزاً دائماً من أجل سماع ما يجب أن أشاركه. إنَّ معرفتك الواسعة في تجارب الاقتراب من الموت جلبت لي راحة هائلة، وقد جعلني دعمك المتين سليمة العقل في حين تحداني الآخرون، لا يُمكنني شكرك كفاية على ذلك. أنت صديقي المفضل والمُصدِّق من اليوم الأول حين احتاجت قصتي المُشاركة من العالم. شكراً على مُساندتك لي بلطف طوال رحلتي في هذا الكتاب، لقد شجعتني في أن تنضج ثمار هذا الكتاب. أحبُّك كثيراً، صديقي!

إلى» ميرا كيلى: «أنت روح جميلة! شكراً جزيلاً على كونك جزء من التزامن، وعلى تقديم قصتي إلى الدكتور» داير «ولفت انتباهه. لقد أنضجت أفعالك نظرية السماح حقيقة، أحبكِ!

إلى» جيسيكا كيلى، «المحرر: أشكرك كثيراً على جعل قصتي تتمتع بالحيوية على هذه الصفحات. أنا مُمتنة جداً تجاه صبرك وكونك ذكيةً وفطنةً للغاية في فهم ما كنتُ أُحاول قوله. كان العمل معكِ رائعاً. شكراً!

إلى» ريد تريسي، «شانون ليتزل، «والجميع في» هاي هاوس: «شكراً لدعمكم! أنا سعيدة جداً كوني جزء من عائلة» هاي هاوس.»

إلى د». جيفري لونغ، «مالك مؤسسة البحث في تجارب الاقتراب من الموت: شكراً على اعترافك بأهمية رسالتي، وعلى وضع تجربتي على الصفحة الرئيسة في موقعك، ولفت الانتباه إليها من العالم.

إلى د». بيتر كو: «أنا مُمتنة جداً على الاهتمام بقصيتي، وطيранك إلى» هونغ كونغ «من أجل لقائي والبحث في سجلاتي الطبية. شكراً على دأبك وعملك من أجل البحث والتنقيب في تلك الكومة الكبيرة من السجلات الطبية والملفات!

إلى د». براين والكر، «طبيب عائلتنا وصديقتها: أعلم أنني أفزعتك! شكراً على عدم استسلامك بشأني، وعلى وجودك هناك من أجلنا خلال تلك الأيام العصيبة.

إلى الفريق الرائع من الأطباء والمُهتمين في مصحة» هونغ كونغ «والذين رأوني أثناء ساعاتي المظلمة: شكراً على سماحكم للكون أن يقوم بعمله من خلال أيديكم.

إلى عائلتي الرائعة في مؤسسة الأبحاث في تجربة الاقتراب من الموت: لقد كنتم جمهوري، عائلتي، أصدقائي، خلال السنوات الخمس الأخيرة. شكراً لك «دايفشيلر»، «لوكاستيلور»، «مارك سويني»، «أليسون برور»، «بايلي سترس»،

«كلوي سوليس»، «دايفماسويري»، «دون أوكونر»، «واين هارت»، «كارلا دوبل»، «لورين». «لم أكن لأنجو من هذه الرحلة دونكم جميعاً، إذزودتموني بالمجموعة حيث شعرتُ أنني أنتمي، ومنحتموني الكثير من الضحكات في طريقي. أنا أحبكم كلكم حقيقة!

أخيراً، إلى عائلتي الجميلة، أخي» أنوب «الذي يعني لي العالم بأسره، وعائلته» منى «و» شاهن، «أمي العزيزة، التي لم يكن حبها لي مُتذبذباً أبداً ولا مشروطاً. أحبُّك أمي العزيزة، وآسفة لأنك مررتِ بسببي خلال الكثير من الأم. أخيراً وليس آخراً، إلى زوجي العزيز: أنت نعمة كبيرة كونك في حياتي، أنا واثقة أنك تعلم دائماً كم أحبُّك. أنا أؤمن عالياً ما لدينا من كل قلبي، وآمل أن نكون سوياً في كل حياتنا. أحبُّك، عزيزي.

ملحة عن الكاتبة

وُلدت « أنيتا مورجاني «في» سنغافورة «من أبوين هنديين، وانتقلت إلى «هونغ كونغ «في الثانية من عمرها، وعاشت مُعظم حياتها في» هونغ كونغ.» بسبب خلفيتها وثقافتها البريطانية، فإنها مُتعددة اللغات وقد نشأت تتحدث الإنكليزية، الكانتونية، والهندية العامية في الوقت نفسه، ثمّ تعلّمت فيما بعد الفرنسية في المدرسة. لقد عملت « أنيتا «في عالم الشركات عدة سنوات قبل تشخيص مرض السرطان لديها في نيسان 2002. إنّ تجربتها الرائعة والمؤثرة في الاقتراب من الموت في أوائل عام 2006 غيّرت منظورها إلى الحياة على نحو هائل، فأصبح عملها الآن مُتأصلاً في العمق والبصيرة التي اكتسبتها أثناء تواجدها في العالم الآخر.

نتيجة تجربة الاقتراب من الموت التي مرّت بها، غالباً ما تُدعى « أنيتا «إلى التحدث في الاجتماعات والأحداث حول العالم كي تُشارك رؤيتها. إنها أيضاً ضيف دائم في كلية السلوك في جامعة « هونغ كونغ «تتحدّث عن مواضيع كالتعامل مع الأمراض المُميتة، ومُواجهة الموت، وعلم نفس المُعتقدات الروحية. إنها تجسيد لحقيقة أننا جميعاً لدينا الطاقة والقوة الداخلية والحكمة من أجل تجاوز أسوء مشاكل الحياة، فهي الدليل الحيّ على هذه الإمكانية.

تعيش « أنيتا «حالياً في» هونغ كونغ «مع زوجها، وعندما لا تُسافر كي تتحدّث في المؤتمرات، تعمل مُستشارة ثقافية في عدة شركات مُتعددة الجنسيات في المدينة.

الموقع www.Anitamoorjani.com:

Table of Contents

وت كي أكون أنا

عقوق

وت كي أكون أنا

بدء

ندمة الكتاب

قدمة

جزء الأول البحث عن الطريق الصحيح

حدث التمهيدي: اليوم الذي متُّ فيه

فصل الأول النمو على نحو مُختلف

فصل الثاني العديد من الأديان، العديد من المسالك

فصل الثالث عثرات في وساطة الزواج

فصل الرابع حُبِّي الحقيقي

فصل الخامس تشخيص حالة الخوف

فصل السادس السعي إلى الخلاص

جزء الثاني رحلتي نحو الموت، ثم العودة

فصل السابع ترك العالم خلفي

فصل الثامن شيء مُطلق ومُدْهش كلياً

فصل التاسع إدراك المعجزة

فصل العاشر دليل الشفاء

فصل الحادي عشر سيدتي، بأي طريقة نظرت، لا بُدَّ أن تموتي

فصل الثاني عشر رؤية الحياة بأعين جديدة

فصل الثالث عشر العثور على مساري

فصل الرابع عشر الشفاء هو البداية فقط

جزء الثالث ماذا بدأت أفهم

فصل الخامس عشر لماذا مرضتُ وتعافيتُ

فصل السادس عشر النفوس المٌطلقة والطاقة الكونية

فصل السابع عشر أن تسمح وأن تكون أنت

فصل الثامن عشر أسئلة وأجوبة

خاتمة

كـر وتقدير

عـة عن الكاتبة

مكتبة الكندل العربية

مكتبة الرمحي أحمد

Telegram @read4lead